مجلة دراسات المرأة

مجلة علمية محكمة فصلية

تصدر عن الامانة العامة لمجلس الوزراء
الدائرة الوطنية للمرأة العراقية

العدد الحادي عشر لشهر آذار عام 2026م

١١

الترقيم الدولي ISSN: 2645-2960

مجلة دراسات المرأة

11

مجلة دراسات المرأة العدد 11

Journal of Woman Studies

A Seasonal Authorized Scientific Journal

11

Issued by the general secretariat of prime minister/office of enabiling iraqi woman

Issue on 11. March./2026

International Enumeration
ISSN: 2645-2960

مجلة دراسات المرأة

مجلة علمية محكمة فصلية

تصدر عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء/
الدائرة الوطنية للمرأة العراقية

العـدد الحـادي عشر لشهر اذار 2026م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (2534) لسنة

2023

الترقيم الدولي (ردمك):
ISSN 2645- 2960

رئيس التحرير

د. حميد نعيم الغزي

الأمين العام لمجلس الوزراء

نائب رئيس التحرير

د. يسرى كريم العلاق

مدير عام الدائرة الوطنية للمرأة العراقية / الأمانة العامة لمجلس الوزراء

مدير التحرير

أ.د. اسراء علاء الدين نوري

مؤسسة العراقة للثقافة والتنمية

هيئة التحرير:

1- أ.د. نعمة دهش فرحان / جامعة بغداد/ العراق

2- أ.د. زينب هاشم عبود/ الجامعة المستنصرية/ العراق

3- أ.د. هادي كطفان شون العبد الله/ جامعة القادسية/ العراق

4- أ.د. نجاة علي الهنشيري / جامعة طرابلس/ ليبيا

5- أ.د. نسرين سمير احمد فؤاد/ جامعة الازهر/ مصر

6- أ.د. عذراء إسماعيل زيدان / جامعة بغداد/ العراق

7- أ.م.د. ازهار محمد جاسم / وزارة التربية/ العراق

8- أ.م. انتصار رشيد خليل/ جامعة تكريت/ العراق

9- أ.م.د. وسن حسن ليلو/ الجامعة المستنصرية / العراق

10- د. علاء عبدالخالق حسين/ جامعة بغداد/ العراق

11- د. شذى عبد جمعة الربيعي / جامعة الفراهيدي / العراق

خبير اللغة العربية / د. عمر زهير علي / وزارة التربية / العراق

خبير اللغة الإنكليزية / د. صبا عبد العزيز حميد / جامعة بغداد/ العراق

رؤية المجلة:

الريادة في نشر الأعمال العلمية الرصينة في مجال الدراسات، وبحوث المرأة، والاسرة، والطفل.

رسالة المجلة:

التميز في نشر ودعم الأعمال العلمية المتخصصة في مجالات المرأة والمشكلات المجتمعية والاسرة والطفل التي تمتاز بالرصانة والموضوعية في الطرح. من خلال الالتزام بالمعايير العالمية للتميز في النشر العلمي.

أهداف المجلة:

- تنمية البحث العلمي في قضايا المرأة والاسرة والطفل.
- إبراز إسهامات المرأة في حقول المعرفة المختلفة.
- أن تصبح منبراً علميا للعلماء والمفكرين والباحثين العرب وغير العرب المهتمين بقضايا المرأة والاسرة والطفل.
- نشر البحوث العلمية التي تتميز بالأصالة والرصانة في مجالات المرأة.
- متابعة المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية والفكرية المتعلقة بقضايا المرأة ونشر البحوث الرصينة في اعداد خاصة.
- متابعة الأدبيات والنتاج العلمي الجديد في ميادين المرأة والاسرة والطفل.
- الاطلاع على الرسائل الجامعية في مجالات قضايا ونشر بحوث مستله منها.

سياسة النشر في المجلة:

تدعو مجلة دراسات المرأة جميع الباحثين والأكاديميين من داخل العراق وخارجه في مختلف الاختصاصات للكتابة ببحوث ذات قيمة علمية لإثراء المجلة بالبحوث الرصينة.

مجلة دراسات المرأة مجلة فصيلة محكمة، تستقبل البحوث والدراسات في دراسات المختلفة في مجال المرأة كافة. وتخضع البحوث المقدمة للمجلة للتقويم العلمي من هيئة التحرير وجمع كبير من الاساتذة الخبراء في الاختصاصات العلمية كافة من داخل العراق وخارجه وتلتزم المجلة بالحِفاظ على حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين وتطبيقها أخلاقيات البحث العلمي وبنود لجنة اخلاقيات النشر.

ملاحظات عامة:

1- يتقيد رئيس واعضاء هيئة التحرير بعدم الاعلان عن اية معلومة تخص البحوث المقدمة للمجلة عدا المخول من مؤلفيها والمحررين والاستشاريين والناشر حسب الضرورة.
2- ان عملية تقويم البحث من المحكمين يساعد على اتخاذ القرار المناسب من هيئة التحرير بخصوص البحث المقدم للمجلة وهي بالضرورة تفيده في تحسين بحثه. وتلتزم هيئة التحرير إحاطة المحكمين علما بضوابط ومعايير ومستوى رصانة البحوث التي تقبل للنشر في المجلة، كما تلتزم بعدم إعلان أسماء المحكمين إلا بموافقة خطية للمحكم نفسه.
3- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.
4- يتطلب من محكمي البحوث التعامل بسرية مع البحوث المرسلة لهم. ولا يجوز الافصاح عنها او مناقشتها مع الاخرين الا مع رئيس المجلة او من ينوب عنه.
5- اعتماد المعايير الموضوعية في التحكيم وتجاوز الانتقاد الشخصي للباحث. ويجب ان يكون التحكيم معززاً بآراء واضحة مع الحجج العلمية والتوثيق، ويتوافق مع ضوابط ومعايير النشر المعتمدة في المجلة.
6- اشعار الباحث بقبول بحثه خلال مدة اقصاها شهر من تاريخ تسليم البحث.
7- لا يجوز للباحث ان يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير الا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير ويتم ذلك قبل اشعاره بقبول بحثه للنشر.
8- يلتزم الباحث بأجراء تعديلات المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسلة اليه وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز (15) خمسة عشر يوماً.
9- لا تعاد البحوث الى اصحابها سواء نشرت ان لم تنشر.

10- لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تخل بشرط من هذه الشروط.

11- على الباحث/ الباحثين الالتزام بتعليمات وضوابط النشر المعتمدة في المجلة وبأسلوب كتابة البحث. وتامين توافر معايير البحوث الرصينة من وضوح هدف البحث وعرض النتائج بنحو دقيق ومتسلسل ومناقشة هذه النتائج بما يحقق اهداف البحث مع تسويغ اجراء البحث بطرائق موضوعية. يجب ان يكون البحث معززاً بتفاصيل النشر للمراجع العلمية الحديثة. يجب ان لا يتضمن البحث على نتائج لبحوث اخر؛ لأنها تعد سلوكُ غير مقبولة. وعلى الباحث توقيع تعهد بذلك

12- على الباحث ان يتجنب الانتحال او اقتباس عبارات أو افكار الأخرين وأدرجها كأنها عمل الباحث الخاص، أو الاقتباس دون الإشارة إلى مصدرها الأصلي. وان كل الابحاث تخضع لكشف الانتحال قبل ارسالها الى المحكمين وقبول البحث.

ضوابط النشر في المجلة

تسعى هيئة التحرير في مجلة دراسات المرأة الى الارتقاء بمعامل تأثير المجلة (Impact Factor) تمهيدا لدخول قاعدة بيانات المستوعبات العلمية العالمية. وعليه تنشر مجلة دراسات المرأة الابحاث التي تتسم بالرصانة العلمية والقيمة المعرفية وبسلامة اللغة ودقة التوثيق في ووفق الشروط المبينة في ادناه:

1- أن لا يكون البحث منشورا سابقا في مجلة اخرى. وأن لا يكون جزءاً من بحث سابق منشور أو من رسالة جامعية وعلى الباحث ان يوقع نموذج تعهد بألا يكون البحث منشوراً أو سبق تقديمه للنشر في مجلة أخرى. وأن لا يقدمه للنشر في مجلة اخرى بعد نشره في مجلة إشراقات تنموية. وأن يوافق على نقل حقوق نشر البحث الى المجلة في حالة قبول البحث للنشر (نموذج التعهد).

2- أن لا يزيد عدد الكلمات في البحث على (8000) كلمة بضمنها المصادر والملاحق.

3- ألا يذكر اسم الباحث أو اية أشاره تدل عليه في متن البحث لضمان سرية وحيادية عملية التحكيم.

4- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على ما يأتي (كما في المثال):

أ. عنوان البحث.

ب. اسم الباحث ودرجته العلمية وشهادته.

ت. عنوان الباحث

ت. بريد الباحث الإلكتروني.

ث. ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والثاني باللغةِ الإنكليزية يكون في بداية البحث بحجم خط (12) يضم اسم الباحث ومكان عمله باللغة الانكليزية ايضا. وأن تحتوي الابحاث المكتوبة باللغة الانكليزية على ملخص باللغة العربية (خلاصة) لا تتجاوز كلماته 200 كلمة مسبوقا بعنوان البحث واسم الباحث ومكان عمله باللغة العربية ايضا والكمات المفتاحية في نهاية الملخص العربي والانكليزي.

5-تكتب الابحاث مكتوبة على برنامج (Microsoft Word) بخط (Arabic Simplified) للأبحاث المكتوبة باللغة العربية وبخط (Times New Roman) للأبحاث المكتوبة باللغة الانكليزية وبحجم (12) للمتن وحجم (14) للعناوين الرئيسة والفرعية.

6- تعتمد المجلة دليل (APA) للنشر العلمي في التوثيق، وعلى الباحث اتباع قواعد الاقتباس وتوثيق المصادر وأخلاقيات البحث العلمي بما يتوافق مع هذا النظام.

7- تكتب مصادر البحث في صفحة أو صفحات مستقلة مرتبة وفقاً للأصول المعتمدة على وفق الترتيب الاتي: كنية المؤلف، اسمه. (سنة الطبع). عنوان الكتاب. رقم الطبعة(ط3). دار النشر. مكان النشر(المدينة). أنظر (نظام APA لتوثيق المصادر).

8- تقديم سيرة علمية قصيرة (Short Biography) للباحث لا تتجاوز 4 أسطر وبملف (Word) منفصل عن البحث في نفس القرص.

9- تطبق المجلة نظام فحص الاستلال باستخدام برنامج (Turnitin) حيث يتم رفض نشر الابحاث التي تتجاوز فيها نسبة الاستلال النسبة المقبولة عالميا.

10- يخضع البحث لفحص أولي تقوم به هيئة التحرير في المجلة وذلك لتقرير أهلية البحث للتحكيم، ويحق لها أن تعتذر عن قبول البحث دون تقديم الاسباب.

11- تتبع المجلة التقويم المزدوج السري لبيان صلاحية البحث للنشر، حيث يعرض البحث المقدم للنشر على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص أحدهما من داخل العراق والاخر من خارجه ويتم اختيارهما بسرية مطلقة. فضلا عن عرض البحث على خبير لغوي لتقويم سلامته اللغوية.

12- الابحاث التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات عليها لتكون صالحة للنشر تعاد الى اصحابها لأجراء التعديلات المطلوبة عليها ولا يُعاد البحث إلى صاحبه إذا لم يُقبل للنشر.

13- يشترط لنشر الابحاث المستلة من رسائل الماجستير واطاريح الدكتوراه موافقة خطية من الأستاذ المشرف على البحث، وفق النموذج المعتمد في المجلة. (موافقة المشرف)

14- تُعبّر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، لا عن رأي المجلة.

15- تنشر المجلة أعداد خاصة بالمؤتمرات العلمية المتوافقة مع تخصص المجلة.

16- يمكن تسليم الابحاث المقدمة للنشر في المجلة على وفق ما يأتي:

أ- يدويا في مقر المجلة في شارع فلسطين/ تقتطع الموال/ مقابل الجامعة المستنصرية.

ب- مراسلة المجلة على عنوان البريد الالكتروني للمجلة:

journalofwomensstudies@gmail.com

رقم الإدارة/ 07712091990

رئيس التحرير

دليل المؤلف Author Guidelines

أدناه الشروط والمتطلبات الواجب مراعاتها من قبل الباحث للنشر في المجلة:

1. يجب أن يكون عنوان البحث موجزاً قدر الإمكان ومعبر عن البحث.
2. اسماء الباحثين: تكتب اسماء الباحثين وعناوين عملهم بصورة واضحة مع البريد الالكتروني للباحث الأول.
3. يجب أن يتضمن المستخلص موجزاً واضحاً عن البحث مكون من 250-300 كلمة ويتبع المستخلص اسماء وعناوين الباحثين ويكتب بقطعة واحدة مستمرة بدون فقرات.
4. المقدمة: وتتضمن مراجعة المعلومات وثيقة الصلة بموضوع البحث الموجودة، وتنتهي المقدمة بأهداف الدراسة وأساسها المنطقي.
5. المواد وطرائق العمل: تذكر طرائق العمل بشكل مفصل إن كانت جديدة أما إذا كانت منشورة فتذكر بشكل مختصر مع الإشارة للمصدر وتستعمل وحدات النظام العالمي

(S.I.UNITS) System International of Units.

6. النتائج والمناقشة: تعرض بشكل موجز وهادف وبنظام متوالي وتعرض النتائج بأفضل صورة معبرة وتوضع الجداول والأشكال في أماكنها المخصصة بعد الإشارة إليها في النتائج.
7. يستعمل نظام الأرقام العربية وهكذا في البحوث المرسلة للنشر وتمثل مناقشة النتائج تعبيراً موجزاً عن النتائج وتفسيراتها.
8. المستخلص الإنكليزي يجب أن يكون وافياً ومعبراً عن البحث بصورة دقيقة وليس بالضرورة أن يكون ترجمة حرفية للمستخلص العربي.

دليل المقيّم Reviewer Guidelines

أدناه الشروط والمتطلبات الواجب مراعاتها من قبل المقيم للبحوث المرسلة للنشر في المجلة:

1. ملئ استمارة التقويم المرسلة رفقة البحث المطلوب تقييمه بشكل دقيق وعدم ترك أي فقرة بدون إجابة.
2. على المقيّم التأكد من تطابق وتوافق عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية وفي حالة عدم تطابقهما اقتراح العنوان البديل.
3. أن يبيّن المقيّم هل أن الجداول والأشكال التخطيطية الموجودة في البحث وافية ومعبرة.
4. أن يبيّن المقيم هل أن الباحث أتبع الأسلوب الإحصائي الصحيح.
5. أن يوضح المقيّم هل أن مناقشة النتائج كانت وافية ومنطقية.
6. على المقيّم تحديد مدى استخدام الباحث للمراجع العلمية الرصينة وحداثتها.
7. أن يؤشر المقيّم بشكل واضح على واحد من ثلاث اختيارات وهي:
   - البحث صالح للنشر.
   - البحث صالح للنشر بعد إجراء التعديلات.
   - البحث غير صالح للنشر.
8. يجب أن يوضح المقيّم بورقة منفصلة ما هي التعديلات الأساسية التي يقترحها لغرض قبول البحث.
9. للمقيّم حق طلب إعادة البحث إليه بعد إجراء التعديلات المطلوبة للتأكد من التزام الباحث بها.
10. على المقيّم تسجيل اسمه ودرجته العلمية وعنوانه وتاريخ إجراء التقييم مع التوقيع على استمارة التقييم المرسلة رفقة البحث المرسل له للتقييم.

(تعهد الملكية الفكرية)

أني الباحث (.....)
صاحب البحث الموسوم (.....) اتعهد بأن البحث قد انجز من قبلي ولم ينشر في مجلة اخرى داخل وخارج العراق وارغب بنشره في (مجلة دراسات المرأة) التي تصدر عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

التوقيع:
التاريخ:

كلمة العدد

بمزيج من الفخر والامتنان، نضع بين أيديكم اليوم العدد الحادي عشر من مجلة "دراسات المرأة". هذا الإصدار ليس مجرد صفحات تُضاف إلى المكتبة، بل هو خطوة متجددة في رحلتنا العلمية لفهم واقع المرأة وقضاياها بعيون أكاديمية واعية.

ولم يكن لهذا العدد أن يرى النور لولا الشراكة الحقيقية والمثمرة بين الدائرة الوطنية للمرأة العراقية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء، ومؤسسة العراقة للثقافة والتنمية. لقد جمعنا هدف واحد: أن نقدم للمكتبة العراقية والعربية بحوثاً تخصصية لا تكتفي بتشخيص التحديات، بل تصنع حلولاً واقعية تلبي تطلعات المرأة وتدعم مسيرتها.

إننا نؤمن في المجلة بأن البحث العلمي هو المحرك الأساسي للتغيير، والعدسة الأوضح التي نرى عن طريقها تفاصيل حضور المرأة في مجالات الحياة كافة— اجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً. فالمرأة هي الركيزة الأساسية لأي تقدم واستدامة مجتمعية، ومن هنا ننطلق دائماً لتفكيك العقبات وفتح آفاق القيادة والتمكين أمامها.

وفي هذه المحطة، نتوجه بجزيل الشكر والعرفان تملؤها المودة والتقدير إلى معالي الأمين العام لمجلس الوزراء، الدكتور حميد الغزي الموقر، وإلى السيدة مدير عام الدائرة الوطنية لشؤون المرأة العراقية، الدكتورة يسرى كريم العلاق الموقرة؛ لدعمهما الصادق وحرصهما الكبير على رعاية هذا المشروع المعرفي. كما نثمن عالياً جهود مؤسسة العراقة للثقافة والتنمية التي احتضنت هذه الفكرة وآمنت بها منذ البداية.

هذه المجلة هي مساحتكم؛ لذا ندعو زميلاتنا وزملائنا من الباحثين والأكاديميين ليكونوا جزءاً من أعدادنا القادمة بأبحاثهم الرصينة. وسنواصل عملنا برؤية متجددة لتطوير المجلة وزيادة أثرها، لتظل دائماً منارة معرفية تضيء الدرب نحو مستقبل أفضل.

أ.د. اسراء علاء الدين نوري

نيابة عن هيئة تحرير مجلة دراسات المرأة

محتويات العدد

ت	اسم الباحث	عنوان البحث	الصفحة
.1	أ.د. حيدر خزعل نزال/ كلية التربية الأساسية– قسم التاريخ	اثر استراتيجيه التفكير ألإقناعي في تحصيل طالبات الصف الرابع الأدبي في مادة التاريخ	38 - 15
.2	أ.د. اسراء علاء الدين نوري – كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين	التمكين السياسي للمرأة في المجتمع العراقي بعد عام 2005	55 - 39
.3	أ.د. اسراء حسين جابر الجامعة المستنصرية / كلية الاداب/قسم اللغة العربية	الشاعرة لميعة عباس عمارة انثى تقتحم المحظور	67 - 56
.4	أ.د. علا يعقوب يوسف – باحثة في الشؤون المرأة والطفل – كندا	التحديات التي تواجه المرأة العاملة في بيئات العمل الافتراضية (عن بُعد) واستراتيجيات التغلب عليها	83 - 68
.5	الباحثة: فاطمة كرم كاظم فنجان بأشراف د. علاء عبدالخالق حسين المندلاوي	ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية دراسة في إشكاليات التكافؤ الدلالي وحدود الترجمة الآلية العصبية	117 - 84
.6	م.م. سالي محمد عبد جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية	استراتيجيات تطوير المهارات الناعمة لدى خريجات الجامعات لتهيئة دخولهن لسوق العمل	135 - 118

.7	الباحثة: نادية أحمد علي جامعة كه رميان – كلية اللغات والعلوم الإنسانية	الصلابة النفسية والمرونة النفسية لدى المرأة في مواجهة الأزمات الحياتية الصعبة	156 - 136
.8	مريام عيسى– باحثة في الشؤون المرأة والاعلام هولندا	الصورة الذهنية للجسد وعلاقتها بتقدير الذات والاضطرابات النفسية لدى المرأة	184 - 157
.9	الباحثة: سمية سمير راضي– كندا	النزعة الاستهلاكية للمرأة بين الديناميات النفسية والمحددات الاقتصادية	220 - 185
.10	الباحثة: بنين عدنان داود مطلك	دور المرأة العراقية في تعزيز الهوية الوطنية في سياق النزاعات وما بعدها	243 - 221
.11	الطبيبة النفسية: رويدا فريد شامل – بلغاريا	اضطرابات المزاج المرتبطة بالتغيرات الهرمونية لدى المرأة: الأسباب والآليات العلاجية	255 - 244

اثر استراتيجيه التفكير ألإقناعي في تحصيل طالبات الصف الرابع الأدبي في مادة التاريخ

أ.د. حيدر خزعل نزال/ كلية التربية الأساسية- قسم التاريخ

ملخص البحث:

يهدف البحث الحالي الى معرفة : أثر بإستراتيجية التفكير الاقناعي في تحصيل طالبات الصف الرابع الأدبي " ولتحقيق هدف البحث وضع الباحث الفرضية الآتية :

- **لا توجد فروق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن مادة التاريخ بإستراتيجية التفكير الاقناعي وبين متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللاتي يدرسن المادة نفسها بالطريقة التقليدية في درجات اختبار التحصيل**

وقد اختار الباحث المديرية العامة لتربية صلاح الدين / قسم تربية الدجيل (إعدادية الدجيل للبنات) بصورة قصديه لتطبيق البحث لأجراء التجربة وتم اختيار طالبات شعبتي (أ – ب) بصورة عشوائية درس الباحث مجموعتي البحث أعد الباحث اختبار تحصيلي مكون من (30) فقرة , و ذات ثلاث بدائل تم التأكد من صدقه وصعوبته وتم التأكد من بناؤه وثباته على مجتمع البحث الحالي وتم معالجة النتائج إحصائياً باستعمال الاختبار التائي (T – test) ولعينتين مستقلتين وأظهرت النتائج :

- **تفوق طالبات المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التاريخ بإستراتيجية التفكير الاقناعي على طالبات المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية في الاختبار التحصيل.**

The effect of persuasive thinking strategy on the achievement of fourth-grade literary students in histor.

Research Summary:

This research aims to determine the effect of the persuasive thinking strategy on the achievement of fourth-grade literary students. To achieve this objective, the researcher formulated the following hypothesis:

There are no statistically significant differences between the mean scores of the experimental group students who studied history using the persuasive thinking strategy and the mean scores of the control group students who studied the same subject using the traditional method on the achievement test.

The researcher purposively selected the General Directorate of Education of Salah al-Din / Al-Dujail Education Department (Al-Dujail Preparatory School for Girls) to conduct the research. Students from sections (A) and (B) were randomly selected. The researcher studied both groups. An achievement test consisting of 30 items with three alternatives was developed. Its validity, difficulty, construction, and reliability were confirmed for the current research population. The results were statistically analyzed using the t-test for two independent samples. The results showed that the experimental group students who studied history using the persuasive thinking strategy outperformed the control group students who studied the same subject using the traditional method on the test. Collection

الفصل الأول

التعريف بالبحث

أولاً: مشكلة البحث:

من خلال الزيارات الميدانية الى المدارس ومرافقة الطلبة في المشاهدات والتطبيق الفردي والجماعي ، تبين ان مدرسي ومدرسات مادة التاريخ يتبعون الطرائق التدريسية التقليدية التي تعتمد على حفظ المعلومات ، وتنتهي علاقتهم بها بعد تأدية الاختبارات فيها ، دون الفهم او إدراك الترابط بينن الموضوعات التاريخية ، مما قد لا يسهم في نموه المفاهيم بصورة جيدة، وتطبيق المفاهيم التاريخية في مواقف جديدة ، وقد يؤدي هذا إلى أهمال الدافعية نحو دراسة مادة الاجتماعيات بصورة الإيجابية ، وهذا ما اشارت إليه بعض الدراسات و البحوث التي بحثت بطرائق تدريس مادة

الاجتماعيات للصف الثاني متوسط ، أذ بينت ان هناك تدني التحصيل في مادة التاريخ وعزت الأسباب الى استخدام الطرائق التقليدية كدراسة(خلف، 2023: 286)

تعد مادة التاريخ من المواد الدراسية الأساسية التي تدرس في مختلف المراحل الدراسية, ومنها المرحلة الإعدادية ، فهي تمكّن المتعلمين من الاطلاع على دور أمتهم الحضاري وتأثيرها في عالمهم المعاصر ، وما قدمته من افكار وآراء في مجالات العلم والمعرفة المتنوعة ، وان دراسة التاريخ على المستوى المرحلة الإعدادية ليس مجرد نقل ما توصل اليه المؤرخون من حقائق ومعلومات تاريخية بالأسلوب الذي أستعمله المؤرخون ، وهذا يعني ان أهداف تدريس التاريخ هو ان تجعل المتعلم قادر على أدراك الحقيقة ، وتعريفه بكيفية الوصول اليها , وإن مظاهر الحياة حقيقة يتسم بها العصر الحالي هو التغيير, وما لم نتعامل واستراتيجيات التدريس الحديثة مع هذا التغير وما يخلفه من قضايا معاصرة, فسوف نفشل في تحقيق تقدم, وحيث أننا نعيش في عالم متغير, وسريع الخطى, فلا بد أن نعد أفراد المجتمع للتكيف مع التغير, لذا ينبغي على المؤسسات التربوية في مجتمعاتنا أن تضع الاستراتيجيات الحديثة التي تعمل على تنمية شخصية المتعلم واكسابه الجوانب العلمية لكي نجعل منه قوة دافعة لحركة التقدم والتطور, كما أن دراسة مادة التاريخ من الدراسات التي تلائم في تعميق الأهداف التربوية الحديثة إذا ما أحسن تدريسها.

وان اي فكرة. قد تكون ملموسة أو مجردة، و يمكن التعبير عنها بطرق عديدة؛ ينظر علماء النفس إلى الأفكار باعتبارها عقدًا في شبكة واسعة، يُطلق عليها «الذاكرة الترابطية؛ حيث ترتبط كل فكرة بأفكار أخرى كثيرة , وأن تدريس غالباً ما يعتمد بشكل كبير على الطريقة التقليدية والقائمة على الدور الفاعل للمدرس ,اما الطالبات فهم متلقون لما يقوله المدرس , فالطريقة التقليدية ما زال كثير من المعلمين يعتمدونها تعتمد في أساسها على الإلقاء والترد الممل في عرض المادة التعليمية مما قد يؤدي الى قلة استجابة ومشاركة جميع الطالبات, وكذلك هذا الأمر قد يؤدي أيضا إلى تذمر الطلبة وشعورهم بالإحباط والاستراتيجيات التدريسية الحديثة كونها قد تسهم في رفع تحصيل التلاميذ وتنمي اتجاههم وتجعلهم أكثر نشاطاً وحيوية في استيعاب المادة التعليمية وتنمية مهارات التحدث لديهم , ومن هذه المنطلق فانه يجب البحث عن طرائق واستراتيجيات تدريسية حديثة تجعل من طالب محوراً أساسياً ومهما في العملية التعليمية فأراد الباحث تجريب إستراتيجية التفكير الاقناعي والتي قد تسهم في جعل الطالب قادر ان على استيعاب

مادة التاريخ بصورة سلسة وبسيطة , وبذلك يصغ الباحث مشكلة البحث بالسؤال الاتي: (ما اثر إستراتيجية التفكير ألإقناعي في تحصيل طالبات الصف الرابع الأدبي في مادة التاريخ ؟)

ثانياً: أهمية البحث:

نجد أن التربية انتقلت من مرحلة الجهود المبعثرة وغير المنظمة عندما كانت التربية مسؤولية الأسرة وغيرها من قطاعات المجتمع إلى مرحلة الجهود المنظمة التي تخطط لها البرامج وتنظم لها لأجل تحقيق رفاهية وتقدم للمجتمع , فنجد أن التربية انتقلت من كونها عملية تعليمية ضيقة تعني بالحفظ والاستظهار والتحصيل إلى كونه عملية حضارية ديناميكية تتنامى بعقل الإنسان وفكره وضميره, فلم تعد العملية التعليمية تعتمد على المدرس فقط كركيزة أساسية في نقل المعلومات بل أصبحت عملية حديثة تعتمد على التفاعل الحقيقي والجاد بين المدرس والطالب كلا له دوره في العملية التعليمية, فلم يعد الطالب متلقياً للموضوعات بل شجع على متابعة البحث المستمر عن المعلومات من مصادر المعلومات المطبوعة والمحسوبة لتفعل دور هذه المعلومات في مساندة الدروس الصفية وإعداد البحوث العلمية (الطيطي , 2009 : 18-19) .

والمنهج الدراسي وسيلة التربية الفاعلة في تحقيق أهدافها فهو يشكل نقطه الاتصال بين المدرس وطلبته وبغيره لا يمكن المدرس من أن يحقق اهداف العملية التربوية التعليمية, وعليه لا بد من أن تكون مناهجنا متطورة ونامية متجددة تقوم على أسس سليمة وتعمل على تنمية المجتمع وتطوير المنهج للمادة الدراسة عامة وللمواد الاجتماعية خاصة أهمية كبرى في اعداد المتعلم وتنمية شخصيته في كافة الجوانب؛لأنه سيصبح قادرا على تطوير مجالات الحياة بجوانبها المختلفة (ابراهيم , 1994: 7) وتدريس التاريخ يسهم بدور ايجابي في إعداد المواطن الصالح ,إذ ينمي شخصية الطالب وحسه التاريخي بمكانة الأمة ودورها الفعال في حضارة العالم, فضلا عن اكسابه عادات واتجاهات وقيم خبيرة . (الشيخ ,1997 : 24) لذا تعد دراسة التاريخ من الوسائل المهمة التي تؤدي الى تنمية الفكر العلمي من تعيين الحوادث التاريخية وتعليلها تعليلا صحيحا , وربطها بين الاسباب والنتائج وتدريب المتعلمين على جميع المعلومات ,ونقدها والتأليف فيما بينها وعرضها , والتاريخ خير أداة لترجمة ابعاد الفلسفة التربوية في بناء الانسان المخلص الوفي لوطنه ولأمته الإنسانية , وقد حظيت مادة التاريخ بأهمية كبيرة في العملية التعليمية التربوية المعاصرة فهو يؤثر في بناء الأمة بالحقائق والمعلومات والخبرات فقط, وإنما يسعى إلى تحويل

هذه الحقائق والمعلومات إلى أدوات وعي, ومن أهم وسائل التوجيه هي طرائق التدريس لتحقيق الاهداف التربوية المنشودة (المباح,2002:11)

تأسيساً على ما سبق, يرى الباحث أن التربية أداة مهمة من أدوات البناء الحضاري وعاملاً فعالاً في استيعاب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في العالم حتى تتمكن من أن تتواصل مع ما يجري من حولها عن طريق اهتمامها الكبير بطرائق .التدريس, واتخذتها ركناً من أركان بناء العملية التعليمية بوصفها وسيلة فعالة في انجاح العملية التربوية, ولما لها من أثر في تفكير الفرد , فأساليب التدريس وطرائقه ليست واحدة في كل عصر وفي كل مجتمع, بل هي وليدة حاجات, وظروف ومطالب اجتماعية, فهي تتغير بتغير الأهداف والاهتمامات التربوية لمواجهة متطلبات المجتمع وحاجاته .

وان طرائق التدريس التي تتبع في التدريس تؤثر تأثيرا كبيرا في عملية تعلم المتعلمين لاسيما في المواد الاجتماعية, فقد تؤدي الطريقة التقليدية إلى سلبيتهم ومجرد استظهار, وقد تراعي الطريقة مستوى نمو المتعلمين وحاجاتهم وميولهم وقدراتهم وخبراتهم السابقة وتعتمد على نشاطهم الفردي والجماعي المتنوع الذي يشمل جميع المعلومات من أكثر من مصدر وعمل رسوم وإشكال توضيحية وجمع عينات وتطبيق المعلومات وبذلك يصبح التعلم أكثر عمقاً واستدامة (إبراهيم واحمد , 1979: 51) وللأهمية التي تتمتع بها الطرائق التدريسية بوصفها أداة مهمة لتحقيق الأهداف التربوية عقدت كثير من المؤتمرات والندوات التي أكدت على ضرورة تطوير واعتماد الطرائق التدريسية الحديثة , فقد وجهت وزارة التربية في العراق في مؤتمرها الأول سنة (1987) الهيئات التدريسية جميعها إلى ضرورة متابعة الاتجاهات الحديثة ونواحي التجديد في طرائق التدريس لتجربتها والانتفاع بالصالح منها (وزارة التربية , 1987: 18), وأكد مؤتمر التربية في دورته الثانية والأربعين لعام (1990) والمنعقد في بغداد بشأن تطور التربية في العراق , على اعتماد التجريب والتحديث في التعلم عن طريق جعل المدرسة في واقع نشاطاتها ميداناً للتجديد , وتبني المستحدثات التربوية , والتقنية , وتجريبها , واختبارها , وتعميم نتائجها , وتطوير التدريس وتحديثه للكشف عن قدرات الطالب , وتنميتها , وتمكينه من التعلم الذاتي (وزارة التربية وتطوير التربية في العراق , 1990: 14).

ويرى الباحث بناءً على ما تقدم، فنحن بحاجة إلى مواكبة كل ما هو حديث في استراتيجيات التدريس وطرائقه وأساليبه، التي تسهم في اثراء معلومات المتعلمين وتنشيط مهاراتهم العقلية، بدلاً من

الاعتماد على الطرائق التقليدية لمجرد التعود عليها وسهولتها، لأنها لم تعد كافية لتلبية متطلبات العملية التعليمية والتربوية .

وتعد إستراتيجية التفكير الاقناعي احدى استراتيجيات التفكير الحديثة فهي تعطي لعملية التفكير دورا كبيرا وتجعل المتعلم ايجابي وفاعل في الموقف التعليمي فعندما يواجه مشكلة او عندما يتعرض الى بدائل مختلفة لابد وان تستند على معلومات متشابكة تستوجب من المتعلم اصدار حل فيها وصولا الى الاجابة الصحيحة مما تجعل سلوكه مرغوب فيه كناتج لعمليتي التعلم والتعليم , وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تلقي الضوء على أثر التدريس التاريخ بإستراتيجية التفكير الاقناعي في تنمية مهارات التحدث ، إذ إن الاتجاهات الحديثة في التربية تؤكد موقف المتعلم ودوره الإيجابي في العملية التعليمية وتدعو إلى إثارة تفكيره وقابليته على التقصي والبحث.من استخدام استراتيجيات حديثة تجعل المتعلمين محور العملية التعليمية واستخدام المعلمين أنشطة تثير تفكيرهم وتشجعهم على طرح الأسئلة، وخاصة تلك الأنشطة التي يتم طرحها على شكل مشكلات لدى المتعلمين من خلال توفير المواد والفرص والمواقف التي تحثهم على التفكير. ، وتشجعهم على استخدام أساليب الاستقصاء والاستكشاف وغيرها من الأساليب التي تستخدم المنهجية العلمية لاختبار صحة الفرضيات. ، وتبرز أهمية البحث الحالي من خلال ما يأتي :

1- أهمية الاستراتيجيات التدريسية الحديثة في تعليم المواد بشكل عام والتاريخ بشكل خاص.

2- أهمية استعمال استراتيجيات حديثة ومنها إستراتيجية التفكير الاقناعي في جعل المتعلم محور العلمية التعليمية حيث تساعد المتعلمين على التفكير والتقصي والاستكشاف.

3- أهمية مادة التاريخ للصف الرابع الأدبي ، وكذلك هي من اختصاص الباحث حيث يستطيع من خلالها تحقيق الأهداف التربوية

ثالثاً: هدف البحث :- يهدف البحث الحالي معرفة اثر استراتيجيه التفكير ألإقناعي في تحصيل طالبات الصف الرابع الأدبي في مادة التاريخ

رابعاً: فرضية البحث:

۞ لا توجد فروق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن مادة التاريخ بإستراتيجية التفكير الاقناعي وبين متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللاتي يدرسن المادة نفسها بالطريقة التقليدية في درجات اختبار التحصيل .

خامساً: حدود البحث:- اقتصر البحث الحالي على:-

1- طالبات الصف الرابع الأدبي اللاتي يدرسن في المدارس الإعدادية في المديرية العامة لتربية صلاح الدين – قسم تربية الدجيل

2- الموضوعات المتضمنة في كتاب مادة التاريخ للصف الرابع الأدبي المقرر تدريسه من قبل وزارة التربية

3- الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي 2026/2025.

سادساً: تحديد المصطلحات:

1-إستراتيجية التفكير الاقناعي :عرفه كل من :-

♦صخي(1995): " ناتـــــــــج تعليمي يبنى على تطبيق ما تم تعليمة في مواقف الحياه وبخاصة اذا كان ما تم تعليمة يرتبط بتفكير ابتكاري لمواجهة موقف معين في ضوء عدد من البدائل المتاحة " (صخي ,1995: 21)

♦التعريف الاجرائي : هو قدرة طالب الصف الرابع الأدبي في أثناء دراسة التاريخ على استخدام استراتيجيات التفكير ألإقناعي في التأثير على الآخر، وإحداث حالة من الرضا وقبول بالفكرة أو الرسالة التي يهدف الطالب إلى إقناع المتلقي بها

2- التحصيل: المعرفة المكتسبة من قبل طلاب الصف الرابع الأدبي من تدريسِ مادة التاريخ في الفصل الدراسي الأول ويقاس بالدرجة التي يَحصل عليها الطالبات في الاختبار المعد في البحث.

الفصل الثاني

جوانب نظرية ودراسات سابقة

- **مقدمة :-**

يتناول هذا الفصل محورين أساسين يتعلق الأول بإستراتيجية التفكير الاقناعي المتغير المستقل في البحث الذي يعكس إستراتيجية التفكير الاقناعي التي تقوم عليها فكرة البحث وفلسفته والتي توضح الرؤية في تفسير النتائج , اما المحور الثاني دراسات سابقة

المحور الأول :إستراتيجية التفكير الاقناعي :

1- استراتيجيه التفكير الاقناعي :

يعد استخدام استراتيجيه التفكير ألإقناعي في مجموعة متنوعة من الأماكن، بما في ذلك السياسة والتسويق والعلاقات العامة. وأدى ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، وتقنيات الاتصال الرقمية الأخرى أيضًا، إلى تغيير طريقة ممارسة الإقناع، حيث يمكن للأفراد والمنظمات الآن، الوصول إلى جمهور كبير بسرعة وسهولة من خلال منصات الإنترنت ، ومهارة الإقناع هي احد القواعد التي ينبغي على المدرس ان يتحلى بها ، وفهمها ومعرفتها حتى يتمكن من إقناع الطلبة(العامري و الساعدي، 2021: 55).

2- المتطلبات الأساسية للإقناع : يمكن أن تكون الدعابة أداة فعالة للإقناع، حيث يمكن أن تساعد في كسر الحواجز، وخلق شعور بالثقة المتبادلة والصداقة مع جمهورك. كما يمكن أن يساعد أيضًا، في جعل رسالتك الإقناعية أكثر قابلية للتذكر. وتحتاج عملية الاقتناع ليس إلي مهارة القائم بالحديث والمسئول عن الإقناع فقط ، ولكن ايضاً إلي وجود بعض الاستعداد لديه، والعوامل المؤثرة علي عملية الاقتناع هي:-

1- التعرض الاختياري للاقناع : تتطلب عملية الاقناع ان يكون تعرض الفرد للرسالة اختيارياً دون ممارسة ضغوط عليه ان ممارسة الضغوط بهدف الاقناع تؤدي إلي استثارة عوامل الرفض الداخلي لمضمون الرسالة ، مما يصعب مهمة القائم بالإقناع.

2- تأثير الجماعة التي ينتمي اليها الفرد : تقوم الجماعة التي ينتمي اليها المستهدفون أو حتي التي يرغبون في الانضمام إليها بدور قوي في التأثير علي عملية الاقناع لديهم، يمكن للقائم بالاقناع استخدام هذا الدور في التاثير علي المتلقي عن طريق ضرب الامثلة الملائمة ، واستغلال احد افراد الجماعة في توجيه راي الفئة المستهدفة بالرسالة.

3- تأثير قيادات الرأي: قيادات الراي هم الأفراد ذو التأثير الذين يساعدون الاخرين ويقدمون لهم النصيحة . ويتأثر بهم الافراد احياناً أكثر من تأثرهم بوسائل الاتصال أو التقديم يعمل قادة الراي دوراً هاماً في تغيير اتجاهات الأفراد ويمكن للقائم بالاقناع ايضاً استخدام هذا الدور علي المتلقي.

4- الإستراتيجيات المختلفة للإقناع : الاعتماد علي العاطفة أو المنطق في الاستمالة . . الاعتماد علي درجة التخويف لتحقيق الاستمالة . . البدء بالاحتياجات والاتجاهات الموجودة لدي المتلقي . عرض وتحليل الاراء المتباينة للموضوع . ربط المضمون بالمصدر أو المرجع (سليمان، 2022: 159)

3- مراحل التفكير الإقناعي في التدريس :- تمت الاستعانة بتدريس موضوعات مادة التاريخ ، بالخطوات الآتية:

1- التمهيد لعرض موضوع الدرس أو الفكرة للنقاش.

2- العمل على توضيح فكرة الموضوع الد راسي المطروح.

3- تكوين قناعات لدى الطلبة حول فكرة الموضوع الد راسي المطروح.

4- مقاربة الآراء المطروحة مع مراعاة توظيف القناعات التي تم تكوينها.

5- الوصول إلى اتفاق حول فكرة الموضوع الد راسي المطروح.

6- تطبيق الفكرة في مواقف اخرى.

7- تقويم فهم الطلبة لموضوع الدرس.

النظريات التربوية الحديثة ركزت على أهمية استخدام استراتيجيات التفكير ألإقناعي في العملية التعليمية، لان القدرة على إقناع الآخرين يعد من المتطلبات الأساسية ينبغي أن يمتلكه المعلم من أجل إقناع طلابه بالمبادئ والأفكار التي يقدمها لطلابه اثناء التدريس، للإسهام في تطوير العملية التربوية والتعليمية تحسينها ، وأن أتباع إستراتيجية التفكير ألإقناعي في العملية التعليمية قد يكون له تأثير في تعزيز حالات الطمأنينة والرضا لدى الطلبة، مما قد يسهم في تنمية تحصيلهم في المادة الدراسية ، كما تساعدهم أيضا في بناء شخصياتهم، وتعديل سلوكهم (Lakhani,2016: 32)

المحور التأني :- دراسات سابقة

1- دراسة (Alkış& Temizel, 2016) اجريت الدراسة في تركيا وبحث عن تأثير الرسائل الإقناعية على تحفيز الطلاب واستخدام أنظمة إدارة التعلم دراسة تجريبية مع 147 طالبًا توزعوا لمجموعتين ضابطة وتجريبية في دورة تمهيدية لتكنولوجيا المعلومات. تم إرسال رسائل إلى مجموعات المعالجة تتضمن إشارات مقنعة بينما تم إرسال رسائل إلى مجموعات الضابطة بدون إشارات مقنعة أو بدون رسائل. أظهرت النتائج آراء الطلاب حول الرسائل في مجموعات التجريبية أكثر إيجابية من آراء الطلاب في مجموعات الضابطة، وهو ما يُظهر أن الرسائل الإقناعية أكثر فعالية. وتشير هذه الدراسة إلى أنه ينبغي النظر في تبني الإشارات الإقناعية في الرسائل إذا أراد المعلمون جذب انتباه طلابهم إلى إعلاناتهم أو الرسائل المتعلقة بالدورة التدريبية.

2- دراسة(Orji,2017) اجريت الدراسة في كندا وتساءلت عن الاستراتيجيات الإقناعية الفعّالة؟ واستكشاف نقاط القوة والضعف في الاستراتيجيات الإقناعية الموجهة اجتماعيًا شملت الدراسة 1768 مشاركًا للتحقيق في نقاط القوة والضعف في هذه الاستراتيجيات وفعاليتها النسبية في تحفيز السلوكيات. تُظهر النتائج أن هناك فروقًا كبيرة بين الاستراتيجيات فيما يتعلق بقدرتها على الإقناع بشكل عام مع كون المقارنة الاجتماعية هي الأكثر إقناعًا من بين الاستراتيجيات المعروضة.

3- دراسة(Alkthery& Al-Qiawi,2020) اجريت الدراسة في السعودية وهدفت التعرف على أثر استراتيجية SPAWN في تنمية مهارات الكتابة الإقناعية وعادات العقل الإنتاجية في اللغة الإنجليزية لدى طلاب الصف الثاني الثانوي(60) طالبا توزعوا الى مجموعتين: تجريبية وضابطة. اعد اختبار مهارات الكتابة الإقناعية ومقياس عادات العقل الإنتاجية. أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعتين التجريبية والضابطة في التطبيق البعدي لاختبار الكتابة الإقناعية ومقياس عادات العقل الإنتاجية لصالح المجموعة التجريبية.

4- دراسة(سليمان، 2023): اجريت الدراسة في مصر وهدفت التعرف على اثر برنامج مقترح قائم على التفكير الإقناعي لتنمية مهارات التعبير الشفوي لدى طلاب المرحلة الثانوية، انتهجت الدراسة المنهج التجريبي، طبق على عينة بلغت(86) طالباً الصف الأول الثانوي توزعوا الى مجموعتين متساوية بالعدد، تمثلت الادوات اختبار وبطاقة ملاحظة قائمة على مها رات التعبير الشفوي، وبينت النتائج فاعلية البرنامج القائم على التفكير الإقناعي في تنمية المها را ت الشفوية لدى الطلاب.

5- دراسة(Oladapo, & Rita , 2023): اجريت الدراسة في كندا وهدفت التعرف على اختيارات تنفيذ الاستراتيجية الإقناعية وفعاليتها: نحو أنظمة إقناعية مخصصة، السلوك وتكنولوجيا المعلومات، تنفيذ الاستراتيجية المقنعة، دراسة طبقت على 568 مشاركًا للتحقيق فيما إذا كان الأفراد في مراحل مختلفة من التغيير يستجيبون لتطبيقات مختلفة لكل استراتيجية في نفس النظام وكيف. كما نستكشف سبب تحفيز عمليات التنفيذ لتغيير السلوك باستخدام نموذج تحفيز ARCS. تُظهر نتائجنا أن لدى الأشخاص استراتيجيات مختلفة للاقناع ، و تلعب دورًا مهمًا في الفعالية المتصورة للتطبيقات المختلفة لنفس الاستراتيجية وأن عمليات التنفيذ تحفز لأسباب مختلفة. على سبيل المثال، يتم تحفيز الأشخاص في مرحلة ما قبل التأمل من خلال استراتيجية المكافأة التي يتم تنفيذها كشارات لأنها تزيد من ثقتهم، بينما يفضل الأشخاص في مرحلة التحضير المكافأة التي يتم تنفيذها كنقاط لبناء ثقتهم.

الفصل الثالث

منهج البحث وإجراءاته

أولاً : منهج البحث :

للوصول الى تحقيق هدف البحث اعتمد الباحث على المنهج التجريبي لأنه المنهج المناسب للبحث الذي يرمي لدراسة أثر متغير مستقل في متغير تابع، إذ إن البحوث التجريبية تتجاوز حدود الوصف الكمي للظاهرة، وترتقي الى معالجة متغيرات معينة تحت شروط مضبوطة للتثبت من كيفية حدوثها, وللتحقق من هدف البحث وفرضياته ولابد من تحديد التصميم التجريبي المناسب واختيار العينة المناسبة للبحث .

ثانياً : التصميم التجريبي :

لاختيار التصميم التجريبي المناسب للبحث أهمية كبيرة لأنه يضمن الهيكل السليم للبحث والوصول الى نتائج يمكن أن يعول عليها في الإجابة على مشكلة البحث والتحقق من فرضياتها (الزوبعي واخرون ، 1981 : 102) وقد اعتمد الباحث في هذا البحث تصميم المجموعتين المتكافئتين في بعض المتغيرات ، إذ يهدف البحث الحالي إلى معرفة أثر التدريس التاريخ بإستراتيجية التفكير الاقناعي في تحصيل طالبات الرابع الأدبي في مادة التاريخ مما تطلب مجموعة تجريبية وضابطة ، إذ تدرس المجموعة التجريبية بإستراتيجية التفكير الاقناعي والمجموعة الضابطة بالطريقة التقليدية ، والشكل (1) يوضح ذلك .

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع	قياس المتغير التابع
التجريبية	إستراتيجية التفكير الاقناعي	التحصيل	اختبار ألتحصيلي
الضابطة	ــــــــــ		

الشكل (1) التصميم التجريبي

ثالثاً : مجتمع البحث :

يتكون مجتمع البحث من طالبات الصف الرابع الأدبي في المدارس الإعدادية التابعة لقسم تربية الدجيل والتي لا يقل عدد الشعب فيها عن شعبتين .

رابعاً : عينة البحث :

بما أنه من المتعذر الاختيار العشوائي لعينة البحث لتوزيعها على المجموعتين التجريبية والضابطة مباشرةً من أفراد المجتمع نظراً لطبيعة النظام التعليمي ، لذلك يلجأ الباحثون عادةً الى اختيار شعب من الصف المستهدف في الدراسة ثم اختيار مدرسة واحدة لتكون ميداناً للتجربة ، وهذا ما قام به الباحث ، إذ اختار(إعدادية الدجيل للبنات) بصورة قصدية لتكون ميداناً لإجراء تجربة البحث الحالي , وقد اختارت هذه المدرسة للمبررات الآتية

1- تحتوي على ثلاثة شعب للصف الرابع الادبي .

2- استعداد إدارة المدرسة للتعاون مع الباحث في إجراء التجربة .

وبعد أن حدد الباحث المدرسة ، اختارا عشوائياً شعبتين من شعب الصف الرابع الادبي فكانت الشعبة (أ) المجموعة التجريبية والشعبة (ب) المجموعة الضابطة وكان عدد طالبات في هاتين الشعبتين (31 ، 32) طالب وعلى التوالي وبعد استبعاد طالبات الراسبين منهما لاكتسابهن خبرات سابقة ، وبواقع (1 ، 2) على التوالي أصبح عدد طالبات كل مجموعة من المجموعتين التجريبية والضابطة (30) طال والجدول (1) يوضح ذلك .

جدول (1)

يبين توزيع أفراد عينة البحث حسب الشعب

المجموعة	الشعبة	عدد طالبات قبل الاستبعاد	عدد طالبات الراسبين	عدد طالبات بعد الاستبعاد
التجريبية	أ	31	1	30

الضابطة	ب	32	2	30

خامساً- تكافؤ المجموعتى :-

تم تحديد من قبل الباحث بعض المتغيرات لغرض التكافؤ بين هذه المتغيرات ومنها :-

1- درجات اختبار الذكاء :

2- العمر الزمني محسوبا بالأشهر

3- درجات مادة التاريخ للعام السابق

اختار الباحث اختبار رافن (Raven) لقياس درجات الذكاء , والعمر محسوبا بالأشهر الزمني لطالبات المجموعتى ودرجات العام السابق, وتبين المجموعتى متكافئتان في هذه المتغيرين , وكما موضح في الجدول (2)

جدول (2)

المتوسط الحسابي والقيمة التائية المحسوبة والجندولية لمجموعتي البحث في درجات اختبار الذكاء والعمر الزمني ودرجات مادة التاريخ للعام السابق

المتغيرات	المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية	
						المحسوبة	الجدولية
اختبار الذكاء	التجريبية	30	16 ,72	3 ,27	58	0 ,47	2,000
	الضابطة	30	16 ,40	3 ,58			
العمر	التجريبية	30	189,31	8,740	58	0 ,48	2,000

الزمني	الضابطة	30	188,22	8,13			
درجات العام السابق	التجريبية	30	70 ,44	8 ,22	58	0 ,625	2,000
	الضابطة	30	70 ,36	9 ,10			

سادساً : أثر إجراءات التجربة :

حاول الباحث السيطرة على هذا العامل من خلال الإجراءات الاتية :

أ- المادة الدراسية :

تم تدريس الموضوعات الدراسية المتضمنة في كتاب " التاريخ " المقرر تدريسه للصف الرابع الأدبي مجموعتي البحث التجريبية والضابطة .

ب- سرية البحث :

لغرض ضبط هذا المتغير اتفق الباحث مع إدارة المدرسة على عدم إخبار الطالبات بطبيعة التجربة

سابعاً : مستلزمات البحث :

لغرض تحقيق أهداف البحث وفرضياته كان لابد من تهيئة مستلزمات البحث كما يأتي :

1- تحديد المادة العلمية :

في ضوء متطلبات التجربة وطبيعة البحث والظروف المحيطة بها وجد الباحث أن تشمل المادة العلمية للتجربة موضوعات الفصل الأول من كتاب التاريخ المقرر تدريسه للصف الرابع الادبي للعام الدراسي 2025/ 2026.

2- صياغة الأهداف السلوكية :

الهدف السلوكي عبارة أو جملة تصف النتاج النهائي لعملية التدريس ، وتصاغ على شكل أداء يمكن ملاحظته وقياسه ويمثل الهدف السلوكي محاولة التعلم أو المنهاج بتوضيح التغيرات التي تتحدد أحداثها عند الطالب وساعدت عملية وضع الأهداف السلوكية في تصميم العملية التعليمية وتحويلها الى عملية منظمة ومقصودة وعليه فإن وضوح الأهداف السلوكية ودقتها هما العاملان الأساسيان اللذان يقودان الى هندسة الطالب ووجدانه وإكسابه السلوك المقصود . (ملحم ، 2001 : 74)

3- إعداد الخطط التدريسية :

بما أن البحث يهدف الى معرفة أثر إستراتيجية التفكير الاقناعي مقارنة بالطريقة التقليدية في تدريس مادة التاريخ لذا ينبغي إعداد نمطين من الخطط التدريسية لتدريس المادة العلمية المقررة أثناء التجربة نمط للتدريس بإستراتيجية التفكير الاقناعي ونمط آخر للتدريس بالطريقة التقليدية ، إذ أن التخطيط للدرس يعد اجراءً ضرورياً لتحقيق التدريس الجيد الذي ينبغي أن يراعي طبيعة المتعلمين مع الأخذ بنظر الاعتبار الإمكانات والوسائل المتاحة (عبيدات ، 2007 : 10)

ثامناً : أداة البحث :- إن طبيعة البحث الحالي وأهدافه تتطلب توافر أداة البحث اختبار التحصيل

1- الاختبار التحصيل : يعرف الاختبار بأنه " إجراء منظم لتحديد ما تعلمه الطلبة ، أو الأداة التي تستخدم في قياس المعرفة والفهم في مادة دراسية (مجيد ، 2012 :24) ، لمّا كان البحث يتطلب إعداد اختبار تحصيلي لقياس تحصيل طالبات الصف الصف الرابع الأدبي في مادة التاريخ (عينة البحث) ونظراً لعدم توفر اختبار جاهز يتصف بالصدق والثبات ويغطي الفصول الثلاث الأولى من مادة التاريخ لذلك تم إعداد اختبار تحصيلي وفق ما يأتي: -

1- تحديد الهدف من الاختبار :

ان الهدف من الاختبار الحالي هو قياس مستوى تحصيل طالبات الصف الرابع في مادة التاريخ في محتوى الفصول الثلاثة الأولى من مادة التاريخ المقرر تدريسه للعام الدراسي 2025-2026.

2- إعداد جدول مواصفات(الخارطة الاختبارية)

وهو عبارة عن مخطط تفصيلي ثنائي البعد احد إبعاده قائمة الأهداف والبعد الآخر يمثل عناصر المحتوى الذي يشمل الاختبار ، الذي يعد من أبرز خطوات الاختبار لأن ذلك يقيد المدرس أو من يقوم بتصميم الاختبار الأخذ بنظر الاعتبار الشمول وتغطية المحتوى , وقد أعد الباحث جدول مواصفات للفصول الثلاثة الأولى التي درسهن لطالبات المجموعتين التجريبية والضابطة وللمستويات المعرفية الاربعة من تصنيف بلوم (معرفة – فهم – تطبيق – تحليل) وحسب الأهمية النسبية لكل فصل من المادة الدراسية استناداً إلى عدد الحصص الكلي المقرر.

جدول (3)

الخريطة الاختيارية (جدول المواصفات) لفقرات الاختبار ألتحصيلي

الفصول	عدد الخطط	نسبة المحتوى	معرفة %39	فهم %33	تطبيق %19	تحليل %9	المجموع
الفصل الأول	12	%42	5	4	2	1	12
الفصل الثاني	7	%26	3	2	2	1	8
الفصل الثالث	8	%32	4	3	2	1	10
المجموع	27	%100	12	9	6	3	30

3- صياغة فقرات الاختبار التحصيل :

قام الباحث بإعداد اختبار من نوع (الاختيار من متعدد) بأربعة بدائل وحدد فقراته بأربعين فقرة , وهذا النوع من الاختبار يغطي محتوى المادة وكذلك يمتاز بالشمولية لكل اجزائها ، المراد اختبار الطالبات فيها وهي الفصول الثلاثة الأولى من مادة التاريخ وكذلك يغطي الأهداف السلوكية للمادة ويعد هذا

الاختبار من أكثر انواع الاختبارات صدقاً وثباتاً في أحكامها وأقل تخمين من بقية الاختبارات من أسئلة الصواب والخطأ ، كذلك يمتاز بالموضوعية والسهولة في التصحيح (علام ،2006، 147) مما يتيح الفرصة للباحث بسهولة تحليل نتائجه إحصائياً .

4- صدق الاختبار:

.يقصد بصدق الاختبار هو ان يقيس الاختبار ما وضع لقياسة ، ويعد الصدق من الشروط الضرورية التي يجب توافرها في الاداة التي تعتمدها أية دراسة ،. ولكي يكون الاختبار صادقا ومناسبا للأهداف السلوكية التي صمم من اجل تحقيقها فقد استعمل الباحث صدقين للاختبار هما:-

أ-الصدق الظاهري:

ويقوم هذا الصدق "على فكرة مدى مناسبة الاختبار لما يقيس ولمن يطبق عليهم ،ويبدو هذا الصدق في وضوح البنود ومدى علاقتها" بالصفة "التي يقيسها الاختبار, والاختبار الجيد لابد ان يكون صادقا ، اذ ينبغي ان تكون فقراته صالحة لقياس الظاهرة او السمة المراد قياسها ، وتحدد هذه الصلاحية عن طريق بعض الخبراء والمتخصصين الذين يقومون بفحص الفقرات منطقيا ، وتقدير مدى ملائمتها للهدف الذي اعده لقياسة . (بوفام ،2005: 63) .ولغرض التحقق من صدق الاختبار" الظاهري عرضت فقراته على عدد من الخبراء والمتخصصين في" العلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس ، للتأكد من صلاحيتها وملائمتها لمستوى الطالبات 0

ب-صدق المحتوى :

ان هذا النوع من الصدق يقيس مدى تمثيل الاختبار لمحتوى المادة الدراسية والإغراض السلوكية تمثيلا جيدا في فقرات الاختبار ، لذلك يعد صدق المحتوى شرطا جوهريا من شروط صلاحية فقرات الاختبارات التحصيلية.(امطانيوس،1997: 258) ولا يمكن التأكد من هذا النوع من الصدق في الاختبارات التحصيلية ما لم تكن هناك أهداف واضحة ، ومحددة للتأكد من ان الاختبار يقيس فعلا ما وضع لقياسه ومن الطرق المفيدة في تحقيقه هو أعداد الخريطة الاختيارية (جدول المواصفات) للاختبار الذي يضم عناصر المحتوى المرتبطة بالأهداف التعليمية التي يراد قياسها

5- التجربة الاستطلاعية :

لغرض معرفة المدة التي تستغرقها الإجابة عن الاختبار ، ووضوح فقراته وكشف الغامض منها ، طبق الاختبار التحصيل على عينة استطلاعية من الطالبات بلغت (60) طالبةٍ من طالبات الصف الرابع – ومن مجتمع البحث نفسه ، بعد أن درسن الموضوعات نفسها التي درسهن طالبات عينة البحث, وقد أتضح إن زمن الإجابة عن فقرات الاختبار (40) دقيقة0

أ- معامل صعوبة الفقرات :

نعني به مستوى التعقيد الذي يواجه الطالب في الإجابة الصحيحة عن الفقرة الاختيارية ، وما إذا كان ذلك المستوى عاليا ام متوسطا" ، ويحدد مستوى الصعوبة بنسبة الطلبة الذين يجيبون عن الفقرة إجابة صحيحة , وتدل بعد أن حسبت الباحث معامل صعوبة كل فقرة من فقرات الاختبار وجدها تتراوح بين (0,30) و (0,60)، ويرى بلوم أن الفقرات الاختيارية تعد مقبولة إذا كان معدل صعوبتها يتراوح بين (0,20) و (0,80) (Bloom, 1971. 66)، وهذا يعني أن فقرات الاختبار جميعها تعد مقبولة

ب- معامل تمييز الفقرات

يقصد بالقوة التمييزية للفقرات هي قدرة فقرات الاختبار على التمييز بين الفروق الفردية للافراد في ما يقيسه ذلك الاختبار ، ونعني بها قدرة هذه الفقرات على التمييز بين الطلاب الذين حصلوا على درجات مرتفعة والذين حصلوا على درجات منخفضة عند اجابتهم على هذه الفقرات , اذ ان قوة تمييز الفقرات تعد من المؤشرات المهمة على صلاحية فقرات الاختبار والحكم على جودتها ، وبعد أن حسبت الباحثة القوة التميزية لكل فقرة من الفقرات الاختبار وجدتها تتراوح بين (31.,.) و (0.63) ,وذلك لان زيادة قوة تمييز الفقرة تجعل الاختبار ألتحصيلي جيدا. (علام،2006: 255)

ج- ثبات الاختبار :

يشير الثبات إلى درجة الاستقرار أو الاتساق في الدرجات المتحققة على أداة القياس مع الزمن , كذلك يقصد بثبات الاختبار,هو الاختبار الذي يعطي نتائج متقاربة أو النتائج نفسها إذا طبق أكثر من مرة في ظروف متماثلة , وقد تم حساب ثبات اختبار التحصيل باستخدام :

طريقة التجزئة النصفية:

تقوم هذه الطريقة على إيجاد الارتباط بين جزئي الاختبار إذ تقسم فقرات الاختبار إلى جزئين ، يمثل الجزء الأول الفقرات ذات الأرقام الفردية ، في حين يمثل الجزء الثاني الفقرات ذات الأرقام الزوجية، والقيم الناتجة عن هذه الارتباطات تسمى معامل الثبات , وقد اختيرت هذه الطريقة لحساب ثبات الاختبار لأنها تلغي اثر التغيرات التي تطرأ على حالة المتعلم العلمية والنفسية وتؤثر في مستوى أدائه للاختبار.(المليجي، 2000: 389) ثم حسب معامل الثبات بين جزئي الاختبار باستعمال معامل ارتباط بيرسون (Bearson) فبلغ (0,75) وبعد ذلك صحح باستخدام معادلة سبيرمان- براون فبلغ (0,86)

خامساً : تطبيق التجربة :

1. بدأ الباحث تجربته البحث على طالبات مجموعتي البحث التجريبية والضابطة بتاريخ 15 /10 / 2025 وانتهت يوم 16 / 12/ 2025 .

2. درّس الباحث طالبات مجموعتي البحث التجريبية والضابطة بموجب الخطط التدريسية التي أعدّها ..

3. طبّق الباحث اختبارا التحصيل الذي أعدّه للقياس عند طالبات مجموعتي البحث في وقت واحد وفي ساعة واحدة يوم 16 /12 /2025

4- الاتفاق مع إدارة المدرسة بتنظيم الجدول الأسبوعي وذلك بتخصيص يوم الأحد والأربعاء

5-أعطت مجموعتي البحث المادة العلمية نفسها من إذ الكمية فكانت المجموعتين في تساوي لما عرضت عليها المادة العلمية.

الفصل الرابع

نتائج البحث وتوصياته

اولاً – عرض النتيجة :

1- نتائج درجات الاختبار التحصيل :

الفرضية : لا توجد فروق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن مادة التاريخ بإستراتيجية التفكير الاقناعي وبين متوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللاتي يدرسن المادة نفسها بالطريقة التقليدية في درجات اختبار التحصيل .

بعد تصحيح اجابات الطالبات في درجات اختبار التحصيل وتبين أن متوسط درجات المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التاريخ بإستراتيجية التفكير الاقناعي بلغ (22,32) والانحراف المعياري (2,52) في حين بلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة الذين يدرسون مادة التاريخ بالطريقة التقليدية (17,66) والانحراف المعياري (3,43) ولمعرفة دلالة الفرق بين المتوسطين استعمل الباحث الاختبار التائي(t–test) اذ تبين أن القيمة التائية المحسوبة (5,53) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية (2.000) عند مستوى دلالة0(5 0 ,0) ودرجة الحرية (58) مما يشير إلى وجود فرق ذو دلالة احصائية وبهذا ترفض الفرضية الصفرية وهذا يعني تفوق طالبات المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التاريخ على طالبات المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة التقليدية في درجات الاختبار التحصيل وكما موضح في جدول (4).

جدول (4)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لدرجات المجموعتين التجريبية والضابطة في درجات الاختبار التحصيل

المجموعة	عدد افراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	30	42,22	2,52	58	5,53	2.000	دالة إحصائيا
الضابطة	30	66,17	43,3				

وفي ضوء هذه النتيجة ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة اي أنه (توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات طالبات المجموعة التجريبية اللاتي درسن مادة التاريخ بإستراتيجية التفكير الاقناعي على طالبات المجموعة الضابطة اللاتي درسن بالطريقة التقليدية.

ثانيا – تفسير النتيجة :

وجود فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللاتي درسن مادة التاريخ بإستراتيجية التفكير الاقناعي وبين متوسط درجات المجموعة الضابطة اللاتي درسن المادة نفسها بالطريقة التقليدية في درجات الاختبار التحصيل , وهذا يعود الى الأسباب الآتية :

1- أن إستراتيجية التفكير الاقناعي جعلت الطالبات محور العملية التعليمية مما أثر بشكل كبير في إثارة رغبتهن واتجاهاتهن واثارة نشاطهن نحو المادة وهذا ما أظهرته نتائج البحث الحالي

2- أن تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة يعود الى أن تطبيق خطوات استراتيجية التفكير الاقناعي يعطي الحرية للطالبات والمرونة في عمليات الاستكشاف والاستنتاج وهذا ما انعكس على اتجاه الطالبة اتمما سهل عليهم تنمية القدرات العقلية وتنظيم الأفكار وتنمية التفكير لديهن .

3- هيأ الإستراتيجية فرصة للتعاون بين الطالبات أنفسهم بحرية لتبادل الافكار في أثناء عملية التعلم حيث كان له الأثر الكبير في التحصيل الدراسي.

4- أن تفوق طالبات المجموعة التجريبية اللاتي درسن بإستراتيجية التفكير الاقناعي يعود هذا الى ما تمتلكه هذه الإستراتيجية من خصائص إيجابية من حيث إعطاؤه الحرية في تطبيق الخطوات الخاصة بها وإحداث حالة من التفاعل بين طالبات مما يؤدي الى زيادة التحصيل لديهن .

5- تساعد خطوات إستراتيجية التفكير الاقناعي الطالبات على ايضاح وتفسير ما يصادفهن من صعوبات وتعقيدات في الحقائق والمعلومات المراد معرفتها .

ثالثا- التوصيات :

في ضوء ما توصلت إليه البحث الحالية من نتائج يمكن تقديم التوصيات الآتية :

1- التشجيع على استعمال الاستراتيجيات التدريسية الحديثة ولاسيما استراتيجية التفكير الاقناعي في تدريس مادة التاريخ لرفع مستوى التحصيل والاتجاه والتحدث .

2- ضرورة إدخال مدرسي التاريخ دورات تدريبية لتعريفهم بالاستراتيجيات التدريسية الحديثة ومنها إستراتيجية التفكير الاقناعي .

رابعا– المقترحات :

1– إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية في مراحل دراسية أخرى .

2– إجراء دراسة مقارنة بين اثر إستراتيجية التفكير الاقناعي واستراتيجيات تعليمية أخرى في اكتساب المفاهيم لمراحل دراسة أخرى .

المصادر العربية والأجنبية :

- إبراهيم, عبد اللطيف فؤاد واحمد سعيد مرسي (1979) , المواد الاجتماعية وتدريسها الناجح , ط4 , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , مصر .
- ـــــــــــــــــ (1994) , المواد الاجتماعية وتدريسها الناجح , ط4, مكتبة النهضة المصرية , القاهرة .
- أمطانيوس ، ميخائيل (1997) . القياس والتقويم في التربية الحديثة . سوريا ، دمشق : منشورات جامعة دمشق .
- بوفام ، جيمس (2005) . تقويم العملية التدريسية (مايحتاج ان يعرفه المعلمون) . (ترجمة : مؤيد حسن فوزي) . فلسطين ، غزة : دار الكتاب الجامعي
- خلف ، مراد أحمد.(2023). أثر فاعلية استراتيجية(المراسل المتنقل) في تحصيل طلاب المرحلة المتوسط ة في مادة الاجتماعيات وتنمية ذكائهم الاجتماعي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مجلد(23)، العدد(3)، الجزء(1)، ص283– 319.
- الحيلة , محمد محمود وتوفيق احمد مرعي , (2002) : طرائق التدريس العامة , ط1 , دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة , الاردن .
- الزوبعي ، عبد الجليل ابراهيم واخرون (1981) : مناهج البحث في التربية ، الجزء الاول ، جامعة بغداد.
- سليمان , جمال , (2000) , دراسة تحليلية للأسئلة المتوافرة في كتب التاريخ في المرحلة الإعدادية في الجمهورية العربية السوريا , مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية , العدد (3) , المجلد (16)
- صخي , حسن حطاب (1995): الادارة والاشراف التربوي للصف الخامس معهد اعداد المعلمين والمعلمات , ط5 , مكتبة فرح لطباعة , بغداد .

- الطيطي , محمد حمد وأخرون , (2009) , مدخل الى التربية , ط2 , دار الميسرة , عمان
- عبيدات ، ذوقان (2007) : استراتيجيات التدريس في القرن الحادي والعشرين دليل المعلم والمشرف التربوي ، ط1 ، دار الفكر ، عمان.
- عطية، محسن علي (2008): الاستراتيجيات الحديثة في فن التدريس الفعال، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- عودة ، احمد سليمان (1998) : التقويم والقياس في العملية التربوية ، دار الامل للنشر والتوزيع ، الاردن.
- العامري، محمد و الساعدي ،علي .(2022). الاتصال المواجهي الحملات الانتخابية وتأثيرها في الجمهور، العربي للنشر والتوزيع، قصر النيل، مصر
- علام , صلاح الدين محمود (2006) القياس والتقويم التربوي والنفسي ,ط1, دار الفكر العربي, عمان , الاردن .
- ملحم ، سامي محمد (2001) :سيكولوجية التعلم والتعليم،ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- المباح , رنا حسيب كاظم (2002م): تقويم كتاب التاريخ الحديث والمعاصر للوطن العربي للصف السادس الادبي في ضوء الاهداف التربوية الموضوعة له , الجامعة المستنصرية , كلية التربية , (رسالة ماجستير غير منشورة) . العراق
- مجيد,عبد الحسين رزوقي وياسين حميد عيال (2012), القياس والتقويم للطالب الجامعي ,مكتبه اليمامه للنشر والتوزيع , بغداد.
- المليجي ، حلمي (2000) علم النفس المعاصر ،ط8،لبنان، دار النهضة العربية, بيروت
- النوري، عبد الغني (1991)، اتجاهات جديدة في الأدارة التعليمية في البلاد العربية، ط1، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة.
- الناقة، محمود كامل وحافظ وحيد السيد. (2002): تعليم اللغة العربية في التعليم العام: مداخلة وفنياته، مطبعة الاخلاص للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- وزارة التربية , جمهورية العراق (1990) : الأهداف التربوية في القطر العراقي , ط2 , مطبعة وزارة التربية رقم (3) , العراق .
- وزارة التربية , جمهورية العراق , (1987) , نظام المدارس الثانوية .

- الهاشمي، عبد الرحمن ومحسن علي عطية (2009). تحليل محتوى مناهج اللغة العربية (رؤية نظرية تطبيقية)، دار الصفاء، عمان ـ الأردن.
- **Nunnally, J. (1978): Psychometric Theory, New York, McGraw- Hill.**
- Lakhani ,K. (2016).**Revolutionizing Innovation: Users, Communities, and Open Innovation**. Forthcoming with MIT Press, Harvard University
- **-Bloom, penjamin, etal.(1971) . Hand book on formative and summative evaluation of student learning mc grow Hill, Newyork**

التمكين السياسي للمرأة في المجتمع العراقي بعد عام 2005

أ.د. اسراء علاء الدين نوري – كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين

البريد الالكتروني: dr.israa@nahrainuniv.edu.iq

الملخص

يعد التمكين السياسي بُعد من أبعاد عملية تمكين المرأة؛ لأنه نوع من الدعم الخارجي الذي تقدمه الدولة الحديثة للنساء، يتخذ شكل سياسات عامة وإجراءات هادفة الى إشراك النساء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، من أجل دفعهن نحو تجاوز وضعية الاستضعاف والتهميش التي توارثتها منذ قرون متوالية، بعبارة أُخرى جعل المرأة مُمتلكة القوة والإمكانات والقدرة لتكون عنصراً فاعلاً في التغيير، وهذا مُرتبط ارتباط وثيق بتحقيق ذات المرأة وحضورها على أرض الواقع من خلال صيانة وضمان حقوقها السياسية في ضوء الستور العراقي الدائم لعام 2005 بتعزيز قدرتها في المشاركة السياسية بصورة جدية وفاعلة في نشاط المنظمات السياسية والشعبية الأُخرى والنقابات المهنية ومكاتبها الإدارية وإيصالها الى مواقع اتخاذ القرار في المجتمع والبرلمان. وهذه الحقوق لا يمكن القول بها ما لم يكن هنالك تمكين حقيقي للمرأة لأخذ دورها وممارسة تلك الحقوق بشكل صحيح.

الكلمات المفتاحية: التمكين، التمكين السياسي، دور المرأة، المعوقات، الاليات.

ABSTRACT

Political empowerment is one dimension of the process of empowering women, because it is a type of external support that the modern state provides to women, taking the form of public policies and procedures aimed at involving women in political, economic and social life, in order to push them towards overcoming the position of vulnerability and marginalization that they have inherited for successive centuries. In other words, making women possess the power, capabilities and ability to be an active element in change. This is closely linked to women's self-realization and active participation in society through

upholding and guaranteeing their political rights, as enshrined in the 2005 Iraqi Constitution. This involves enhancing their capacity for meaningful and effective political participation in the activities of political and other popular organizations, professional unions, and their administrative offices, and ensuring their access to decision-making positions in society and parliament. These rights cannot be truly realized without genuine empowerment of women to assume their roles and exercise these rights effectively

Keywords: Empowerment, political empowerment, role of women, obstacles, mechanisms.

المقدمة

إن قضية تمكين المرأة ومدى مشاركتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالمجتمع العراقي، يعد مشكلة بحثية تستحق الدراسة، ذلك لما للمجتمع العراقي من سيسيولوجيا خاصة، فعندما نستحضر المجتمع العراقي، فيتبادر إلى أذهاننا تلك التركة الاجتماعية المعقدة والمتشابكة، ذلك لأن هذا المجتمع يحمل في أرجائه كافة العناصر والطبقات بدءاً من التقليدية وانتهاءً بالمعاصرة والحديثة. وأن قضية التمكين للمرأة تزداد بشكل واضح في ظل بعض المجتمعات التي تحصر دور المرأة في الإنجاب، وإدارة شؤون المنزل. وتزداد المشكلة تعقيداً خاصة في ظل أن القانون العراقي الذي يساوي بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات.

وتعد مشاركة المرأة العراقية في الحياة السياسية عنصرًا أساسيًا في تحقيق التنمية المستدامة وبناء مجتمع عادل ومتوازن، إذ تمثل المرأة نصف المجتمع ولا يمكن إغفال دورها في عملية صنع القرار. وقد شهدت المشاركة السياسية للمرأة العراقية تطورًا ملحوظًا بعد عام 2003، ولا سيما مع اعتماد نظام الكوتا النسائية الذي أسهم في تعزيز تمثيل المرأة في مجلس النواب والمؤسسات السياسية، إذ تنسجم مشاركة المرأة العراقية سياسيًا مع الهدف الخامس من أهداف التنمية المستدامة (المساواة بين الجنسين)، الذي يؤكد على تمكين النساء والفتيات وضمان مشاركتهن الفاعلة في الحياة السياسية والعامة.

كما تسهم هذه المشاركة في تحقيق الهدف السادس عشر (السلام والعدل والمؤسسات القوية) من خلال تعزيز الحكم الرشيد، والمشاركة الشاملة، وبناء مؤسسات تمثيلية تعكس جميع فئات المجتمع. وقد أسهمت

المرأة العراقية في طرح القضايا الاجتماعية والإنسانية، والمشاركة في سنّ التشريعات المتعلقة بحقوق الإنسان، والتعليم، والصحة، إضافة إلى دورها في منظمات المجتمع المدني والحركات الإصلاحية، إلا أن هذا الدور ما زال يواجه تحديات عدة، من أبرزها القيود الاجتماعية، وضعف التمكين الحقيقي داخل الأحزاب السياسية، ومحدودية وصول المرأة إلى المناصب القيادية المؤثرة. ويتطلب تطوير المشاركة السياسية للمرأة العراقية اعتماد سياسات داعمة للتعليم والتدريب السياسي، ونشر الوعي المجتمعي بأهمية دور المرأة، وتوفير بيئة قانونية تضمن تكافؤ الفرص. كما يجب تعزيز الإعلام الهادف الذي يدعم صورة المرأة القيادية، بما ينسجم مع أهداف التنمية المستدامة الرامية إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية الشاملة جامعة المستقبل الاولى على الجامعات الأهلية في العراق.

هدف البحث إلى التعرف على الدور السياسي للمرأة في العراق بعد عام 2003، وذلك من خلال دراسة حالة المرأة العراقية، واعتمدت **منهجية البحث** على **المنهج الوصفي التحليلي ومنهج النظم** في الإجابة على **إشكالية** تتعلق بدور المرأة في المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع العراقي، وذلك لكون المجتمع العراقي يتمتع بخصوصية تبدو ظاهرة عند استحضار هذا المجتمع، حيث يتبادر إلى الأذهان تلك التركات الاجتماعية المتشابكة والمعقدة بشكل كبير، حيث أن هذا المجتمع يتكون من كافة الطبقات، فمن الطبقة التقليدية إلى الطبقة المعاصرة والحديثة.

وإن **أهمية البحث** تنطلق من اهمية القضايا التي ترتبط بالمرأة تزداد بشكل كلي وظاهر في بعض المجتمعات التي حصرت دورها في إنجاب الأطفال، وإدارة الشؤون المنزلية، حيث توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج كان من أهمها توجد علاقة قوية بين تعليم المرأة العراقية ودورها ومشاركتها السياسية، لان المرأة المتعلمة والمثقفة تصبح قادرة على اتخاذ القرارات المناسبة، فيما يتعلق بها شخصياً وبأسرتها ومجتمعها، حيث أن المشاركة السياسية للمرأة العراقية هي بحد ذاتها قفزة نوعية تدل على درجة استقلالية المرأة لنفسها ولقرارها وبالتالي تقلل من اعتمادها على الرجل، كما وأوصت البحث بعدة توصيات كان أبرزها التأكيد على الحكومة العراقية بضرورة إلغاء كافة تحفظاتها على اتفاقية سيداو، واتخاذ ما يلزم من الإجراءات والتدابير لتنفيذ المادة (5) من تلك الاتفاقية التي تتعلق بتغيير الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة، بهدف تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة.

المحور الاول/ مفهوم التمكين والتمكين السياسي

يعرف تمكين المرأة بأنّه العملية التي تُشير إلى امتلاك المرأة للموارد وقدرتها على الاستفادة منها وإدارتها بهدف تحقيق مجموعة من الإنجازات، وبناءً على هذا التعريف يتبيّن أهمية توافر ثلاثة عناصر

مترابطة لتستطيع المرأة ممارسة اختياراتها الفردية؛ وهي: الموارد، والإدارة، والإنجازات، ويُشير كلّ من تلك العناصر إلى معنى مختلف؛ فالموارد تُشير إلى التوقعات والمخصصات المادية، والاجتماعية، والبشرية، أمّا الإدارة فتُشير إلى قدرة المرأة أو على الأقل إحساسها بالقدرة على تحديد أهدافها الاستراتيجية التي تريد الوصول إليها في حياتها والتصرّف بناءً على تلك الأهداف واتخاذ القرارات بناءً على نتائج تلك الأهداف، أمّا الإنجازات فهي تُشير إلى مجموعة متنوعة من النتائج التي تبدأ من تحقيق مستوى عيش كريم وتحسينه إلى تحقيق مبدأ تمثيل المرأة سياسياً[1].

ويعرف التمكين السياسي حسب البنك الدولي في تقريره حول التنمية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا سنة 2003 بانه: " توسيع قدرات وإمكانيات الأفراد في مشاركة والتأثير والتحكم والتعامل مع المؤسسات التي تتحكم في حياتهم إضافة إلى إمكانية محاسبة هذه المؤسسات"[2]، فالتمكين السياسي والإعلامي هو عملية معقدة تتطلب تبنى سياسات وإجراءات، وإحداث هياكل مؤسساتية وقانونية، بهدف التغلب على أشكال عدم المساواة وضمان الفرص المتكافئة للنساء في تنظيم المشاركة السياسية لها، من أجل المرور إلى التمكين الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي والإداري.

ويعرف تمكين المرأة بأنه: عملية تمكين النساء، وزيادة وعيهن؛ عن طريق توفير الوسائل الثقافية والتعليمية والمادية حتى يتمكن من المشاركة اتخاذ القرار والتحكم في الموارد التي تعنيهم[3].

وهو قدرة المرأة على الحصول على الموارد والسيطرة عليها، والقيام بخيارات، واتخاذ قرارات واعية، والتأثير على التغيرات التي تطرأ على المستويات المحلية، والأسرية، والوطنية.

والتمكين هو اتاحة الفرصة للمجتمع للقيام بدور فعال في جميع مراحل عملية التنمية بكل من الجوانب الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية من حيث اتحاذ القرار، التخطيط، المتابعة، التنظيم، فالتمكين المستدام مدخلاً لتحقيق التنمية المحلية المستدامة[1].

---

[1] المهندس الاقدم لينا مدحت حسين ناجي، م.م. عبدالله عبدالملك نعمة عبدالرحمن، تمكين المرأة في الجانب السياسي والاداري والتعليمي والثقافي، مجلة دراسات المرأة، العدد (3)، الامانة العامة لمجلس الوزراء/ دائرة شؤون المرأة العراقي، بغداد، اذار 2024، ص189.

[2] ينظر: موقع البنك الدولي

http://web.worldbank.org/archive/website00857/WEB/PDF/MNA_ST-2.PDF

[3] عبد الله عثمان الكوح، معوقات تمكين المرأة العربية: تحليل سوسيولوجي. مجلة كلية الآداب، مج44، جامعة عين شمس، 2016، ص266.

ويمكننا القول بأن التمكين هو تزويد الفرد بالأدوات والمعرفة والمهارات وخلق الدافع والإحساس بالثقة والتي تعتبر عوامل حيوية لتمكينه من اصدار واتخاذ قرارات تقوم علي الواقع والمهارات والقدرات المتاحة.

ويمكن وضع مفهومٍ أجرائي للتمكين بأنه:

- استراتيجية محورية لتحقيق التنمية.
- يتضمن آليات تقوم بها الدولة لمساعدة المرأة علي بناء وتنمية قدراتها ومهاراتها ومعارفها وتعزيز ثقتها بذاتها ودورها في المجتمع.
- أداة فعالة لتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية والاقتصادية.

وتتعدد أشكال التمكين السياسي بتعدد أوجه المشاركة السياسية، وتتنوع أبعادها تبعا لهذه الأوجه، فهناك المشاركة الرسمية، كحال العضوية في الحكومة أو البرلمان، والمجالس الجهوية والمحلية، ومنها الغير رسمية كالعضوية في الأحزاب السياسية والجمعيات ذات الطابع السياسي والنضال في مختلف النقابات والمنظمات غير الحكومية، و هيئات المجتمع المدني.

عادة ما يشيع استخدام لفظ تمكين المرأة في وسائل الإعلام ، لكن في الحقيقة إن مفهوم التمكين ليس مرتبط بالمرأة وحدها، كما أنه ليس له تعريف مباشر، لكنه ارتبط دائمًا بالمرأة لأنها دائمًا تكون هي الأقل قدرة في كثير من المجتمعات على السيطرة على ظروف حياتها وتحقيق أهدافها، فالتمكين يشمل الحصول على الفرص الأساسية لأي شخص مهمش في المجتمع، ويمكن تقسيم أنواع التمكين إلى: [2]

1) **التمكين الاجتماعي:** قد يكون التمكين الاجتماعي أحد أبرز أشكال التمكين التي تظهر في وسائل الإعلام، وهو يهف إلى تقوية العلاقات الاجتماعية للمرأة وزيادة مكانتها في الهياكل الاجتماعية، مما يمنحها فرصًا أكبر خارج المنزل.
2) **التمكين التعليمي:** يعد التعليم جزءًا أساسيًا من النمو والتطور ، ولكن لا تزال هناك أماكن في العالم تحرم الفتيات من التعليم لذلك يتم الحديث دائمًا عن تمكين المرأة من التعليم، مع ذلك قد يكون هناك تمييز في التعليم في بعض المجتمعات ضد الرجال

---

[1] ريحان محمد ريحان، تنمية المجتمعات الجديدة: التمكين كأداة فعالة في عمليات التنمية الحضرية المستدامة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2002، ص243.

[2] المهندس الاقدم لينا مدحت حسين ناجي، م.م. عبدالله عبدالملك نعمة عبدالرحمن، مصدر سبق ذكره، ص183 – 185.

3) **التمكين الاقتصادي:** تتركز أهداف التمكين الاقتصادي في مساعدة تلك الفئات المحرومة من الوصول لحالة مالية تسمح لهم بقدر من السيطرة على حياتهم.
4) **التمكين السياسي:** يمكن أن يكون وجود صوت في السياسة أمرًا جوهريًا في السماح بدفع وجهة نظر المجموعة إلى ضوء وسائل الإعلام السائدة ، والمشاركة السياسية لكافة أفراد المجتمع تعني ضمناً لامركزية السلطة، وانتقال بعض السلطة إلى الأشخاص المحرومين والمضطهدين والضعفاء، والتمكين السياسي لا تعني فقط منح صوتًا لأولئك الذين ليس لديهم صوت في كيفية إدارة الأمور، ولكنه أيضًا السماح لهم بالمشاركة في وضع السياسات والبرامج التي من شأنها أن تحسن من أحوال هذه المجموعات التي تعاني من التمييز.
5) **التمكين النفسي:** يتوافق التمكين النفسي مع التمكين الاجتماعي فهو يهدف لتخطي المحرمات والالتزامات الاجتماعية التقليدية والأبوية، ويتيح للإنسان وخاصة المرأة تجاوز ما هو متوقع منها في المجتمع، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى بناء الثقة بالنفس، ومساعدة النساء على التعرف على قيمتهن الذاتية، ويمنحهن الفرصة للسيطرة على دخلهن وجسمهن.

المحور الثاني/ معوقات تمكين المرأة في العراق

تتعدد معوقات تمكين المرأة؛ ويمكن تناول أبرزها فيما يلي: [1]

أولًا: معوقات ذاتية: أنه بالرغم من اتفاق الباحثين على أن هناك معوقات للمشاركة الفاعلة للمرأة في أنشطة المجتمع المختلفة، وأن تلك المعوقات دائما ترتبط بعوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية؛ إلا أن هناك معوقات شخصية لدى المرأة ذاتها، وتصوراتها حول قدراتها وأدوارها وهو ما يحول دون أن تستفيد من الفرص المتاحة أمامها للمشاركة ، واكتساب الأدوار والمكانات؛ لأنه على الرغم مما أتاحته لها القوانين والتشريعات من فرص للمشاركة إلا أنها لم تستفد منها على قدر توفرها؛ الأمر الذي يؤكد على فكرة التمكين والمساعدة الذاتية للحصول على تلك الفرص، والمعوقات الشخصية المرتبطة بالمرأة نفسها؛ والتي تتضمن ضعف قدرتها على تنظيم الوقت، والخوف من الفشل، وخوف بعض النساء من تحمل المسئوليات الاجتماعية، وعدولهن

---

[1] ينظر: مهند جميل وحيد العبيدي، التمكين الاقتصادي للمرأة وفق رؤية تربوية اسلامية وانعكاسه على التنمية المستدامة، مجلة دراسات المرأة، العدد (3)، الامانة العامة لمجلس الوزراء/ دائرة شؤون المرأة العراقي، بغداد، اذار 2024، ص201 – 202. و د. أحمد الرشيدي، المشاركة السياسية للمرأة العربية إلى أين؟، بحث مقدم إلى الندوة العربية: التعليم وتعليم الكبار والتمكين والمشاركة السياسية للمرأة، القاهرة: 7 – 10 مايو 2005 ، ص42. وسماء سليمان، الحقوق السياسية للمرأة ودور منظمتي الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2009، ص42 .

عن القيام بمهام تتطلب الخروج من البيت والبقاء خارجه مدة طويلة، وعدم رغبتهن في الانضمام إلى المؤسسات الاجتماعية.

ثانياً: معوقات ثقافية مجتمعية: من أهم العوائق الاجتماعية التي قد تحول دون تمكين المرأة المفاهيم المرتبطة بمكانة المرأة؛ حيث تحتاج إلى وقت وتدرج في إحداث التغير بها، وكذلك العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية والتناقض بين الأنظمة والواقع الاجتماعي المناعي ومن أكبر المشكلات الاجتماعية التي لا تزال تواجه المرأة العاملة في بعض المجتمعات العربية هي رفض المجتمع لعملها في بعض المهن؛ ومما يؤكد ذلك ربط كثير من الكلمات والعبارات بالمرأة؛ مثل الشرف، النسب، السمعة، الرجولة، وادعاء بعض فئات المجتمع بأن التغيرات السلبية التي يتعرض لها المجتمع ترجع إلى المطالبات العديدة للمرأة بالعمل في مجالات تتطلب اختلاطا؛ مثل: (الإعلام، الصحة، السياحة، البيع في المحلات التجارية).

ثالثاً: معوقات اقتصادية مرتبطة ببيئة العمل: قد تواجه المرأة العاملة بعض المعوقات المرتبطة ببيئة العمل؛ منها: عدم توافق الراتب مع ساعات العمل، تكليف الموظفة بأعمال وظيفية شاقة، عدم الالتزام بصرف خارج دوام مقابل ساعات العمل الإضافية، سوء معاملة الموظفات، والتدخل في مهامهن، ومخالفة المسمى الوظيفي في العقد، وقصر مدة الإجازات، ويضاف لما سبق ابتعاد بيئة العمل غالبا عن مكان سكن المرأة؛ مما يترتب عليه تحمل المرأة مشقة وتكاليف المواصلات والتنقل وصولًا لمقر عملها. أن عدم المساواة فى الدخل بين الجنسين عاملا اقتصاديًا معيقًا لتمكين المرأة.

رابعاً: معوقات السياسية: مثل جو الانتخابات المشوب بأشكال العنف، الذي يتجسد في شراء الذمم والمشاحنات وشراء الأصوات، والتشهير الذي يطال بعض المرشحات من الخصوم والذي يسيء إلى النساء بشدة، خاصةً في مجتمعنا الشرقي، كذلك غياب القوانين المنصفة يعيق تقدمها فهي لا تحصل على حقوقها المدنية، وقانون الأحوال الشخصية يظلمها، كقانون الجنسية وقانون العمل والزواج والطلاق وقانون الميراث كلها غير منصفة للمرأة.

المحور الثالث/ مظاهر التمكين السياسي للمرأة في العراق

لم يكن للمرأة العراقية دور في رسم السياسات في المجتمع العراقي على مدى التاريخ إلا من خلف ستار باستثناء (وزيرتين) هما (نزيهة الدليمي) في نهاية خمسينيات القرن الماضي (سعاد خليل إسماعيل) في بداية السبعينات القرن نفسه ولم تشكل مساهمة هاتين الوزيرتين، إلا نسبة ضئيلة امام طغيان الثقافة الذكورية على عالم السياسية منذ قرون مضت، وبالرغم من أن المرأة احرزت تقدما ملموساً على المستوى الإداري في وزارات الدولة وفي التعليم، فضلاً عن تميزها بالكفاءات في سوق العمل والتجارة والمقاولات، إلا ان مشاركتها السياسية بقيت دون المستوى المطلوب، إلا ان التحول السياسي بعد عام 2003، احدث تغييرا في دور المرأة

على المستويات كافة اذ حظيت بفرصة مقبولة الى حد ما في المشاركة ببيئة صنع القرار وارتفعت نسبة الوزيرات الإناث إلى (26) وزيره هن: (نسرين برواري، سوسن علي الشريفي، باسكال إيشو وردة، مشكأة المؤمن، ليلى عبد اللطيف التميمي، نرمين عثمان، أزهار الشيخلي، جوان فؤاد معصوم، باسمة يوسف بطرس، سهيلة عبد جعف، بيان دزه ئي، وجدان ميخائيل، فاتن عبد الرحمن محمود، نوال مجيد السامرائي، خلود عزارة آل معجون، بشرى حسين صالح، إبتهال كاصد الزيدي، بيان نوري، عديلة حمود، آن نافع آوسي، سها العلي بك، نازين محمد وسو شيخ محمد، وإيفان فائق يعقوب، وهيام نعمت) وطيف محمد سامي وزيرة المالية، وهيام الياسري وزيرة الاتصالات في حكومة (محمد شياع السوداني)، فضلاً عن ذلك دخلت المرأة العراقية الى ميدان العمل في مفاصل الدولة الرئيسة التشريعية والتنفيذية والقضائية، ولأجل الإحاطة بالموضوع سيتم تناوله على النحو الآتي: [1]

أولاً تمكين المرأة في السلطة التشريعية

على الرغم من التحولات السياسي الذي شهدته الدولة إلا ان التمثيل النسوي في مجلس النواب العراقي أستمر ضعيفا مقارنة بالذكور، فقد بلغ عددهن في مجلس النواب خلال الدورة البرلمانية الأولى في 2006 (73) نائبة وبنسبة (27%) من اجمالي عدد النواب البالغ (275)، انخفضت النسبة الى (25%) من اجمالي عددهم في الدورة البرلمانية الثانية عام 2010 ، ثم ارتفعت قليلاً في الدورة التشريعية الثالثة لتكون (26%) ومثلها للدورة التشريعية الرابعة، ويمكن ارجاع ذلك الى طبيعة ثقافة المجتمع العراقي الذكورية فضلاً عن النزعة العشائرية والقبلية للمجتمع ، إذ يضم مجلس النواب بدورته الحالية (97) أمرأه وهو عدد قياسي تجاوزت به المرأة حصة الكوتا النسائية ،وهذا أن دل على شيء فإنما يدل أن للمرأة دور أكثر فعالية، إذ نشهد عدداً مهماً من النساء وهن يتصدين للقيادة في الجوانب التشريعية فضلاً عن التنفيذية، ويعود هذا العدد القياسي إلى أيقاف العمل بموجب التمثيل النسبي المحسوب باستخدام طريقة سانت ليغو، الذي يقوم على اعتبار كل محافظة دائرة انتخابية في ظل تصويت واحد غير قابل للتحويل.

بناء على ما سبق يمكن القول ؛ على الرغم من مشاركة المرأة العراقية في الحياة السياسية ، إلا أن مشاركتها لا زالت ليست كبيرة مقارنة بالرجل، ومما يلاحظ ارتفاع عدد النساء في مجلس النواب بدورته الحالية، يرجع إلى الاحتجاجات العراقية لعامي 2018-2019 ، وعلى أثر تلك الاحتجاجات تغير النظام

---

[1] ينظر: لطيف كامل كليوي، زينب علي مظلوم، التحليل جغرافي لمحددات تمكين المرأة في العراق، مجلة مداد الآداب، العدد الخاص بالمؤتمرات 2019-2020، جامعة المثنى، 2020، ص ص323 – 326. ووسام حسام الدين الأحمد، التمكين السياسي للمرأة العربية، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، 2016، ص126.

الانتخابي فأصبح عن طريق الدوائر المتعددة والترشيح المستقل، الذي قسم هذا العراق إلى (83) دائرة انتخابية متعددة الأعضاء، ربع إجمالي المقاعد محجوز للنساء في مجلس النواب، بينما تسعة مخصصة للأقليات (5) منها للمكون المسيحي، و(1) مقعد لكل من المكون اليزيدي، والشبك، والصابئة والمندائيين، والأكراد الفليين.

ثانياً: تمكين المرأة في السلطة التنفيذية

ثمة تراجع في مستوى التمثيل النسوي داخل السلطة التنفيذية من دورة الى اخرى فلم تحصل النساء على منصب سيادي في رئاسة الوزراء او رئاسة الجمهورية ، وقلص تمثيلها على مستوى الوزارات الحكومية من (6) وزيرات في حكومة عام 2004، الى وزارتين في حكومة حيدر العبادي في الدورة التشريعية الثالثة 2014–2018، ثم قلص الى وزيرة واحدة عقب التعديل الوزاري لحكومة حيدر العبادي، مرد هذا الانخفاض بسبب الأوضاع السياسية الذي كان يمر بها العراق عقب احتلال ثلث أراضي العراقي من قبل تنظيم (داعش)، لتختفي الحصة النسوية تماماً في حكومة عادل عبد المهدي لعام 2019.

ثالثاً: تمكين المرأة في السلطة القضائية

يعد عام 1976 بداية دخول المرأة الى المعهد القضائي التي تم تعيين العديد من الخريجات التابعة للمعهد بصفة قضاة ومدعيات، بيد ان النظام السابق خلال المدة (1984 –2003)، قد منع المرأة من الدخول والالتحاق بسلك القضاء ما عدا اللاتي تم تعيينهن من قبل هذا القرار وعددهن ما بين (9–11) قاضية، وبعد تغيير النظام السياسي في العراق عام 2003 رفع التمييز ضد المرأة وسمح لها في التدرج القضائي لكن بنسب متدنية، إذ لم تتجاوز (6%) من مجموع القضاة لعدم وجود تحديد لنسبة لقبول النساء في المعهد القضائي، ففي عام 2017 بلغت نسبة المرأة بصفة قاضي نحو (4%) من مجموع البالغ (1225) قاضي، فيما بلغت نسبة الرجال (96%) من اجماليهم للسنة نفسها، بينما بلغت نسبتهن (16%) من اجمالي المدعي العام للسنة ذاتها البالغ عددهم (430) مدعي عام، وهذا يعكس ضعف مستوى تمثيل المرأة في السلطات القضائية في الدولة، ويمكن ارجاع ذلك الموروث الاجتماعي الذي يرفض فكرة تولي المرأة المناصب العليا وخاصة منصب القضاء.

المحور الرابع/ اليات التمكين السياسي للمرأة في العراق

أولاً/ الاليات القانونية العراقية لتمكين المرأة

1) **الدستور العراقي الدائم لعام 2005** إذ نص على العديد من المواد المتعلقة بالتمكين، فنص على مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة إذ اشارت المادة (14) على أن العراقيون متساوون دون تمييز بسبب الجنس او العرق او القومية او الأصل او اللون او الدين او المذهب او المعتقد او الرأي أو الوضع

الاقتصادي والاجتماعي، ولأجل زيادة التأكيد على ما جاء به الدستور تقر المادة (15) لكل فرد الحق في الحياة والأمن والحرية ، ولا يجوز الحرمان من هذه الحقوق أو تقييدها إلا وفقاً للقانون، وبناء على قرار صادر من جهة قضائية مختصة، ونصت المادة(16) من الدستور الدائم على مبدأ تكافؤ الفرص وأنه حق مكفول لجميع العراقيين، وتكفل الدولة اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق ذلك إذ تؤكد هذه المادة على مبدأ تكافؤ الفرص باعتباره حق مكفول للجميع حيث تقتضي هذه المادة على تكافأ الفرص امام جميع العراقيين للمنافسة في تولي الوظائف العامة، كما نصت المادة (20) منه حق المشاركة في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية بما للمواطنين رجال ونساء فيها حق التصويت والانتخاب والترشيح وهذه المادة تؤكد على حصول المرأة العراقية على الكوتا في الانتخابات والترشيح والتصويت مقارنة مع الرجل، وفيما جاءت في المادة (49) من الدستور الدائم حق المرأة في التمثيل السياسي وهذا وفق ما نصت عليه المادة (49) الفقرة (رابعاً) يستهدف قانون الانتخابات تحقيق نسبة تمثيل للنساء الا تقل عن الربع من عدد أعضاء مجلس النواب) وتؤكد هذه المادة على مشاركة المرأة في التمثيل السياسي واتخاذ القرار التي يعد أمراً بالغ الأهمية من اجل اعطاء الأولوية لقضايا واحتياجات المرأة في جداول اعمال السياسات المحلية وتوطينها اهداف التنمية[1].

2) التشريعات الوطنية: [2]

أ) **قانون انتخابات مجلس النواب العراقي لعام 2013**، نصت المادة (الرابعة) منه على ان الانتخاب يعد حق لكل عراقي ممن توافرت فيه الشروط المنصوص عليها في هذا القانون لممارسة هذا الحق دون تمييز بسبب الجنس أو العرق أو القومية او الأصل وغيرها، علاوة على ذلك تضمنت المادة (13) من هذا القانون(أولاً) يجب أن إلا يقل عدد النساء المرشحات عن (25%) في القائمة وأن لا تقل نسبة تمثيل النساء في المجلس عن (25%)، فيما تحتوي الفقرة (ثانيا) منها بأنه يشترط عند تقديم القائمة أن يراعي تسلسل النساء بنسبة امرأة بعد كل ثلاثة رجال كما تأكد المادة(15) منه الفقرة (أولاً) إذا كان المقعد الشاغر يخص امرأة فلا يشترط أن تحل محلها امرأة إلا إذ كان ذلك مؤثراً على نسبة تمثيل النساء، وهذا يدل على أن نسبة التمثيل المذكور هي (25%) تمثل الحد الأدنى

---

[1] ينظر: الدستور العراقي الدائم لعام 2005.

[2] ينظر: لطيف كامل كليوي، زينب علي مظلوم، مصدر سبق ذكره، ص321، ومجموعة مؤلفين، المرأة في القوانين الانتخابية للدول العربية الأعضاء بمنظمة المرأة العربية، منظمة المرأة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016، ص36. ووسام حسام الدين الاحمد، مصدر سبق ذكره، ص161.

وبالإمكان ان تكون مشاركة المرأة بنسبة أكثر لأن القانون حدد الحدود الأدنى للتمثيل ولم يذكر الحد الأعلى.

ب) **الأنظمة واللوائح:** يقصد بها الأنظمة الصادرة عن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات وذلك بموجب المادة (29) من قانون الانتخابات التي أعطت المفوضية صلاحية إصدار الأنظمة لوضع قانون الانتخاب موضع التنفيذ فأصدرت بناء على ذلك العديد من الأنظمة بلغت حوالي عشرين نظاما التي عالجت بعضها مسألة تمكين المرأة في العراق أذ نص نظام رقم (9 لعام 2005) الخاص بتصديق المرشحين في القسم الرابع) منه يشترط في قوائم المرشحين في أية قائمة يجب أن يكون اسم امرأة واحدة على الأقل ضمن أسماء أول ثلاثة مرشحين في القائمة واسم امرأتين على الأقل ضمن أسماء أول ستة مرشحين على القائمة وهكذا الى نهاية القائمة لقانون تلك المادة فأنه وفقا ما لم يتم تمثيل المرأة فيه بحدً وقانونيا يعد تشكيل مجلس النواب من قبل الجمعية الوطنية دستوريا أدنى ال يقل عن الربع (25%) دون تحديد الحد الأعلى وهذا يعني أن نسبة تمثيل المرأة في مجلس النواب قد يصل الى الثلثين او اكثر وال يمكن ان تقل عن الربع بحيث تمثل نسبة الربع قيد لا يمكن مخالفته.

ج) **قانون الانتخابات المحلية رقم36 لعام 2008 المعدل:** تؤكد المادة (الرابعة) من القانون على أن الانتخاب حق لكل عراقي وعراقية ممن توافرت فيه الشروط المنصوص عليها في هذا القانون لممارسة هذا الحق دون تمييز بسبب الجنس أو العرق او القومية او الأصل او اللون او الدين او المذهب او المعتقد او الوضع الاقتصادي او الاجتماعي ، ويمارس كل ناخب حقه في التصويت للانتخاب بصورة حرة ومباشرة وسرية وفردية ولا يجوز التصويت بالوكالة ، كما يتم توزع المقاعد على مرشحي القائمة المفتوحة ويعاد ترتيب تسلسل المرشحين استنادا الى عدد الأصوات التي يحصل عليها المرشح ، ويكون الفائز الأول هو من يحصل على أكثر عدد من الأصوات ضمن القائمة المفتوحة ، وهكذا بالنسبة لبقية المرشحين ، على أن تكون امرأة في نهاية كل ثلاثة فائزين بغض النظر عن الفائزين من الرجال وهذا يؤكد حق المرأة في الترشيح والتصويت دون تمييز.

وتتضمن استراتيجية تمكين المرأة مجموعة من الآليات المتكاملة وأهم هذه الآليات:

1. بناء الوعي بالذات.
2. بناء القدرات وتتجه نحو الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والصحية والتعليمية والتدريب والتأهيل وقدرات ومهارات المشاركة الاقتصادية والسياسية وكل ما من شأنه توفير الاعتماد علي الذات وتقوية المرأة.

3. بناء القاعدة المعرفية: وتتجه إلي تعميق المعرفة بقضايا المجتمع ككل ثم قضايا المرأة في الإطار السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي المحدد.
4. التمكين المستدام: ضرورة تبنيها كاستراتيجية أساسية لتمكين المرأة اقتصادياً، مع ضمان استمرار برامج وخدمات التمكين للمرأة وللأجيال القادمة من النساء.

ثانياً/ القوانين والاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة:

لقد أفرزت القوانين الدولية مكاناً مميزاً لحقوق المرأة وذلك منذ تأسيس منظمة الأمم المتحدة والتي دعت منذ البداية للاهتمام بالمساواة بين أفراد المجتمع، وإعلان المساواة بين المواطنين بدون تميز بسبب الجنس أو اللون أو الدين، ومن هذا المنطلق بدأ مجلس الشئون الاقتصادية والاجتماعية التابع للأمم المتحدة، من عام 1946م، يدعو للنهوض بالمرأة في العالم اجمع، وفي عام 1959م اصدر مجلس الشئون الاقتصادية والاجتماعية وثائق وموجهات وسياسات من أجل تمكين المرأة، كما دعت الحكومات العمل بتلك المقررات وتؤمن حقوق المرأة ورسالتها، ومن أهم ما صدر لتمكين المرأة هو مشاركتها في العمل السياسي وتبعاً لذلك أعطيت المرأة حق التصويت في بعض البرلمانات الأوربية مثل انجلترا وفرنسا، بعد ذلك جاء الاعتراف بالحقوق السياسية كاملة للمرأة في السودان ومصر والجزائر وتونس وغيرها.

ويتم تنفيذ تلك الآليات من خلال مجموعة من تكتيكات فرعية لتحقيق الهدف في مساعدة المرأة وتمكينها اقتصادياً واجتماعياً وصحياً وتعليمياً ومساعدتها علي تحسين نوعية حياتها، ومن هذه الاليات:[1]

1) مؤتمر بكين الرابع للمرأة (1995):

لا شك أن إعلان مؤتمر بكين الرابع حول المرأة والمنعقد في بكين في سبتمبر 1995م، حوى الكثير من المبادئ ليست كلها سلبية، ولكنها دعت إلي بعض المبادئ التي يعتبرها أهل الأديان السماوية، منافية للتعاليم الدينية الصادقة، والقيم التي تحترمها وترعاها معظم مؤسسات المجتمع المدني، دعا إعلان بكين في المادة 13إلي ضرورة:

- تشجيع المرأة علي إثبات مساواتها الكاملة للرجل.
- دعا إلي إزالة كافة التميز ضد المرأة.

---

[1] ينظر: محاسن عبدالعال، الديمقراطية لتامين حقوق المرأة وتمكينها في التنمية وتحقيق السلام، دليل تمكين المرأة ، الجزء الأول، جمعية بابكر العلمية للدراسات النسوية، جامعة الاحفاد للبنات،2001،ص103. و زكريا بشير إمام، امرأة في زمن العولمة ، مركز دراسات المرأة ، الخرطوم،2010، ص21 وص53. ونائلة قاسم عرفات، واقع الآليات الوطنية للنهوض بالمرأة الفلسطينية 1996 – 2008، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزنت، فلسطين، 2010، ص76. ووثيقة الجلسة العامة الرابعة للأمم المتحدة بعنوان تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة في 25 أيلول/ سبتمبر 2015.

- دعا إلي تمكين المرأة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً لمنافسة الرجل في مجال الاقتصاد والعمل والاستثمار، ونيل قدر من السلطة السياسية والإدارية.

ولا شك أن الإسلام لا يرفض هذه المبادئ، إذ أنه جاء لتحرير المرأة من الأغلال التي كانت عليها في الجاهلية.

2) اتفاقية مكافحة كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) Concussion for (CEDAO) Elimination of all Forms of Discrimination Against Women:

هذه الاتفاقية أصبحت اتفاقية معتمدة من الأمم المتحدة بعد أن تم إعلانها في 1979/12/17، وأصبحت سارية المفعول بعد أن تم التوقيع عليها بواسطة خمسين دولة منضوية تحت مظلة الأمم المتحدة في 1981/12/3، حين صادقت عليها عشرون دولة ولم تكن بينها دول إسلامية، وبعد ذلك وقعت عليها أكثر من(97)، وأما الدول التي صادقت عليها فقد بلغت أكثر من 160 دولة حتي عام 2000، ومن الدول العربية التي وقعت عليها نذكر منها الأردن، العراق، المغرب، تونس، لبنان، ليبيا، مصر، اليمن.

3) **إعلان الأمم المتحدة الحق في التنمية بشأن الألفية الثالثة 2000:** كان الهدف منه هو مراجعة وتقييم برنامج عمل بكين وتحديد المعوقات التي حالت دون تطبيق بعض أهدافه، وتبين انه تم إنشاء الكثير من الآليات الوطنية في الدول المختلفة، وتم الاعتراف بوصفها قاعدة مؤسسية تعمل لتعزيز المساواة بين الجنسين، وتدعم تعميم منظور النوع الاجتماعي ورصد وتنفيذ أهداف منهاج عمل بكين، وأنه تم إحراز تقدم في تنفيذ بعض الأهداف والعمل على التنسيق بين أنشطة الأجهزة، ولكنه أقر بوجود معوقات تحد من سير بعض مهمات الآليات الوطنية، أهمها هو قلة الموارد المالية والبشرية وعدم وجود التزاما على أعلى مستوى وعدم وجود إرادة سياسية وقلة الدراية الكافية لتعميم المساواة بين الجنسين في المؤسسات الحكومية.

4) **وضع الأهداف الإنمائية للألفية عام2000 – 2015:** في إطار ثمانية أهداف تنموية تترجم الرؤية الشاملة للمجتمعات في أنحاء العالم، وكان الهدف الثالث هو تعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، وفيما يتعلق بالآليات الوطنية فقد تم التأكيد على أهميتها في دعم الحكومة على صعيد إدماج النوع الاجتماعي في شتى المجالات، وأقر الأعضاء بأهمية اتجاه النوع وتعميمه كأداة لتحقيق المساواة بين الجنسين.

5) **خطة 2030 التنمية المستدامة:** خطة التنمية المستدامة للعام 2030 التي تكونت اهدافها من سبعة عشر هدف اعترفت بالمساواة بين الجنسين وذلك عبر الهدف الخامس من اهدافها وذلك للوصول

لبناء مستقبل أفضل للمرأة والفتاة، وتمكين المرأة وضمانة عدم تخلف رجل أو امرأة أو فتاة أو صبى عن ركب التنمية ولقد تطلبت الطبيعة المتكاملة والشاملة لخطة 2030، مقاربات خاصة بتقييم تشاركي بصورة واضحة، تحث الأمم المتحدة للمرأة على تعزيز السعي لاستخدام تقييمات تراعى النوع الاجتماعي، في تحقيق المساواة بين الجنسين إسهاماً حاسماً ، وتمكين المرأة وأحراز تقدم في تحقيق تلك الأهداف والغايات، فلا سبيل إلى تحقيقها كاملة إلا باشتراك الإمكانيات البشرية كاملة، ولا يمكن تحقيق تنمية مستدامة إذا ظل نصف البشرية معطلاً ومحروماً من التمتع بكامل حقوقه.

واستنادا على مبادئ تتوافق تماما مع التطلع إلى بناء المشاركة الكاملة والمنصفة في مختلف المجالات، تضمن المشاركة الكاملة والاستفادة المتساوية والمنصف، وذلك من خلال مجالات عمل ثمانية هي: [1]

1. نشر مبادئ الإنصاف والمساواة والشروع في إرساء قواعد المناصفة.
2. مكافحة كل أشكال التمييز والعنف ضد النساء.
3. تأهيل منظومة التربية والتكوين على أساس الإنصاف والمساواة.
4. تعزيز الولوج المنصف والمتساوي للخدمات الصحية.
5. تطوير البنيات التحتية الأساسية لتحسين ظروف عيش النساء والفتيات.
6. التمكين الاجتماعي والاقتصادي للنساء.
7. الولوج المتساوي والمنصف لمناصب اتخاذ القرار الإداري والسياسي والاقتصادي.
8. تحقيق تكافؤ الفرص بين الجنسين في سوق الشغل.

وبناء على ما سبق يمكن القول، بأن ضمان مستقبل وتطوير أمكانية المرأة في العراق سياسياً يعتمد على النظام السياسي وتوجهاته في مشاركة المرأة بهذا المجال، ومن أهم مرتكزات النظام في العملية السياسية لغرض تمكين المرأة سياسياً، يجب إعطاء الشعب بأكمله الحقوق المدنية والسياسية الكاملة كما نصت عليه الوثيقة العالمية لحقوق الأنسان العالمية، وما أشار إليه الدستور العراقي النافذ لعام (2005)، وبناء قدرات النساء من أجل القيام بالحملات الانتخابية والظهور في وسائل الأعلام، وضمان توفير التمويل الانتخابي للنساء خلال مختلف المراحل الانتخابية، وأعاده النظر في قانون الانتخابات لضمان تمثيل أوسع لأطياف

[1] تقرير المملكة المغربية، تمكين المرأة اقتصادياً، الدورة 61 للجنة وضع المرأة، نيويورك، مارس 2017، ص14.

المجتمع ولا سيما النساء على أساس العدالة، وإعادة النظر في هيكلية مجلس المفوضية العليا المستقلة للانتخابات المادة (3) وتخصيص كوتا نسائية محددة.

الخاتمة والتوصيات

لا يمكن للمجتمع أن يحقق التنمية الشاملة وبناء مجتمع جديد إذا لم يكن للمرأة دور في صياغة القرارات المتعلقة بحياتها الخاصة والعامة، وإذا لم تأخذ حصتها من الأعمال المهنية والإدارية والاقتصادية، وإذا لم تشارك في مؤسسات السلطة في مختلف المستويات وفي مؤسسات صنع القرار، فتمكين المرأة بات يشكل التحدي الأهم لتحقيق التنمية على أساس المشاركة والفرص المتساوية. وتضمن البحث عدة توصيات اهمها:

1) وضع آلية وطنية شاملة لتعزيز المشاركة السياسية للنساء ومعالجة جميع الحواجز التي تشكل تمييزاً مباشراً وغير مباشر أمام مشاركة النساء في المجال السياسي وفي جميع المستويات، واتّباع نهج من أسفل إلى أعلى، وتخصيص الموارد المالية لهذا الغرض.
2) التوجّه نحو تشريع كوتا نسائية في السلطة التنفيذية، إذ تقلّ نسبة النساء عادة في مجلس الوزراء ولا تضاهي نسبة النساء في المجلس النيابي، ما يوضح أثر الكوتا وأهميتها لمشاركة النساء في صنع القرار.
3) خلق بيئات آمنة ومواتية للمشاركة السياسية للنساء سواء في المجال الخاص أو المجال العام، من خلال اتخاذ تدابير لمنع ومكافحة جميع أشكال العنف وخطابات الكراهية المتحيزة جنسياً ضد المرأة.
4) تبنّي سياسة إعلامية رسمية شاملة لمواجهة الصور النمطية للأدوار التقليدية للنساء والرجال.
5) تشجيع مشاركة المرأة في عالم السياسة وسوق العمل من خلال ضمان توفير رعاية الأطفال ميسورة التكلفة، واعتماد تدابير لصالح توازن أفضل بين الحياة الخاصة والحياة المهنية.
6) تعميم قواعد وإجراءات واضحة تضمن عملية ترشيح شفافة لتولي المناصب القيادية داخل الأحزاب السياسية.
7) ضمان تمثيل للنساء أكبر داخل هياكل الأحزاب كالأمانة العامة واللجان التنفيذية المركزية والفرعية وتبني نظام الكوتا الطوعي داخل الأحزاب.
8) دعم وتمويل الحملات الانتخابية لتمكين مشاركة أوسع ومتساوية للنساء في الانتخابات.

9) تشجيع إنشاء شبكات أو تحالفات نسائية تضم الناشطات/المدافعات عن حقوق المرأة والنساء البرلمانيات للضغط على الحكومة والبرلمان لتشريع القوانين وصياغة السياسات التي تعالج أشكال التمييز ضد النساء وفي مختلف المجالات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

10) دعم وترويج الحملات الانتخابية للنساء المستقلات، من خلال تقديم برامج تدريب وبناء قدرات للنساء المرشحات لتعزيز مهاراتهنّ السياسية.

المصادر

1) الدستور العراقي الدائم لعام 2005.

2) وثيقة الجلسة العامة الرابعة للأمم المتحدة بعنوان تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة في 25 أيلول/ سبتمبر 2015.

3) تقرير المملكة المغربية، تمكين المرأة اقتصادياً، الدورة 61 للجنة وضع المرأة، نيويورك، مارس 2017.

4) المهندس الاقدم لينا مدحت حسين ناجي، م.م. عبدالله عبدالملك نعمة عبدالرحمن، تمكين المرأة في الجانب السياسي والاداري والتعليمي والثقافي، مجلة دراسات المرأة، العدد (3)، الامانة العامة لمجلس الوزراء/ دائرة شؤون المرأة العراقي، بغداد، اذار 2024.

5) عبد الله عثمان الكوح، معوقات تمكين المرأة العربية: تحليل سوسيولوجي. مجلة كلية الآداب، مج44، جامعة عين شمس، 2016.

6) ريحان محمد ريحان، تنمية المجتمعات الجديدة: التمكين كأداة فعالة في عمليات التنمية الحضرية المستدامة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2002.

7) مهند جميل وحيد العبيدي، التمكين الاقتصادي للمرأة وفق رؤية تربوية اسلامية وانعكاسه على التنمية المستدامة، مجلة دراسات المرأة، العدد (3)، الامانة العامة لمجلس الوزراء/ دائرة شؤون المرأة العراقي، بغداد، اذار 2024.

8) د. أحمد الرشيدي، المشاركة السياسية للمرأة العربية إلى أين؟، بحث مقدم إلى الندوة العربية: التعليم وتعليم الكبار والتمكين والمشاركة السياسية للمرأة، القاهرة: 7 – 10 مايو 2005.

9) سماء سليمان، الحقوق السياسية للمرأة ودور منظمتي الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2009.

10) لطيف كامل كليوي، زينب علي مظلوم، التحليل جغرافي لمحددات تمكين المرأة في العراق، مجلة مداد الآداب، العدد الخاص بالمؤتمرات 2019–2020، جامعة المثنى، 2020.

11) وسام حسام الدين الأحمد، التمكين السياسي للمرأة العربية، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، 2016.
12) مجموعة مؤلفين، المرأة في القوانين الانتخابية للدول العربية الأعضاء بمنظمة المرأة العربية، منظمة المرأة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.
13) محاسن عبدالعال، الديمقراطية لتامين حقوق المرأة وتمكينها في التنمية وتحقيق السلام، دليل تمكين المرأة ، الجزء الأول، جمعية بابكر العلمية للدراسات النسوية، جامعة الاحفاد للبنات،2001 .
14) زكريا بشير إمام، امرأة في زمن العولمة ، مركز دراسات المرأة ، الخرطوم،2010.
15) نائلة قاسم عرفات، واقع الآليات الوطنية للنهوض بالمرأة الفلسطينية 1996 – 2008، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزنت، فلسطين، 2010.
16) موقع البنك الدولي:
http://web.worldbank.org/archive/website00857/WEB/PDF/MNA_ST-2.PDF

الشاعرة لميعة عباس عمارة

انثى تقتحم المحظور

أ.د. اسراء حسين جابر

الجامعة المستنصرية / كلية الاداب/قسم اللغة العربية

اولا : خصوصية الشاعرة لميعة عباس عمارة :-

حين يكتب الرجل مقتحما المحظورات فلا تجد من يثار لذلك، لا بل قد يُمدح لقدرته على عرض الحقائق ، لكن أن تحمل الانثى لواء اللغة الشعرية المتمردة في مواجهة الثقافة الذكورية لتقتحم المحظور معربة عن كوامنها ورغباتها ومعالجة لقضايا قد تشكل المحظور بالنسبة للأنثى العربية ، فهذا قد يثير حفيظة اكبر قدر من المتلقين.

لميعة عباس عمارة رائدة الشعر العربي الحديث وصاحبة القلم المنتفض للذات الانثوية ، ذات مختلفة لها حضورها المتميز نسجا والقاء ، ذات قريبة الى روحي كإنسانة وكمبدعة لها بصمتها في العالم الشعري .

شاعرة شفافة لها حس مرهف وروح رومانسية ، نشر لها الشاعر اللبناني ايليا ابي ماضي اولى قصائدها في مجلة السمير وهي في سن الرابعة عشر ، وقال عنها

((إذا كان في العراق أطفالا كهؤلاء، فإنه مُقدم على نهضة شعرية)) طفولة بهذه الفخامة والنضج ، ما الذي أسهمته في تطور الشعر العربي وبماذا امتازت تجربتها؟

هي الشاعرة التي كتب عنها السياب قصيدة (انشودة المطر) متغنيا بجمال عينيها

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ،

أو شُرفتان راحَ ينأى عنهما القمرْ.

عيناكِ حين تَبسمانِ تورقُ الكروم.

وترقص الأضواء... كالأقمار في نهَرْ

امرأة ذات عينان تشبه أشجار النخيل الساكنة قبل شروق الشمس ، كان يرى فيهما طاقة تحيي اوراق الكروم وترقص الاضواء المعكوسة في مياه شط العرب ، فهي ملهمته في قصائده الغزلية – وان لم تكن وحدها– فامرأة كلميعة عباس عمارة ، انسانة وشاعرة تحمل ثقافة ثرة وشكلا جميلا ، واثقة من ذاتها وخطواتها ، في المقابل كان السياب هو الاخر ملهما لها ومصدر مهم من مصادر قصائدها الغزلية سواء من خلال البوح المباشر او التلميح .

فهي التي قالت فيه :

سأهواك حتى تجف الدموع

بعيني ، وتنهار هذي الضلوع

وقد سخر من قصيدتها فيما بعد وبنى عليها قصيدة تنتهي بمقطوعة :

أص

يحي إلى الساعة النائية

سأهواكَ حتى بقايا رنين

تجدين دقاتها العاتية

تحدين حتى الغدا

سأهواك ما أكذب العاشقين

سأهوى نعم تصدقين

كانت تلومه في كثير من قصائدها على شكه، فهو يسخر من قولها (اهوى) متهما اياها بأنها متعددة الهوى للرجال وليس لرجل واحد .

لقد نسف السياب صداقتهما التي تراها صداقة ليست عابرة بل هي صداقة قائمة (ومرتكزة على مفاهيم شخصيته ..في ظروفنا .. في مجتمعنا العراقي .. اشياء عديدة لا يمكن ان اجرد بدر منها الان ..)[1]

كلاهما كان يرى ان علاقتهما ليست عادية حتى ان السياب كان يقول عنها (اتظنين ان لقاء كهذا يتكرر في العالم بسهولة ؟ كم اليزابيث براوننج وروبرت براوننج عرف العالم ؟ ماذا كانت (ولادة) انها تافهة .. لم تكن شاعرة اصلا ..)[2]

فكان آخر ما اهدته في تسعينيات القرن الماضي قصيدة تحمل عنوان (لعنة التميز) أي بعد اكثر خمسة وعشرين عاما على رحيله :

يوم احببتك اغمضت عيوني

لم تكن تعرف ديني

فعرفنا وافترقنا دمعتين

عاشقا متَّ ولم تلمس الاربعين

وربما طبيعة نشأتها او قوة شخصيتها اوثقتها بموهيتها جعلها تتعرض لمواقف تؤكد تمردها ، منها موقف لقائها مع الشاعر محمود درويش اذ تروي : انها التقته لقاء عابرا وسريعا ، فقال لمن معه وهو يستفزني: Please disturb me لميعة لو تكتب على باب غرفتها

وفي لقاء اخر حين رأته يجلس في صالة الفندق مع مجموعة اصدقاء ناولته قصاصة تصفها بأنها(غير مهذبة) من مسودة أبيات وجدتها بين أوراقها وفيها:

إلى محمود درويش

أزح يا حبيبي نظارتيك قليلاً لأُمعن فيك النظر

فما لونُ عينيك؟

هل للغروب تميلان أم لاخضرار الشجر

أُحبهما، تتعرى النجومُ

بغير سحابٍ أريد القمر

فو اللهِ من أجل عينيك محمودُ

أصبحت أعشقً قصر البصر

قرأها محمود بسرعة وناداها: تعالي.. فقالت: خيرا..فقال:–لماذا تناديننني(يا حبيبي) وأنت لا تقصدينها؟

قالت : هكذا انادي كل اولادي

فضحك الحاضرون واشتفت به

فهي في اغلب مواقفها تتحدى الرجال ، تحاول ان تثبت وجودها بينهم ، تستلهم موضوعات تجعل منها شخصية تتخطى حدود المسموح للمرأة فالشاعرة خلقت خطابا نسويا يراهن بانساقه وطبيعته الذاتية ما هو سائد لتغامر بخلق قيم جمالية مغايرة ، ساعية الى اثبات حضورها ككيان مستقل بعيد عن نسق الفحولة و التبعية الذكورية ،نسق يمتاز بالجرأة والتحدي وحرية التعبير .

انها ولادة العصر الحديث صاحبة القصائد المتمردة بلغتها وصورها الموحية المثيرة لحفيظة قارئها

ثانيا : مظاهر التمرد واقتحام المحظور

من مظاهر تمردها البوح المباشر عن مشاعرها وما تكنه لمحبوبها دون خوف او تردد كما في قصيدة (حبك اكبر مني) التي عبرت فيها عن ذاتها العاشقة المنغمسة بالحب معلنة ابتعادها عن الجميع لتبقى في حضرة الحبيب ، واصفة ومتغزلة له:

أكبر مني كان الحب

فكان الصمت

وكان هروباً للاحلام

شبّهتكَ

احببتُ شبيهكَ

أدركتُ لماذا اجدادي

عبدوا الاصنام[3]

من خلال صيغة الملفوظ اجد ان الشاعرة الى جانب شفافيتها في البوح عن مكنوناتها الا انها تعكس جوانب التردد والخوف ، فعلى الرغم من انها لا تتحدث عن الحب وانما عن حجمه واكاد اجزم ان المقصود هو السياب الذي احبها بكل جوارحه ،الا ان ما يثير التساؤل هنا (لما الصمت ولما الهروب؟) ولما الاكتفاء بالأحلام ؟

في المقابل تعرب عن حبها لحبيبها الذي هربت منه الا انها حين احبت مرة اخرى احبت شبيهه ، تقديسا لذلك الحب الكبير.

وفي قصيدة (وحدك) تكشف عن سر حضور الحبيب بين ثنايا حروفها واعترافها بحبها واشتياقها لحبيبها:

يُخيل لي

انني لم أُحب سواك

تقول دموعي

إذا ما قرأتكَ

للمرة الألف بين السطور

وانت تموه

وانت تثور

وانت تئن كسيحا

وانت تموت مسيحا

وانت تشفى[4]

لا يمكن ان يمر هذا النص مرورا عابرا دون ان يثير فينا بعض التساؤلات ، عن كينونة الحبيب وعن المقروء بين السطور ، أهي سطورها ام سطوره ؟ فلو تتبعنا نسجها السحري سيتأكد ان الحبيب شاعرا كتب في الرمز وكتب منتفضا وثائرا وكتب عن آلامه وموته ، اذ تعمد الشاعرة التكرار للضمير (انت) لتؤكد متابعتها وتفاعلها مع ما يكتب ، اذ يتجدد حبها كلما قرأت له ، فالدموع ما هي الا تعبيرا عن حزنها لفراقه وشوقها له.

ومن مظاهر التمرد والجرأة التي تمتاز بها الشاعرة صراحتها بالتغزل بالرجال ، لاسيما في قصيدتها (لو أنبأني العرّاف) :

لو أنبأني العرّاف

أنكَ يوماً ستكون حبيبي

لم أكتُبْ غزلاً في رجلٍ

خرساء أُصلي

لتظلَّ حبيبي[5]

كما هو واضح فان النص قائم على جملة شرطية غير متحققة ، فنبوءة العراف لم تتحقق ، في المقابل استمرار تغزلها بالرجال في قصائدها ، وفي محاولة لإعطاء هذا الحب قيمته ، تعلن استعدادها لترك الكتابة الشعرية مكتفية بالصلاة ليبقى حبيبها ، فالنص ربما يثبت اتهام السياب لها بأنها تهوى الرجال، الا انها كما تعلن قد احبته بكل جوارحها ولو علمت بهذا الحب لكتفت به عن كل الرجال .

لا يمكن ان نغفل عن المفارقات النصية التي تتلاعب بها الشاعرة وهي تبوح بمشاعرها ، اذ تجعل المتلقي يؤمن بغواية اللغة وجرأة البوح ، فهي كما ارى تصوغ ذاتها وتمثل واقعها .

وتحاول الشاعرة في قصيدتها (الامنيات البعيدة) ان تعترف بحبها ، وتكشف عن مراحل تطور تلك المشاعر :

أُحبكَ تدري ، وادري

ونحلمُ بالامنيات البعيدة

وأدري

وتجهل

أنكَ سرعانَ ما تنتهي

بانتهاءِ القصيدة[6]

فكما ملاحظ من سياق النص في شقه الاول الذي يتضمن بداية الحب التي يبادر لها الرجل قبل المرأة (تدري و أدري) ، تجمعهما احلام مشتركة لكل ما هو صعب المنال ، وفي الشق الثاني تتقدم دراية الانثى على جهل الرجل في ان علاقة الحب تنتهي بوصول الرجال الى غاياته .

اذن كما نرى فان الشاعرة تحفر في سطح اللغة للوصول الى محمولات دلالية عميقة ، تجمع بين شفافية المشاعر وقوة الشخصية وتمردها .

فحب الرجل وسيلة وليست غاية كما هي عند المرأة لذا ترى ان الحب ينتهي بانتهاء الغاية .

وتصف الشاعرة حبيبها متغزلة بشكله تارة وبطباعه وذلك في سياقات مختلفة

فتارة تصف صوت الحبيب وهو يملأ عالمها ، كما في قصيدتها (هل نحن الأحياء):

يملأُني صوتُكَ مولاي

أسفارُك مبهمةٌ

وحديثُك رمز

وأنا أجهل هذي اللغة

المرشوشة في الصفحات[7]

فصوت حبيبها ما هو الا لغة الشاعر الحبيب الذي تجده يكتب بأسلوب يمتاز بالغموض ويتخلله الرمز ، ف(الصوت ، الاسفار، اللغة ، الحديث) ما هي الا ماردفات تصف فيها قصائده المتناثر في دواوينه ، اذ شكل شاعرها الذي وصفته في احدى قصائدها قائلة (ففيك عرفت النبي الوديع) وتؤكد في احدى مقابلاتها : (انا لا ازال اتحمس لذكراه .. ولا أزال اعيش في اجوائه .. لا ازال اعتبره الشاعر الذي ظهر في القرن

العشرين ، والذي يمكن ان يحمل الشعر العربي الى المستوى العالمي .. الرجل الذي اثبت للعراق اصالة الشعر)[8]

و تصف كف حبيبها في قصيدة (كفك) لتشبهها بآلهة المطر وبالزهر العطري :

كفّكَ هذي

أم آلهة المطر؟

أم زهرٌ عطريٌ

من جزر القمرِ ؟[9]

هي بذلك تتحدى السياقات الذكورية التي تتغزل بالمرأة ، فلا تتردد بوصف حبيبها كما يصف الرجال محبوباتهم ، لذا تشعر وانت تقرأ للشاعرة بخصوبة اللغة الانثوية الجامحة .

ونجدها تصف عينيه وشخصيته ولا تكتفي بذلك بل نجدها تتبنى صوت الرجل لتصف مشاعره ورغباته وتلذذه كما في قصيدة (ثمالة):

على الزجاجةِ مسكٌ من انامِلها

والشهدُ من شفتيها ذائبٌ فيها

كأنني وأنا أحسو ثمالتها

أقبّل المشتهي من فيها[10]

هنا تحاول الشاعرة ان تجزم بأنها على دراية بغايات الرجل ورغباته ، ولتخفف من حدة جرأتها جعلت النص بصوت الرجل ، فلا لذة لشرب الخمر من غير ان تلامس يديها الكأس ، وترتشف منه ، ليحقق رغبة تقبيله لها.

فهي صورة تعكس تمرد الانثى على الفضاءات المتحفظة لتصبح اكثر قدرة على خلق عالمها المنشود .

وتحاول ان تقتحم المحظور بوساطة توظيف الموروث الذي تحاول من خلاله الابتعاد عن البوح المباشر لتمنح النص حمولات دلالية اكثر عمقا ، ففي قصيدتها (الموت والنعاس) توظف الشاعرة الاسطورة لتخلق فضاءا شعريا يربط بين الماضي والحاضر من جهة وتجسد تجربتها الشعورية دون تردد من جهة اخرة:

أأدعوك (كلكامشَ) المتغطرِس

في كلِّ بيتٍ غانيَهْ

له الرشفةُ البكرُ من ثغرِها

وللخطاب الثانيهْ ،

تناديه عشتارُ من عرشِها

فيهزأ بالربّةِ الداعَيهْ

أليست هي امرأةً مثَلهنَّ

ألم تكُ عُشّاقها تظلمُ ؟

وتهوي يدُ ، ويَمُجُّ شراراً فمُ

وتبكي الإلاهةُ ذُلاً

ويضحك كلكامش الأعظم[11]

اجد ان الشاعرة قد مثلت ذاتها بعشتار إلهة الحب والخصب والجمال ، وتمثل لحبيبها بـ(كلكامش) شخصية من الاساطير البابلية التي تحدت الآلهة وبحثت عن الخلود، هذان القناعان يسهمان في تقديم مشهد شعري درامي قائم على تجسيد حالة شعورية تتضمن صراعا وتوترا على مستوى الملفوظ وعلى مستوى الكوامن النفسية .

فقولها : (أأدعوك ...) سؤال موجه للحبيب ، وكأنه اتهاما بالغطرسة لا وصفا، ولعل السبب هو علاقاته النسائية ، فما يثر في نصها قولها (في كل بين غانية) بمعنى ان كلكامش ما هو الا شاعرا قد كرس اغلب قصائده للمرأة ، الا انها تجد في كل النساء اللواتي كتب فيهن الشعر ما هن الا غوان ، وهي بذلك تعرب عن توترها وغيرتها من ناحية ، وتمردها وغرورها في دعوتها له بوصفها الهة الحب ، فاذا به يقابلها متهما وساخرا بأنها لا تختلف عن النساء ، فهي معشوقة للكثيرين وقد ظلمت الكثيرين ،وهو موقف آلمها لتختصره بيت (وتهوي..يمج..) فتسقط اليد كناية عن توقف الكتابة وتوقف ردها عليه وكأنها تعلن انسحابها ، في المقابل يستمر الشاعر برميها بكلماته ، لذا تعلن ضعف الالهة وذلها في مقابل ضحك شاعرها الذي اجده (السياب) الذي تصفه بالاعظم .

وهذه الابيات تلتقي بما قالته لمحاورها ماجد السامرائي حين سألها في ان السياب كان (يخاطب زوجته بقوله (احبيني) لان جميع من احببت قبلك ما احبوني .. ولا عطفوا علي) ، فتجيبه :

(هذا يصدق على اكثر النساء اللواتي احبهن بدر ولا يصدق على كلهن ... كان مبدأ (الشك الديكارتي) يأكل قلبه .. لم يصدق المرأة التي احبته وكتبت له ، ورأى دموعها ، لانه لايثق بنفسه .. ولم يكن يجد من المعقول ان تكون كل هذه العواطف ، وكل هذا الحب له .. ومن هذا المنطلق كان يتهجم عليها عبر قصائد غزله التي كتبها . فليست هناك قصيدة له تخلو من اشارة خفية او واضحة لشكه بهذه المرأة ، وسوء ظنه بها)[12]

وفي قصيدتها (أشلاء) توظف الشاعرة المرجعيات التاريخية الاسطورية متخذة من (افروديت) ربة الحب والجمال والنشوة الجنسية صورة عنها ، :

أدموعي تسيل من رغبتي فيكَ

وتبقى على دموعي عصيّا

غلفَ الصمتُ ذلك الغزل الحلوَ

رقيقا ينسابُ في أذنيا

أين: " لا تطفئي ! دعيني أفروديت

ألقاك والضياء سوياً"؟

في النص صوتان صوت الشاعرة (افروديت) ، وهي تتألم وتذرف الدموع شوقا ورغبة في وصال حبيبها، تتحدث وكأنها تستذكر ماضيا تتلذذ في استذكاره بما فيه من غزل تصفه بالحلاوة والرقة ، وصوت اخر يمثل صوت الحبيب الغائب (اين...) مناديا لها بافروديت منبها بأن تبقى مضيئة وان لاتنطفئ رغم الغياب.

كما هو واضح فان اختيارات الشاعرة لتلك الاساطير وغيرها ماهي الا خطوة لتجريب اساليب جديدة لا تختلف عما جاء به السياب واضعا بصمته في التجربة الشعرية العراقية ، وذلك لما للاسطورة من قيمة فنية يستطيع الشاعر من خلالها خلق نسيجا شعريا يجمع بين الماضي والتجربة الشعورية الحاضرة مكونا شكلا تعبيرا وبنائيا يحمل سمة الانفتاح قابلا لقراءات عدة

ولعل البحث عن اطر فنية جديدة لتجسيد عالمها الشعري في نسقه الانثوي المتمرد بقى مستمرا ، فها هي في قصيدتها (الباب الضيق) توظف الحوار الدرامي لتعرب من خلاله عن الصراع النفسي بينها وبين حبيبها :

قال: سأبقي بابي مفتوحا

قلت : وأبقى ...

لكن قدمي لن تجتاز الباب المفتوح

لن يمسخني شوقي

لن تحملني للصلب جروح

قال: اجنُّ بجسمك

احتاج اليكِ ، اضمُّكِ

افني فيك افتُّ الليلَ بصدرِك

قلت: أُحبك اكثر ..

عيناك سماواتٌ وبحور

صدرُكَ كَنُّ الطير المذعور

حلمي يتجسد منذ عصور

قال : إذن تأتين ...

يا حبي المطلق لن آتي

لن اذبحَ حبي

في لحظةَ شوقً تغتالُ سنين

لن أقتل ذاتي

عانق شبحي

في وحشةِ ليلك

واغفر مأساتي[13]

في هذا النص صراع واضح بين فكرتين متناقضتين عن الحب فالمرأة لها رؤية خاصة وللرجل رؤية اخرى ، فالشاعرة ترى ان الحب غاية بذاته ، فهو كما تصفه حلول صوفي وتفان بلا زمن ، وهي نقطة الخلاف بينهما ، فالحبيب كان ينشد قربها يبحث عن الغاية الحسية الشبقية التي كانت تراها خطيئة ، فهي تدعوه في ليله الموحش ان يعانق صورتها المتخيلة ويغفر لها فكرها الذي ترى فيه مأساة

ففي داخلها يتصارع فكران فكر تهيمن عليه العادات والتقاليد وفكر متحرر يرغب بولوج مشاعر الحب والعشق ولكن دون خطيئة ، امرأة ذات شخصية ازدواجية الفكر.

ومن مظاهر التمرد في نصوصها الشعرية فخرها وغرورها بذاتها التي تتغنى بها كما في قصيدة (سندريلا) التي تقول فيها :

سندريلا

التي تراها ،

يضوع العطر منها

وتشتهيها العيون

من بلاط الرشيد زهوٌ عليها

وغموض من بابلٍ ، وفُتُون ،

تتهادى ، كأنّها للقاءٍ مُترَفٍ

بانتظارها ((هارونُ))

أهي ولاّدةٌ تُرى ؟

شهرزاد ؟

عشتروت ؟ دليلةٌ ؟

من تكون ؟

أنا كل اللائي ذكرتَ ،

ولكن أخطأ الوقتَ والمكان السفينُ[14]

فالشاعرة تشبه نفسها بسندريلا بجمالها واناقتها وعطرها الاخاذ الذي يجذب الرجال ، اذ تبالغ بوصف زينتها وكأن هرون الرشيد بإنتظارها ، واذا بها تختلق سلسلة من التساؤلات على لسانه (أهي ولادة ....، شهرزاد ، عشتروت ..) لتعرب بكل فخر (انا كل اللائي ذكرت) فهي الشاعرة الجريئة وهي الساردة المتمردة منقذة النساء وهي آلهة الخصب والحب والحرب ،هي كل تلك النساء في واحدة غير انها في غير مكانها ولا زمانها.

ومن قصائدها التي لاقت رواجا وفيها من الجرأة والفراسة والقوة ما يجعلها تحمل صفة التمرد قصيدة (انا عراقية) :

أتدخنين ؟ لا

أتشربين؟ لا

أترقصين ؟ لا

ما انت؟

جمع لا ؟

انا التي تراني كل خمول الشرق في ارداني

فما الذي يشد رجليك الى مكاني ؟

يا سيدي الخبير بالنسوان

ان عطاء اليوم شيء ثان

حلق ! فلو طأطأتَ .. لا تراني

نصها الذي اجابت فيه على ما قاله فيها القباني (اتدخنين ..لا ..أتشربين ..لا..أترقصين ..لا ..ما انت جمع من الـ لا ..فقالت انا عراقية) فهي الانثى التي تحاول ان تتخذ من الرجل موضوعا لنصوصها لتثبت انها قادرة على كشف مكنوناته وتحاول تبين رؤيته ازاء المرأة سواء الايجابية منها او السلبية دون الانفكاك عن علمها بكل اسراره ، مجددة في الوان البوح الشعري مضيفة الى التجربة الشعرية العراقية الكثير .

وختاما .. اجد ان لميعة عباس عمارة طاقة شعرية تجمع بين الموهبة وذكاء الاختيار ، شاعرة جريئة وحرة في مجتمع اثقلته قيود العادات والتقاليد والمحظور ، رسمت لذاتها عوالم متخيلة محورها الرجل ، وكما رأينا في اغلب قصائدها تتخذ من السياب صورة لأغلب الشخصيات المتخيلة بدليل القرينة التي تتعمد ذكرها لتثبت انه شاعر قد تغنى بجمالها وكان يبغي وصالها ، وهذا ما تعكسه النصوص ، لكن لو توقفنا ازاء مقابلاتها وسبب عدم ارتباطها به توعز السبب الى ان (العقدة التي وقفت بوجه زواجهما هي عقدة دينية) وتارة تؤكد صمتها ازاء هذا الحب راغبة ومتجنبة (تعمدت ان لا اكون قريبة منه .. فقد كنت ادرك مكتمن شخصيتي وأعرف أي انسان هو .. فلم اشأ ان أدخل المأساة) وتارة اخرى تلومه على شكه بها وهذا ما ذكرناه ، لذا اجد من خلال نصوص الشاعرة وطبيعة حواراتها انها اتخذت من حب السياب وعلاقتها به وسيلة للشهرة .

التحديات التي تواجه المرأة العاملة في بيئات العمل الافتراضية (عن بُعد) واستراتيجيات التغلب عليها

أ.د. علا يعقوب يوسف – باحثة في الشؤون المرأة والطفل – كندا

O.YacoubYousef@domain.com

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى تقصي واستكشاف طبيعة التحديات السيكولوجية، والاجتماعية، والتنظيمية التي تواجه المرأة العاملة في بيئات العمل الافتراضية (عن بُعد)، والوقوف على الاستراتيجيات الفعالة والآليات المقترحة للتغلب على هذه العقبات بما يضمن تحقيق التوازن بين الحياة المهنية والشخصية. ولتحقيق هذا الهدف، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي القائم على مراجعة الأدبيات النظرية والبحوث الميدانية السابقة ذات الصلة بظاهرة العمل الافتراضي وسيكولوجية الإدارة.

وقد تبلورت مشكلة الدراسة في رصد مفارقة دقيقة؛ حيث تبين أن مرونة العمل الافتراضي التي رُوِّج لها كأداة لتمكين المرأة، قد تحولت في كثير من الأحيان إلى عبء مستتر نتيجة تلاشي الحدود الزمانية والمكانية بين الفضاء الوظيفي والفضاء الأسري. وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والنظرية المهمة، أبرزها:

تفاقم صراع الأدوار المزدوج: تواجه المرأة ضغوطاً مضاعفة بسبب نفاذية الحدود العالية، حيث يُتوقع منها مجتمعياً القيام بالرعاية الأسرية والمهام المنزلية غير المدفوعة بالتزامن مع أداء المهام الوظيفية، مما يؤدي إلى إنهاك طاقتها الإدراكية والجسدية.

بروز ظاهرة الاحتراق الرقمي والإجهاد التكنولوجي: يرتبط الاتصال المستمر وثقافة الإتاحة الدائمة عبر المنصات الرقمية بارتفاع معدلات القلق والتوتر النفسي لدى النساء، نظراً لمحاولتهن الدائمة لإثبات الجدارة المهنية.

تحدي العزلة الاجتماعية والتهميش المهني: يؤدي الغياب الفيزيائي عن مقر العمل إلى ضعف "رأس المال الاجتماعي" للمرأة، وظهور ما يُعرف بعقوبة "الغياب عن الأنظار"، مما يقلل من فرص استحقاقها للترقيات الإدارية مقارنة بالزملاء المتواجدين مادياً.

وبناءً على هذه النتائج، طرحت الدراسة مقاربة علاجية ثنائية الأبعاد للتغلب على هذه التحديات؛ تضمنت استراتيجيات فردية ترتكز على تبني المرأة لأسلوب "تجزئة الحدود الصارمة"، وتخصيص مساحات فيزيائية مستقلة للعمل داخل المنزل، وإعادة تفاوض الأدوار والمسؤوليات مع أفراد الأسرة. كما شملت استراتيجيات تنظيمية توصي المؤسسات بضرورة مأسسة "الحق في الفصل الرقمي"، والتحول الجذري نحو ثقافة تقييم الأداء القائمة على النتائج والمخرجات الفعلية (ROWE) بدلاً من ثقافة الحضور الرقمي، فضلاً عن تفعيل برامج الرعاية والتوجيه الافتراضي لدعم النمو المهني للمرأة وتجسير فجوة العزلة. واختتمت الدراسة بتوصية المشرعين بضرورة صياغة أطر قانونية مرنة تحمي حقوق العمالة الافتراضية، ودعوة الباحثين لإجراء دراسات ميدانية مقارنة بين القطاعات المهنية المختلفة.

الكلمات المفتاحية: العمل الافتراضي، المرأة العاملة، صراع الأدوار، الاحتراق الرقمي، بيئة العمل القائمة على النتائج.

Challenges Facing Working Women in Virtual (Remote) Work Environments and Strategies to Overcome Them

Prof. Dr. Ola Yacoub Yousef – Researcher in Women and Children's Affairs – Canada

O.YacoubYousef@domain.com

Abstract:

This study aimed to investigate and explore the nature of the psychological, social, and organizational challenges facing working women in virtual (remote) work environments. It also sought to identify effective strategies and proposed mechanisms to overcome these obstacles, ensuring a balance between professional and personal life. To achieve this objective, the study adopted a descriptive-analytical approach based on a comprehensive review of theoretical literature and previous field research related to the phenomenon of virtual work and management psychology.

The research problem crystallized around a subtle paradox: the flexibility of virtual work, which was widely promoted as a tool for women's empowerment, has often transformed into a concealed burden. This is a direct result of the blurring of

temporal and spatial boundaries between the professional and domestic spheres. The study reached a set of significant empirical and theoretical findings, most notably:

Exacerbation of the Dual-Role Conflict: Women face doubled pressure due to high boundary permeability. Society expects them to handle family care and unpaid domestic chores concurrently with performing their professional duties, leading to the depletion of their cognitive and physical energy.

Emergence of Digital Burnout and Technostress: Continuous connectivity and the culture of constant availability across digital platforms are linked to rising rates of anxiety and psychological stress among women, driven by their ongoing efforts to prove their professional competence.

The Challenge of Social Isolation and Professional Marginalization: Physical absence from the workplace leads to the weakening of women's "social capital." This gives rise to what is known as the "out of sight, out of mind" penalty, which reduces their chances of earning administrative promotions compared to their physically present colleagues.

Based on these findings, the study proposed a two-dimensional therapeutic approach to overcome these challenges. This approach includes individual

strategies centered on women adopting a strict "boundary segmentation" method, dedicating independent physical workspaces within the home, and renegotiating roles and responsibilities with family members. It also encompasses organizational strategies recommending that institutions institutionalize the "right to disconnect" and shift radically toward an evaluation culture based on results and actual outputs (Results-Only Work Environment - ROWE) rather than digital presence. Furthermore, the study suggests activating virtual mentorship and sponsorship programs to support women's career growth and bridge the isolation gap. The study concluded by advising lawmakers to draft flexible legal frameworks that protect the rights of virtual workers and calling on researchers to conduct comparative field studies across different professional sectors.

Keywords: Virtual Work, Working Women, Role Conflict, Digital Burnout, Results-Only Work Environment (ROWE).

1. المقدمة والخلفية النظرية

شهدت بيئات العمل العالمية تحولاً جذرياً نحو الأنماط الافتراضية والعمل عن بُعد، وهو تحول تسارع بشكل غير مسبوق في العقد الحالي نتيجة للتطور التكنولوجي الهائل والأزمات الصحية العالمية السابقة (Allen et

al,2015). وقد رُوِّج للعمل الافتراضي في البداية بوصفه أداة مثالية لتمكين المرأة، تتيح لها دمج تطلعاتها المهنية مع واجباتها الأسرية دون الحاجة للتنقل اليومي (Sullivan,2012).

ومع ذلك، أظهرت الممارسات الفعلية أن هذا النمط الافتراضي يحمل في طياته أبعاداً مركبة ومعقدة تختلف في تأثيرها بين الجنسين. فالمرأة العاملة تواجه تحديات فريدة تنبع من تداخل الفضاء المكاني للعمل مع الفضاء المنزلي. لم يعد المنزل مجرد ملاذ للراحة، بل تحول إلى "مكتب دائم" تتقاطع فيه المسؤوليات المهنية مع الرعاية الأسرية والأعمال المنزلية غير المدفوعة (Shockley & Allen,2018).

تكمن مشكلة الدراسة في أن مرونة العمل الافتراضي قد تحولت في كثير من الأحيان إلى "فخ" يفرض على المرأة التواجد الدائم والاستجابة المستمرة للمتطلبات المهنية والأسرية في آن واحد، مما يؤدي إلى ضغوط نفسية واحتراق وظيفي. ومن هنا، يسعى هذا البحث إلى تفكيك هذه التحديات عبر رصد علمي دقيق، وتقديم استراتيجيات عملية قائمة على الأدلة لتجاوز هذه العقبات.

2. الإطار المفاهيمي والدراسات السابقة

2.1 مفهوم العمل الافتراضي

يُعرف العمل الافتراضي بأنه أداء المهام الوظيفية خارج المقر المادي المعتاد للمنظمة، بالاعتماد الأساسي على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (*ICT*) مثل برمجيات السحب الإلكتروني، ومنصات الاجتماعات المرئية، وأدوات إدارة المشاريع الرقمية (Gajendran & Harrison,2007).

2.2 نظرية حدود الدور

تعد نظرية حدود الدور (*Boundary Theory*) ونظرية تسهيل الأدوار من الأطر المفسرة لهذه الظاهرة (Ashforth et al,2020). تفترض النظرية أن الأفراد يضعون حدوداً (مكانية، وزمانية، ونفسية) للفصل بين أدوارهم المختلفة (موظف، أب/أم، شريك). في بيئة العمل التقليدية، يساعد الانتقال الجغرافي من المنزل إلى المكتب في بناء هذه الحدود. أما في بيئة العمل الافتراضية، فتذوب هذه الحدود بالكامل، مما يجعل "نفاذية الحدود" عالية جداً، ويتيح لمتطلبات المنزل اختراق وقت العمل والعكس صحيح.

3. التحديات التي تواجه المرأة العاملة في البيئة الافتراضية

يمكن تصنيف التحديات التي تواجهها المرأة العاملة عن بُعد إلى ثلاثة أبعاد رئيسية: تحديات اجتماعية وشخصية، تحديات نفسية وصحية، وتحديات تنظيمية ومهنية.

3.1 التحديات الاجتماعية والشخصية

3.1.1 صراع الأدوار المزدوج

تُشير الدراسات إلى أن التوقعات المجتمعية التقليدية للأدوار تلاحق المرأة حتى داخل مساحتها المهنية الافتراضية (Greenhaus & Beutell,1985). فبينما يُنظر للرجل العامل عن بُعد في المنزل على أنه "في حالة عمل لا يجب مقاطعتها"، يُنظر للمرأة غالباً على أنها "متاحة" لتلبية الاحتياجات الفورية للأطفال والمنزل بمجرد وجودها المادي فيه. هذا التناقض يولد صراع أدوار حاداً واستنزافاً لطاقة المرأة عبر القيام بالمهام المتعددة المتزامنة.

3.1.2 تلاشي الحدود بين العمل والحياة الشخصية

في العمل الافتراضي، يختفي مفهوم "نهاية يوم العمل". أظهرت دراسة أجرتها (Vargas,2020) أن النساء العاملات عن بُعد يملن إلى تمديد ساعات العمل إلى ساعات الليل المتأخرة لتعويض الوقت الذي قضينه في الرعاية الأسرية خلال النهار، مما يؤدي إلى نمط حياة مشتت يفتقر إلى الاستقرار الزماني والمكاني.

3.2 التحديات النفسية والصحية

3.2.1 الإجهاد التكنولوجي والاحتراق الرقمي

يرتبط العمل الافتراضي بالاتصال الدائم، وهذا التدفق المستمر للرسائل الإلكترونية وتنبيهات التطبيقات (مثل Slack و Teams) يسبب ما يُعرف علمياً بـ "الإجهاد التكنولوجي" (Ragu-Nathan et al,2008). والنساء، بسبب محاولتهن الموازنة الدقيقة وإثبات جدارتهن المهنية، يقعن ضحية لهذا الإجهاد بمعدلات أعلى، مما ينتهي بهن إلى الاحتراق الرقمي وانخفاض الرضا الوظيفي.

3.2.2 العزلة الاجتماعية والمهنية

يؤدي غياب التفاعل الإنساني المباشر واللقاءات غير الرسمية عند آلة القهوة أو في ممرات الشركة إلى شعور عميق بالعزلة (Golden et al,2008). هذه العزلة لا تؤثر فقط على الصحة النفسية للمرأة عبر زيادة مستويات القلق، بل تؤثر أيضاً على "رأس المال الاجتماعي" للموظفة داخل المؤسسة، وهو أمر ضروري للدعم النفسي والمهني.

3.3 التحديات التنظيمية والمهنية

3.3.1 عقوبة "الغياب عن الأنظار"

من أبرز التحديات المهنية التي تواجه المرأة في العمل الافتراضي هو ضعف الرؤية أمام الإدارة العليا. تُشير الأدبيات الإدارية إلى أن التقييمات الوظيفية والترقيات لا تزال تتأثر تاريخياً بـ "ثقافة الحضور المادي" (*Presenteeism*) (Bloom et al,2015). عندما تعمل المرأة عن بُعد بالكامل، فإن جهودها قد تصبح غير مرئية مقارنة بزملاء العمل الذين يتواجدون مادياً في المكتب، مما يقلل من فرص صعودها إلى المناصب القيادية ويوسع الفجوة في الأجور.

3.3.2 القيادة والتحكم المجهري

تعاني بعض البيئات الافتراضية من ضعف ثقة المدراء بإنتاجية الموظفين عن بُعد، مما يدفعهم إلى ممارسة الرقابة اللصيقة والتحكم المجهري عبر برمجيات تتبع الحركة وضغط المفاتيح. هذا الأسلوب الرقابي يمثل ضغطاً إضافياً على المرأة التي تحتاج بالأساس إلى المرونة الذاتية لتنظيم يومها، ويحول المرونة المفترضة إلى قيد تنظيمي خانق (Purvanova & Ruiz,2022).

4. استراتيجيات التغلب على التحديات

لمواجهة هذه التحديات المعقدة، لا بد من تبني مقاربة شاملة تتكامل فيها الاستراتيجيات الفردية (الخاصة بالمرأة وأسرتها) مع الاستراتيجيات التنظيمية (الخاصة بالمؤسسات والتشريعات).

4.1 الاستراتيجيات على المستوى الفردي والشخصي

4.1.1 إدارة الحدود النفسية والمكانية

يجب على المرأة العاملة افتراضياً تبني استراتيجية "تجزئة الحدود" بدلاً من دمجها (Kossek et al,2012).

ويمكن تحقيق ذلك عبر خطوات عملية دقيقة:

- **تخصيص مساحة عمل فيزيائية مستقلة:** عزل مكتب العمل في غرفة مستقلة أو زاوية محددة يمنح إشارة نفسية للمرأة ولأفراد أسرتها بأن التواجد في هذه المساحة يعني "عدم المتاحة".
- **وضع طقوس للانتقال الوظيفي:** خلق أنشطة رمزية تحاكي الانتقال للمكتب وتنهي اليوم العملي (مثل تغيير الملابس، أو المشي الخفيف قبل وبعد العمل، أو إغلاق الحاسوب المحمول بالكامل وفصل الإشعارات).

4.1.2 إعادة تفاوض الأدوار داخل الأسرة

يتطلب النجاح في البيئة الافتراضية التخلص من الصورة النمطية لتوزيع المهام المنزلية. من الضروري بناء قنوات اتصال صريحة مع الشريك والأبناء لإعادة توزيع المسؤوليات والواجبات المنزلية بناءً على ساعات العمل والاجتماعات الهامة للمرأة (Galinsky et al,2011). الدعم الأسري الفعال يعد حجر الزاوية لتخفيف "صراع الأدوار".

4.2 الاستراتيجيات على المستوى التنظيمي والمؤسسي

4.2.1 التحول نحو ثقافة الأداء القائم على النتائج

يتعين على المؤسسات الحديثة التخلي عن معايير الحضور المادي أو ساعات الاتصال الرقمي كمقياس للإنتاجية، وتبني نموذج يعتمد بالكامل على المخرجات وجودة الأداء والتزام الموظفة بالمهام والمواعيد النهائية

(Ressler & Thompson,2008). هذا التحول يحمي المرأة من عقوبة "الغياب عن الأنظار" ويمنحها الحرية الحقيقية في تنظيم وقتها.

4.2.2 مأسسة "الحق في الفصل الرقمي"

يجب على المنظمات صياغة سياسات داخلية واضحة تمنع إرسال رسائل البريد الإلكتروني أو طلب عقد اجتماعات مفاجئة خارج ساعات العمل الرسمية (على سبيل المثال، بعد الساعة السادسة مساءً). إن تقنين هذا الحق يسهم بشكل مباشر في الحد من الاحتراق الرقمي والإجهاد التكنولوجي، ويعيد للمرأة السيطرة على حياتها الخاصة (Derks et al,2015).

4.2.3 برامج التوجيه والرعاية الافتراضية

لسد فجوة العزلة المهنية وضمان التطور الوظيفي، يُنصح بإنشاء برامج توجيهية افتراضية تربط الموظفات عن بُعد بقادة ملهمين داخل المؤسسة. كما يمكن تنظيم لقاءات دورية (هجينة أو وجاهية) لتعزيز الروابط الاجتماعية غير الرسمية وبناء رأس المال الاجتماعي (Golden & Veiga,2005).

5. مصفوفة مقارنة للتحديات والحلول المقترحة

يلخص الجدول التالي أبرز التحديات التي تم استعراضها والحلول المقابلة لها على المستويين الفردي والمؤسسي:

طبيعة التحدي	المظاهر والآثار	الاستراتيجية الفردية المقترحة	الاستراتيجية التنظيمية/المؤسسية
تحدي اجتماعي (صراع	تداخل مسؤوليات المنزل	وضع حدود مكانية	توفير جداول عمل مرنة

الأدوار)	مع مهام العمل، وتوقع الإتاحة الدائمة للمرأة.	وزمانية صارمة، وإعادة توزيع المهام الأسرية.	تتيح للمرأة العمل بنظام الساعات المجزأة.
تحدي نفسي (الاحتراق الرقمي)	التوتر المستمر الناجم عن الاتصال التقني الدائم، وضعف الانفصال النفسي.	تطبيق تقنيات التخلص من السموم الرقمية (*Digital Detoxing*) بعد العمل.	تشريع سياسة "الحق في الفصل الرقمي" ومنع التواصل الليلي.
تحدي مهني (ضعف الرؤية)	عدم ملاحظة الإنجازات، واستبعاد الموظفة الافتراضية من الترقيات.	التوثيق المستمر للمنجزات، والمشاركة الفعالة في الاجتماعات المرئية.	اعتماد نظام تقييم موضوعي يركز على النتائج والمخرجات *ROWE*).)
تحدي سيكولوجي (العزلة)	الشعور بالانفصال الاجتماعي والمهني، وضعف الانتماء للمنظمة.	المبادرة بالتواصل مع الزملاء، والمشاركة في مجموعات الدعم.	تصميم أنشطة بناء الفريق الافتراضية (*Team Building*) وبرامج الرعاية.

6. الخاتمة والتوصيات

أظهرت هذه الدراسة العلمية أن التحول نحو بيئات العمل الافتراضية يمثل سيفاً ذو حدين بالنسبة للمرأة العاملة. فبينما يمنحها هذا النمط مساحة من المرونة اللوجستية، فإنه يعيد إنتاج التحديات الأدوار التقليدية بصورة رقمية مستترة، متمثلة في نفاذية الحدود الحادة والعبء المزدوج، فضلاً عن خطر التهميش المهني الناجم عن الغياب الفيزيائي عن الأنظار.

إن التغلب على هذه التحديات لا يمكن اختزاله في مجهودات فردية تقوم بها المرأة وحدها، بل يتطلب إعادة هيكلة جذرية للممارسات الثقافية والتنظيمية في المؤسسات. وبناءً على التحليل السابق، توصي الدراسة بالآتي:

1. **للمشرعين وصناع القرار:** ضرورة إدخال تشريعات عمالية حديثة تنظم العمل عن بُعد، وتضمن حماية الموظفين من الاستغلال الرقمي، مع التأكيد على حقوق الفصل ومراعاة خصوصية المسؤوليات الأسرية.
2. **لإدارات الموارد البشرية:** تطوير أنظمة تقييم أداء رقمية شفافة وموضوعية تعتمد على الكفاءة وتحقيق الأهداف لضمان تكافؤ الفرص في الترقي والنمو المهني بين الموظفين الافتراضيين والموظفين التقليديين.
3. **للباحثين في المستقبل:** إجراء دراسات ميدانية كمية ونوعية مقارنة لرصد مستويات الاحتراق النفسي بين النساء العاملات عن بُعد في مختلف القطاعات (مثل التعليم، التكنولوجيا، والخدمات المصرفية) للوقوف على الفروق الدقيقة وتصميم حلول قطاعية متخصصة.

المراجع (References):

- Allen, T. D., Golden, T. D., & Shockley, K. M. (2015). How effective is telecommuting? Assessing the status of our scientific findings. *Psychological Science in the Public Interest*, 16(2), 40–68. https://doi.org/10.1177/1529100615593273

- Ashforth, B. E., Kreiner, G. E., & Fugate, M. (2000). All in a day's work: Boundaries and micro role transitions. *Academy of Management Review*, 25(3), 472-491. https://doi.org/10.5465/amr.2000.3363315
- Bloom, N., Liang, J., Roberts, J., & Ying, Z. J. (2015). Does working from home work? Evidence from a Chinese experiment. *The Quarterly Journal of Economics*, 130(1), 165-218. https://doi.org/10.1093/qje/qju032
- Derks, D., van Duin, D., Tims, M., & Bakker, A. B. (2015). Smartphone use and work–home interference: The moderating role of social support and integration segmentation preference. *Human Relations*, 68(10), 1555-1577. https://doi.org/10.1177/0018726714565145
- Gajendran, R. S., & Harrison, D. A. (2007). The good, the bad, and the unknown about telecommuting: Meta-analysis of psychological mediators and individual outcomes. *Journal of Applied Psychology*, 92(6), 1524-1541. https://doi.org/10.1037/0021-9010.92.6
- Galinsky, E., Aumann, K., & Bond, J. T. (2011). *Times are changing: Gender and generation at work and at home*. Families and Work Institute.
- Golden, T. D., & Veiga, J. F. (2005). The impact of extent of telecommuting on job satisfaction: Resolving inconsistent findings. *Journal of Management*,

31(2), 301–318. https://doi.org/10.1177/0149206304271817

- Golden, T. D., Veiga, J. F., & Dino, R. N. (2008). The impact of professional isolation on teleworker job performance and turnover intentions: Does time spent teleworking, face-to-face interactions, and access to communication-enhancing technology matter? *Journal of Applied Psychology*, 93(6), 1412–1421. https://doi.org/10.1037/a0011322
- Greenhaus, J. H., & Beutell, N. J. (1985). Sources of conflict between work and family roles. *Academy of Management Review*, 10(1), 76–88. https://doi.org/10.5465/amr.10.1.76
- Kossek, E. E., Ruderman, M. N., Braddy, P. W., & Hannum, K. M. (2012). Work–nonwork boundary management styles: A person-centered approach. *Journal of Vocational Behavior*, 80(1), 112–122. https://doi.org/10.1016/j.jvb.2011.07.002
- Purvanova, R. K., & Ruiz, C. E. (2022). Managing virtual teams: A review of current leadership strategies in remote work environments. *Journal of Business and Psychology*, 37(4), 625–643.
- Ragu-Nathan, T. S., Tarafdar, M., Ragu-Nathan, B. S., & Tu, Q. (2008). The consequences of technostress for end-users in organizations:

Conceptual development and empirical validation. *Information Systems Journal*, 18(4), 417–433. https://doi.org/10.1111/j.1365-2575.2007.00257.x

- Ressler, C., & Thompson, J. (2008). *Why work sucks and how to fix it: The Results-Only Work Environment*. Portfolio.
- Shockley, K. M., & Allen, T. D. (2018). It's not the hours, it's the control: Flexibility and work-family balance. *Journal of Vocational Behavior*, 105, 12-24.
- Sullivan, C. (2012). Remote working and work-life balance. In *Work and Quality of Life* (pp. 275-290). Springer, Dordrecht.
- Vargas, N. (2020). *The digital boundary: Women, remote work, and the blur of domestic life*. Academic Press.

ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية دراسة في إشكاليات التكافؤ الدلالي وحدود الترجمة الآلية العصبية

الباحثة: فاطمة كرم كاظم فنجان

بأشراف

د. علاء عبدالخالق حسين المندلاوي

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث الموسوم بـ (ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية: دراسة في إشكاليات التكافؤ الدلالي وحدود الترجمة الآلية العصبية) إلى تسليط الضوء على منطقة شائكة تجمع بين بلاغة النص الإلهي وتطور الخوارزميات الحاسوبية، حيث يهدف بنحوٍ رئيس إلى استكشاف مدى كفاءة نماذج الترجمة الآلية العصبية في تحقيق التكافؤ الدلالي عند نقل النص القرآني، وتحديد الفجوات المعرفية والتقنية التي تحول دون الوصول إلى دقة الترجمة البشرية الرصينة. ولتحقيق هذه الغايات، اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي لتوصيف ميكانزمات عمل الشبكات العصبية العميقة وفهم بنيتها القائمة على الترميز وفك التشفير، كما استُخدم المنهج المقارن في الجانب التطبيقي لموازنة مخرجات الأنظمة الآلية (مثل Google NMT) مع ترجمات بشرية معتمدة، مع الاستعانة بالمنهج النقدي لبيان أوجه القصور في المعالجة الآلية للصور البلاغية والمصطلحات الغيبية. وتمثلت إجراءات البحث في تقسيم الدراسة إلى إطار نظري يؤصل للتكافؤ الدلالي، وإطار تقني يشرح عمل الـ NMT، ثم إطار تطبيقي يختبر نماذج مختارة من الآيات القرآنية التي تتضمن استعارات وأوامر تشريعية ومصطلحات غيبية.

وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج المحورية، أبرزها أن التكافؤ الدلالي في النص القرآني يظل غاية عصية على الإدراك الرقمي الصرف بسبب تعقيد النظم الإعجازي وظاهرة العدول، كما أثبتت النتائج أن

الترجمة الآلية العصبية تعاني من "الهلوسة" والاختزال المادي للمفردات الروحية نتيجة فقر البيانات التدريبية المتخصصة. وبناءً على ذلك، أوصت الباحثة بضرورة عدم الاعتماد الكلي على الترجمة الآلية في السياقات الدعوية والشرعية دون إشراف بشري خبير، ووجوب بناء "مدونات قرآنية ذهبية" تجمع بين النص الأصلي وتفسيره لتكون مرجعاً للآلة، وكما قدمت الباحثة عدد من المقترحات ومنها دمج المنطق الرمزي والقيود الأصولية داخل البنية الخوارزمية للنماذج العصبية، وإجراء دراسات مستقبلية حول دور نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي في تحسين جودة الترجمات الدينية، وتطوير واجهات تفاعلية تدعم المترجم البشري ولا تستبدله، لضمان وصول رسالة القرآن للعالم بأقصى درجات الأمانة العلمية والجمال البياني.

الكلمات المفتاحية: ترجمة معاني القرآن الكريم، التكافؤ الدلالي، الترجمة الآلية العصبية (NMT)، الهلوسة الآلية، اللسانيات الحاسوبية، النظم القرآني، الذكاء الاصطناعي.

Translating the Meanings of the Holy Qur'an into English: A Study on the Problems of Semantic Equivalence and the Limits of Neural Machine Translation (NMT)

Researcher: Fatima Karam Kadhim Finjan

Supervised by: Dr. Alaa Abdul-Khaliq Hussain Al-Mandalawi

Abstract:

This research, titled "Translating the Meanings of the Holy Qur'an into English: A Study on the Problems of Semantic Equivalence and the Limits of Neural Machine Translation (NMT)," seeks to shed light on a complex intersection between the eloquence of the Divine Text and the evolution of computational algorithms. The primary objective is to explore the efficiency of Neural Machine

Translation models in achieving semantic equivalence when transferring the Qur'anic text, and to identify the cognitive and technical gaps that hinder reaching the precision of rigorous human translation.

To achieve these goals, the researcher adopted a descriptive-analytical approach to describe the mechanisms of Deep Neural Networks and understand their architecture based on encoding and decoding. Furthermore, a comparative approach was employed in the practical framework to balance the outputs of automated systems (such as Google NMT) against authorized human translations. A critical approach was also utilized to demonstrate the shortcomings in the automated processing of rhetorical imagery and metaphysical terms. The research procedures involved dividing the study into a theoretical framework that establishes the roots of semantic equivalence, a technical framework explaining the functioning of NMT, and an applied framework testing selected models of Qur'anic verses containing metaphors, legislative commands, and metaphysical terms.

The research concluded with a set of pivotal results, most notably that semantic equivalence in the Qur'anic text remains an elusive goal for purely digital perception due to the complexity of the miraculous "Nazm" (system/arrangement) and the phenomenon of "Adul" (rhetorical shifting). The results also proved that NMT suffers from "hallucination" and the material reduction of spiritual vocabulary due to the lack of specialized training data.

Accordingly, the researcher recommended the necessity of not relying entirely on machine translation in dawah and Sharia contexts without expert human

supervision, and the imperative of building "Golden Qur'anic Corpora" that combine the original text with its exegesis (Tafsir) to serve as a reference for the machine. The researcher also presented ambitious proposals, including the integration of symbolic logic and foundational (Usuli) constraints within the algorithmic structure of neural models, conducting future studies on the role of Generative Artificial Intelligence (LLMs) in improving the quality of religious translations, and developing interactive interfaces that support the human translator rather than replacing them, to ensure the message of the Qur'an reaches the world with the highest degrees of scientific integrity and aesthetic brilliance.

Keywords: Translation of the Holy Qur'an, Semantic Equivalence, Neural Machine Translation (NMT), Machine Hallucination, Computational Linguistics, Qur'anic Nazm, Artificial Intelligence.

المقدمة:

تعد ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، ولا سيما اللغة الإنجليزية، واحدة من أعظم التحديات اللسانية والمعرفية التي واجهت المترجمين والعلماء على مر العصور، فهي ليست مجرد نقل لنص لغوي من وعاء إلى آخر، بل هي محاولة لتقريب مراد الله المعجز في نظمه وبيانه إلى عقول غير الناطقين بالعربية، ومع الطفرة التقنية الهائلة التي شهدها العقد الأخير، دخلت الترجمة الآلية العصبية كجزء محوري يسعى لاختصار المسافات الزمنية واللغوية عبر نماذج حاسوبية تحاكي العقل البشري في تعلم السياقات، إلا أن هذا التطور التقني اصطدم بخصوصية النص القرآني الذي يتميز بظاهرة الإعجاز اللغوي والبلاغي، حيث تمثل كل مفردة فيه شبكة معقدة من الدلالات التي تتجاوز المعنى المعجمي الظاهر إلى آفاق سياقية وأصولية

وعقدية، ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث في كونه يسعى لتفكيك العلاقة بين القدرات المتنامية للذكاء الاصطناعي وبين حدود التكافؤ الدلالي في النص المقدس، مستكشفاً المدى الذي يمكن أن تصل إليه الآلة في استيعاب الفروق الدقيقة بين المترادفات والوجوه والنظائر والعدول الأسلوبي الذي يزخر به القرآن، إن قيمة هذا الاستقصاء تكمن في تقديم رؤية نقدية تطبيقية تحمي النص القرآني من التسطيح الدلالي الذي قد تقع فيه الخوارزميات، وتسهم في تجويد المحتوى الإسلامي الرقمي الموجه للغرب، لضمان وصول الرسالة القرآنية بأعلى قدر من الدقة والأمانة العلمية، ويهدف البحث بنحوٍ رئيس إلى رصد إشكاليات عدم التكافؤ الدلالي عند استخدام تقنيات الترجمة الآلية العصبية، وتحديد مكامن القصور في فهم السياق المقامي والشرعي للآيات، مع محاولة وضع معايير تقييمية لمخرجات هذه النماذج مقارنة بالترجمات البشرية المعتمدة، وذلك للوصول إلى فهم أعمق حول إمكانية الاعتماد على الآلة في الترجمة الدينية وما إذا كانت ستبقى مجرد أداة مساعدة أم يمكنها الارتقاء لتقديم صياغات دلالية متكاملة، وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، يتبنى البحث المنهج الوصفي التحليلي لتوصيف ميكانزمات عمل الأنظمة العصبية، والمنهج المقارن لإجراء موازنة تطبيقية بين مخرجات الآلة والنصوص المترجمة بشرياً، مع الاستعانة بالمنهج النقدي لبيان الفجوات اللسانية والتقنية، وتتمثل الفجوة البحثية التي يتصدى لها هذا العمل في أن معظم الدراسات السابقة ركزت إما على الجانب اللغوي التقليدي للترجمة القرآنية، أو على الجانب التقني الصرف للترجمة الآلية في النصوص العامة، بينما يفتقر المكتبة الأكاديمية إلى دراسات بينية تربط بعمق بين خوارزميات الترجمة العصبية الحديثة وبين أعقد الإشكاليات الدلالية في السور القرآنية، ولاسيما تلك المتعلقة بالمصطلحات الغيبية والأحكام الفقهية التي تتطلب "وعياً سياقي" لا تزال النماذج الآلية تكافح للوصول إليه، ولتحقيق هذه الغاية، تم تقسيم البحث هيكلياً إلى ثلاثة مباحث متكاملة؛ حيث يبدأ المبحث الأول بتأصيل الأسس النظرية للتكافؤ الدلالي في النص

القرآني وتحدياته اللغوية، ثم ينتقل المبحث الثاني لتشريح آليات الترجمة الآلية العصبية وموقفها من خصوصية النص المقدس ورصد إشكالياتها التقنية، وصولاً إلى المبحث الثالث الذي يمثل الثقل التطبيقي للدراسة عبر تحليل نماذج مختارة ومقارنتها مخبرياً، لتنتهي الدراسة بخاتمة تلخص أهم النتائج والتوصيات، ليكون هذا البحث لبنة في بناء جسر معرفي يجمع بين أصالة النص القرآني وحداثة الوسائل الرقمية المعاصرة.

المبحث الأول: الأسس النظرية للتكافؤ الدلالي في النص القرآني

توطئة:

تمثل دراسة التكافؤ الدلالي في النص القرآني عصب الدراسات البيانية والترجمة المعاصرة، إذ إن القرآن الكريم ليس مجرد مدونة لغوية تخضع لقوانين الألسنية البشرية المجردة، بل هو نص متفرد في نظمه وصياغته يجمع بين إعجاز اللفظ وعمق المعنى، مما يجعل من محاولة نقله إلى لغة أخرى مثل الإنجليزية مغامرة معرفية محفوفة بالمخاطر الدلالية، فالتوطئة لهذا المبحث تقتضي منا إدراك أن مفهوم "الترجمة" في السياق القرآني لا يعني إيجاد بديل للنص الأصلي، بل هو محاولة تفسيرية لتقريب المفاهيم، حيث يظل النص العربي هو المرجع الوحيد والنهائي للقدسية [1]. إن التحدي الأكبر يكمن في أن بنية اللغة العربية القرآنية تعتمد على "التكثيف الدلالي"، حيث تحمل الكلمة الواحدة في سياقات مختلفة دلالات متباينة، وهو ما يضعنا أمام إشكالية التكافؤ التي لا تقف عند حدود المفردة، بل تمتد لتشمل النظم العام والنسق الثقافي والشرعي، ومن هنا تأتي أهمية هذا المبحث لوضع القواعد النظرية التي تفسر لماذا تظل ترجمة القرآن "ترجمة معانٍ" وليست ترجمة نص، وكيف يمكن للمترجم أو الأنظمة الآلية العصبية أن تقترب من تخوم

المعنى دون أن تخل بجوهر الرسالة الإلهية، مستصحبين في ذلك آراء علماء الأصول والبلاغة الذين وضعوا ضوابط صارمة للتعامل مع المفردة القرآنية [2].

المطلب الأول: مفهوم التكافؤ الدلالي وتطبيقه على النص المقدس

إن البحث في مفهوم التكافؤ الدلالي يستدعي استحضار النظريات اللسانية الحديثة ومقارنتها بالخصوصية القرآنية، حيث يبرز مصطلح التكافؤ كركيزة أساسية في علم الترجمة، ويقصد به تحقيق حالة من التوازن المعنوي والأثري بين النص المصدر والنص الهدف، غير أن تطبيق هذا المفهوم على القرآن الكريم يصطدم بعقبة "الخصوصية البيانية"، فالتكافؤ الدلالي في القرآن ليس مجرد مطابقة معجمية، بل هو محاولة لنقل "المقصد" الذي تضمنته الآية، وفي هذا السياق، نجد أن يوجين نايدا قد فرق بين التكافؤ الصوري الذي يلتزم بالبنية النحوية والمفردات، وبين التكافؤ الديناميكي الذي يسعى لإحداث ذات الأثر في نفس المتلقي [3]. وفي قوله تعالى في سورة البقرة، الآية 187: "هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ"، نجد أن كلمة "لباس" تتجاوز في دلالتها القرآنية مفهوم الستر المادي لتشمل معاني السكينة والمودة والاندماج الروحي بين الزوجين، وهنا يبرز عجز التكافؤ الصوري بكلمة (Garment) أو (Clothing) عن نقل هذا العمق، مما يضطر المترجم للبحث عن بدائل دلالية تفسيرية تفي بالغرض، كما أن إشكالية التكافؤ تظهر بوضوح في المصطلحات التي تحمل أبعاداً عقدية مثل كلمة "التقوى" التي غالباً ما تترجم بـ (Piety) أو (God-fearing)، بينما هي في السياق القرآني تمثل منظومة سلوكية ووجدانية متكاملة تشمل الحذر والوقاية والصلة بالله، وهذا التباين يثبت أن التكافؤ الدلالي في النص المقدس هو "تكافؤ نسبي" يطمح للوصول إلى أقرب نقطة من المعنى المراد، مع الاعتراف بوجود فجوة دلالية حتمية ناتجة عن قصور اللغة الهدف عن استيعاب حمولة اللغة المصدر [4].

إن التكافؤ الدلالي يتطلب أيضاً مراعاة "الوجوه والنظائر" في القرآن، فكلمة "الهدى" مثلاً تأتي في القرآن على

وجوه متعددة، منها البيان، والثبات، والقرآن نفسه، والدين، فإذا وحد المترجم المقابل الإنجليزي في كل هذه المواضع، فإنه يكون قد أخل بمبدأ التكافؤ الدلالي الحقيقي الذي يقتضي تتبع السياق الخاص بكل آية، وهذا يقودنا إلى القول بأن التكافؤ في ترجمة معاني القرآن هو عملية "إعادة بناء دلالي" وليس مجرد استبدال لغوي، وهو ما يجعل من الصعوبة بمكان على الأنظمة الآلية العصبية التي تعتمد على الاحتمالات الإحصائية أن تدرك هذه الفروق الدقيقة ما لم يتم تدريبها على مدونات تفسيرية عميقة [5].

المطلب الثاني: خصائص النظم القرآني وتحديات نقلها (العدول، التقديم، والتأخير)

يعد "النظم" عند علماء البلاغة العربية، وعلى رأسهم الإمام عبد القاهر الجرجاني، هو المدار الذي يدور حوله إعجاز القرآن، ويقصد به تلك الشبكة المعقدة من العلاقات النحوية والدلالية التي تربط الكلمات ببعضها في نسق فريد لا يمكن خلخلته، ومن أبرز تحديات هذا النظم ظاهرة "التقديم والتأخير" التي تأتي دائماً لأغراض بلاغية مثل الحصر أو التشريف أو الاهتمام، ففي قوله تعالى في سورة الفاتحة، الآية 5: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، تقدم المفعول به (إياك) على الفعل (نعبد) ليفيد الحصر المطلق للعبادة في الله وحده، وعند محاولة نقل هذا النظم إلى اللغة الإنجليزية، نجد أن الالتزام بالبنية النحوية الإنجليزية القياسية يفقد النص دلالة الحصر الجوهرية، مما يضطر المترجم البشري لإضافة أدوات توكيدية مثل (It is You alone we worship) لمحاولة استعادة جزء من المعنى المفقود، وهذه الإشكالية تمثل تحدياً كبيراً للترجمة الآلية العصبية التي قد تميل للتبسيط البنيوي [6]. وكما تبرز ظاهرة "العدول" كأحد أهم خصائص النظم القرآني، وهو الخروج عن الأصل اللغوي المعتاد لغرض بلاغي، مثل العدول من صيغة الماضي إلى المضارع لاستحضار الصورة، أو العدول في الضمائر المعروف بـ "الالتفات"، كما في سورة الكوثر، الآية 1 و2: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ"، حيث انتقل السياق من ضمير المتكلم العظيم "إنا" إلى اسم الظاهر "لربك"

وما يحمله من معاني الربوبية والتربية، وهذا الالتفات يمثل عبئاً دلالياً في الترجمة، إذ قد يراه القارئ غير المختص في اللغة الهدف كنوع من التشتت الضمائر، بينما هو في حقيقته قمة البلاغة، ونقل هذا الأثر يتطلب مهارة تحليلية تتجاوز القدرات الحالية للنماذج الحاسوبية التي غالباً ما تلتزم بالاتساق النحوي السطحي [7]. أضف إلى ذلك إشكالية "الإيجاز" الذي هو سمة قرآنية بارزة، مثل إيجاز الحذف في قوله تعالى في سورة يوسف، الآية 82: "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ"، حيث حذف المضاف (أهل) للدلالة على شمولية الحدث في القرية، فإذا قام المترجم بنقلها حرفياً فقد تبدو غير منطقية في اللغة الهدف، وإذا صرح بالمحذوف فقد أضاع "إيجاز القصر" الذي تميز به النظم الإلهي، إن هذه الخصائص النظمية تجعل من النص القرآني نصاً "مستعصياً على المحاكاة الكاملة"، وتضع حدوداً واضحة لما يمكن للترجمة أن تنقله، حيث يظل الجمال النظمي مرتبطاً بلسانه العربي، بينما يكتفي المترجم بنقل الفكرة العامة مع خسارة حتمية في مستويات الإعجاز البلاغي التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من دلالة النص الكلية [8].

المطلب الثالث: المشترك اللفظي والوجوه والنظائر وإشكالية تعدد المعنى

تعد ظاهرة المشترك اللفظي وما يترتب عليها من "الوجوه والنظائر" في القرآن الكريم من أدق المباحث التي يختبر فيها المترجم قدرته على تحقيق التكافؤ الدلالي، فالمشترك اللفظي هو اللفظ الواحد الذي تتعدد معانيه بتعدد سياقاته، وهو ما يشكل تحدياً بنيوياً لأي نظام ترجمة، سواء كان بشرياً أم آلياً، إذ يتطلب إدراك المعنى المراد إحاطة تامة بوعاء اللغة وتاريخ الاستعمال القرآني للمفردة [9]. إن "الوجوه" في القرآن تشير إلى الكلمة التي ترد في مواضع مختلفة ومعناها في كل موضع يختلف عن الآخر، بينما "النظائر" هي الألفاظ المتعددة التي تدل على معنى واحد، وفي هذا السياق، نجد أن التكافؤ الدلالي يضطرب حينما تعجز اللغة الإنجليزية عن إيجاد مقابلات تغطي كافة الوجوه الدلالية للمفردة الواحدة، فكلمة "الأمة" مثلاً وردت في القرآن الكريم

على عدة وجوه دلالية؛ فهي تأتي بمعنى الجماعة من الناس كما في سورة القصص، الآية 23: "وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ"، وتأتي بمعنى الزمن أو الحين كما في سورة يوسف، الآية 45: "وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ"، وتأتي بمعنى الإمام والقدوة كما في وصف إبراهيم عليه السلام في سورة النحل، الآية 120: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً"، وأخيراً تأتي بمعنى الدين والملة كما في سورة الزخرف، الآية 22: "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ" [10]. إن هذا التعدد يفرض على المترجم عدم الاكتفاء بالمقابل المعجمي الثابت، بل ينبغي عليه الغوص في كتب التفسير والوجوه والنظائر لتحديد "المكافئ السياق" الدقيق، وهو أمر يزداد تعقيداً عند الحديث عن الترجمة الآلية العصبية التي قد تميل إلى اختيار المعنى الأكثر شيوعاً في قواعد بياناتها، مما يؤدي إلى تسطيح النص القرآني وإفقاده خصوصيته الدلالية، فالمشترك اللفظي في القرآن ليس مجرد صدفة لغوية، بل هو توظيف إعجازي يخدم السياق الكلي للسورة، وفشل المترجم في التفريق بين هذه الوجوه يؤدي حتماً إلى "اللبس الدلالي" الذي قد يغير مفهوماً عقدياً أو تشريعياً بأكمله، وهو ما يؤكد أن التكافؤ في هذا المستوى يتطلب وعياً لسانياً يتجاوز مجرد المطابقة بين الكلمات إلى فهم فلسفة اللغة القرآنية في توليد المعاني [11].

المطلب الرابع: السياق (المقامي والمقالي) وأثره في تحديد الدلالة المرادة

لا يمكن الحديث عن تكافؤ دلالي حقيقي في ترجمة معاني القرآن الكريم دون استحضار دور "السياق" كأداة ضابطة ومفسرة، فالسياق بنوعيه: "المقالي" الذي يحيط بالمفردة داخل النص، و"المقامي" مرتبط بأسباب النزول والظروف التاريخية والشرعية، هو الذي يمنح المفردة القرآنية معناها النهائي [12]. إن النص القرآني نص "سياقي" بامتياز، حيث إن دلالة اللفظ قد تتبدل كلياً بناءً على ما قبلها وما بعدها، أو بناءً على الموقف الذي نزلت فيه الآية، فالسياق المقالي يعمل كفلتر يمنع تعدد التأويلات غير المرادة، ومن أمثلة ذلك كلمة

"القرية" التي قد توحي في اللغة الإنجليزية الحديثة بمكان صغير وبسيط، بينما في السياق القرآني قد تطلق على الحواضر الكبرى وكما في وصف مكة المكرمة بأنها "أم القرى"، وهنا ينبغي على المترجم أن يدرك أن السياق المقالي يوجه المعنى نحو "المركز الحضاري" وليس مجرد التجمع السكاني الصغير، ومن جهة أخرى، يبرز السياق المقامي (أسباب النزول) كحاكم على الترجمة، فبدون فهم المناسبة التي قيلت فيها الآية، قد يسقط المترجم في فخ التعميم الخاطئ [13]. إن الترجمة الآلية العصبية رغم تطورها في فهم السياقات القريبة، إلا أنها لا تزال تعاني من قصور حاد في استحضار "خارج النص"، وهو السياق المقامي والشرعي، فعندما تترجم الآلة قوله تعالى في سورة التوبة، الآية 5: "فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ"، دون ربطها بالسياق المقامي المتعلق بنقض العهود وحالة الحرب القائمة آنذاك، فإنها تقدم نصاً يوحي بالعنف المطلق، بينما التكافؤ الدلالي الأماني يقتضي نقل الظرفية السياقية التي قيدت هذا الحكم، ومن هنا نجد أن السياق ليس مجرد عنصر إضافي، بل هو "المحدد الدلالي" الذي يمنع انزلاق المعنى، وتحقيق التكافؤ فيه يتطلب من المترجم أن يكون مفسراً قبل أن يكون ناقلاً لغوياً، بحيث يعكس في لغته الهدف تلك الظلال السياقية التي تكتنف النص الأصلي، لضمان وصول المعنى بنحوٍ متسق مع المقاصد القرآنية الكلية، وهو ما يضع حدوداً فاصلة بين الترجمة الحرفية الجوفاء والترجمة السياقية العميقة التي تحفظ للنص هيبته ودلالته [14].

المبحث الثاني: آليات الترجمة العصبية (NMT) وموقفها من خصوصية النص القرآني

توطئة:

إن التحول الجذري الذي شهده مجال الترجمة الآلية بظهور النماذج العصبية لم يكن مجرد تحسن تقني عابر، بل كان إعادة صياغة كاملة لمفهوم المعالجة اللغوية، فبعد عقود من الاعتماد على الأنظمة القائمة على القواعد التي كانت تفتقر للمرونة، ثم الأنظمة الإحصائية التي كانت تعتمد على احتمالات تكرار

المتلازمات اللفظية، جاءت الشبكات العصبية العميقة لتقدم نموذجاً يحاكي في بنيته الوظيفية عمل الدماغ البشري، حيث تعتمد هذه التقنية على معالجة النص كمتجهات رياضية في فضاء دلالي واسع، مما سمح لها بتجاوز عقبة الترجمة الحرفية والبدء في استيعاب الروابط السياقية المعقدة [15]. وهذا التقدم التقني يواجه اختباراً وجودياً حينما يتصدى لترجمة معاني القرآن الكريم، ذلك النص الذي لا يخضع لمنطق الاحتمالات الإحصائية الصرفة، بل يقوم على إعجاز في النظم وبلاغة في الإيجاز، فالتوطئة لهذا المبحث تهدف إلى وضع القارئ أمام حقيقة التباين بين "الذكاء الخوارزمي" الذي يبحث عن الأنماط، وبين "الوعي اللساني" المطلوب لفهم النص المقدس، وسنحاول من خلال المطالب القادمة سبر أغوار هذه التقنية وتفكيك مكوناتها البرمجية لنعرف كيف ترى "الآلة" الآية القرآنية، وكيف تعيد بناءها في اللغة الإنجليزية، وهل تستطيع الخوارزمية فعلاً أن تدرك الفوارق الدقيقة بين المعاني الروحية والتشريعية، أم أنها تظل حبيسة البيانات الضخمة التي قد لا تعكس بالضرورة مراد الشارع الحكيم [16].

المطلب الأول: مبدأ عمل الـ (Encoding–Decoding) وقدرته على فهم السياق الطويل

تعد بنية "الترميز وفك التشفير" الحجر الزاوية في أنظمة الترجمة الآلية العصبية، وهي تقنية تعتمد على تحويل النص المصدر (الآية القرآنية) إلى تمثيل رياضي مجرد يسمى "المتجه السياق" (Context Vector)، ثم إعادة فك هذا التشفير لإنتاج النص باللغة الهدف، وفي سياق النص القرآني، تبرز ميزة هذه التقنية في قدرتها على معالجة الجملة كوحدة واحدة لا كأجزاء منفصلة، مما يمنحها قدرة نظرية على فهم الروابط الدلالية البعيدة داخل الآية الواحدة [17]. إن المرموز يقوم بقراءة الآية القرآنية وتحويل كل مفردة فيها إلى "تضمين لغوي" يأخذ بعين الاعتبار الكلمات المحيطة بها، وهذا يعني أن الآلة لم تعد تتعامل مع كلمة "الصلاة" مثلاً كلفظ مجرد، بل تربطها رياضياً بكلمات "الإقامة"، "الزكاة"، و"الخشوع" بناءً على تواترها في

بيانات التدريب، ثم يأتي دور آلية "الانتباه" التي أحدثت ثورة في هذا المجال، حيث تسمح للنموذج بالتركيز على كلمات محددة في النص المصدر عند إنتاج كل كلمة في النص الهدف، فإذا كانت الآلة تترجم قوله تعالى في سورة يوسف، الآية 77: "قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ"، فإن آلية الانتباه تساعدها على ربط ضمير "أنتم" بإخوة يوسف المذكورين في سياق القصة السابق، وهو ما يسمى بـ "السياق الطويل" (18).

وهذا الفهم الرياضي للسياق يظل محكوماً بمدى جودة وشمولية البيانات التي تدربت عليها الشبكة العصبية، فإذا كانت المدونات اللغوية التي تغذي الآلة تفتقر إلى كتب التفسير والعلوم الشرعية، فإن المتجه السياق الذي سينتجه المرموز سيكون متجهًا "علمانيًا" أو "عامًا" يفتقر للظلال الروحية، فعلى سبيل المثال، كلمة "الفتح" في سورة الفتح، الآية 1: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا"، قد يربطها النموذج العصبي بالفتح العسكري المادي بناءً على سياقات لغوية عامة، بينما السياق القرآني المقامي يشير إلى صلح الحديبية وما ترتب عليه من فتح للقلوب والدعوة، وهذا القصور يوضح أن قدرة (NMT) على فهم السياق الطويل هي قدرة "بنيوية لغوية" وليست "إدراكية معرفية"، مما يجعلها تنجح في نقل الهيكل النحوي وتفشل في نقل المقصد الشرعي الدقيق في كثير من الأحيان (19). إن التعمق في هذا المطلب يكشف لنا أن الشبكات العصبية، رغم براعتها في محاكاة الترابط السياق، تظل عاجزة عن إدراك "الماورائيات" التي يزخر بها النص القرآني، فالمتجهات الرياضية لا تستطيع حتى الآن تمثيل "القداسة" أو "الإعجاز"، بل هي تكتفي برسم خرائط للعلاقات الإحصائية بين الكلمات، وهو ما يجعل الاعتماد الكلي عليها في ترجمة القرآن مخاطرة لسانية قد تؤدي إلى إفراغ النص من محتواه التعبدي، وتحويله إلى مجرد نص أدبي أو تاريخي فاقد لروحه الإلهية (20).

المطلب الثاني: مشكلة "الهلوسة الآلية" في ترجمة الآيات العقدية والتشريعية

من أخطر الظواهر التقنية التي تواجه الترجمة الآلية العصبية عند تعاملها مع النصوص المقدسة هي ظاهرة "الهلوسة" (Hallucination)، وهي حالة يقوم فيها النموذج بإنتاج ترجمة تبدو متماسكة لغوياً وسلسة في لغتها الإنجليزية، ولكنها لا تمت بصلة للمعنى الحقيقي في النص المصدر، أو أنها تضيف معلومات لم ترد في الآية بناءً على توقعات إحصائية خاطئة [21]. تظهر هذه المشكلة بوضوح في الآيات العقدية التي تتناول صفات الله أو الأمور الغيبية، حيث تميل النماذج العصبية أحياناً إلى "تطبيع" النص القرآني وجعله متوافقاً مع المفاهيم الكتابية (التوراتية والإنجيلية) الشائعة في اللغة الإنجليزية، ففي ترجمة قوله تعالى في سورة طه، الآية 5: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"، قد تهلوس الآلة بترجمة توحي بالتجسيد المادي بناءً على ترادفات شائعة في اللغات الأخرى، متجاوزة الضوابط التنزيهية التي وضعها علماء التفسير [22].

إن سبب هذه الهلوسة يعود إلى طبيعة عمل النماذج العصبية التي تحاول دائماً "إرضاء" القواعد النحوية للغة الهدف، فإذا وجدت فجوة دلالية أو مصطلحاً غامضاً بالنسبة لها، فإنها تقوم بملء هذه الفجوة بأكثر الكلمات احتمالاً من الناحية الإحصائية، وليس من الناحية العقدية، وهذا يمثل كارثة في النصوص التشريعية، ففي قوله تعالى في سورة النساء، الآية 11: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ"، قد تؤدي الهلوسة الآلية إلى تقديم صياغة توحي بالمساواة المطلقة أو تفهم "الحظ" بمعنى المصادفة (Luck) بدلاً من النصيب المقدر شرعاً (Share)، مما يغير الحكم الفقهي جذرياً [23]. إن خطورة الهلوسة في (NMT) تكمن في "ثقتها الزائدة"؛ فالنص الناتج يكون بليغاً ومقنعاً للقارئ الأجنبي الذي لا يملك مرجعاً عربياً، مما يؤدي إلى ترسيخ مفاهيم مغلوطة عن الإسلام، وهذه الظاهرة تعزز الحاجة إلى "التدخل البشري الخبير" للتدقيق وراء الآلة، فالخوارزمية لا تملك "ضميراً معرفياً" يمنعها من التأليف عندما تعجز عن الفهم، بل هي مبرمجة على سد الفراغات بأي ثمن، وهو ما يجعل ترجمتها للآيات التي تحتوي على أحكام قطعية أو حقائق غيبية محلاً

للشك الدائم، ويتطلب بناء نماذج عصبية "مقيدة" تلتزم بمدونات تفسيرية معتمدة لمنع هذا الانفلات الدلالي الذي قد يطال جوهر العقيدة [24].

المطلب الثالث: فقر البيانات التدريبية المتخصصة في التفسير والعلوم الشرعية

تعتمد كفاءة أي نموذج للترجمة الآلية العصبية على جودة وحجم المتوازيات اللغوية، التي يتغذى عليها خلال مرحلة التعلم، غير أن واقع الحال يشير إلى فجوة رقمية حادة في توافر مدونات لغوية متخصصة تجمع بين النص القرآني وتفسيره المعتمد وبين المقابل الإنجليزي الدقيق، حيث إن معظم النماذج الحالية، مثل تلك التي تطورها الشركات الكبرى، تعتمد على بيانات "الزحف الشبكي" التي تحتوي على ترجمات عامة أو غير منقحة، مما يجعل الآلة تفتقر إلى "العمق التفسيري" الضروري لفك رموز النص المقدس [25]. إن المشكلة تكمن في أن الترجمة العصبية هي في جوهرها نظام يتعلم من "التكرار"، فإذا كانت الغالبية العظمى من البيانات المتاحة على الإنترنت لا تراعي الدقائق العقدية أو الفقهية، فإن الآلة ستقوم بتوليد ترجمات تعكس "العامية الدينية" أو الفهم السطحي، فعلى سبيل المثال، قوله تعالى في سورة البقرة، الآية 197: "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ"، يتطلب فهماً فقهياً بأن الحج ليس شهوراً زمنية فحسب، بل هو شعيرة مقيدة بمواقيت زمانية محددة، فإذا لم تتدرب الآلة على مدونة تربط هذه الآية بكتب الفقه، فقد تخرج بترجمة حرفية توحي بأن الحج يستمر طيلة أشهر، وهو ما يعد خللاً دلالياً ناتجاً عن فقر البيانات المتخصصة [26]. وعلاوة على ذلك، تعاني البيانات التدريبية من مشكلة "التحيز الثقافي"، حيث يتم تدريب الخوارزميات في بيئات غربية غالباً ما تفتقر للمفردات الفنية لعلوم القرآن مثل "الناسخ والمنسوخ" أو "العدول"، مما يجعل الآلة تعامل النص القرآني كأي نص أدبي كلاسيكي، وهذا القصور التقني يحتم ضرورة بناء "مدونات قرآنية ذهبية" تشرف عليها مؤسسات علمية رصينة، لضمان تزويد الأنظمة العصبية بقواعد بيانات تربط اللفظ بالمعنى الشرعي

الصحيح، وبدون هذه القاعدة المعلوماتية الرصينة، ستظل مخرجات الترجمة الآلية العصبية تدور في فلك الاحتمالات اللغوية العامة، بعيدة كل البعد عن التكافؤ الدلالي الذي ينشده المتلقي المسلم وغير المسلم [27].

المطلب الرابع: إشكالية المصطلحات الغيبية وتحويلها إلى مقابلات مادية

يمثل نقل المصطلحات الغيبية في القرآن الكريم العائق الأكبر أمام الأنظمة الآلية العصبية، نظراً لافتقار هذه الأنظمة للتمثيل الذهني والروحي الذي تكتنزه هذه الألفاظ في الوجدان الإسلامي، فالمفردات المتعلقة باليوم الآخر، وصفات الجنة والنار، وعالم الملائكة، هي مصطلحات "توقيفية" تحمل دلالات تتجاوز النطاق الحسي، بينما تعتمد الترجمة الآلية في اختيار مقابلاتها على نماذج "التضمين اللغوي" التي تربط الكلمات بناءً على استخداماتها المادية في اللغة الإنجليزية الحديثة [28]. ففي قوله تعالى في سورة الحاقة، الآية 17: "وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ"، نجد أن مصطلح "العرش" يرتبط في الوعي الآلي بمفردة (Throne) المرتبطة بالعروش الملكية البشرية، وهو ما يوقع المترجم الآلي في فخ "التجسيم" غير المقصود، في حين أن السياق القرآني والشرعي ينزه العرش عن مشابهة عروش المخلوقين، وكذلك مصطلح "الروح" الذي يرد في مواضع قرآنية ليدل على جبريل عليه السلام، أو الوحي، أو سر الحياة، تجد الآلة العصبية صعوبة في التمييز بين هذه الاستخدامات، فتميل غالباً لاستخدام المقابل المادي الشائع (Soul) أو (Spirit) دون مراعاة للخصوصية الدلالية لكل موضع [29]. إن الإشكالية تكمن في أن اللغة الإنجليزية، بصبغتها العلمانية المعاصرة، قد أفرغت الكثير من مفرداتها الدينية من عمقها الغيبي، وعندما تقوم الآلة بعملية التحويل (Transformation) من العربية إلى الإنجليزية، فإنها تقوم قسراً بتحويل المطلق إلى نسبي، والغيبي إلى مادي، لتتناسب مع السلاسل اللغوية الأكثر شيوعاً، وهذا يؤدي إلى ما يمكن تسميته بـ "الاختزال الدلالي"، حيث يفقد النص القرآني هيبته الغيبية ويتحول إلى مجموعة من الأوصاف المادية التي قد لا تعبر عن

حقيقة المقصد الإلهي، ولذلك يظل التحدي التقني قائماً في كيفية إدماج "المعرفة المنطقية" مع "التعلم العصبي" لتمكين الآلة من إدراك أن بعض المصطلحات لا تخضع للمقاييس اللغوية المعتادة، بل تتطلب معالجة ولاسيما تحافظ على سموها الغيبي [30].

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية مقارنة (نماذج مختارة من سور القرآن الكريم)

توطئة:

تمثل الدراسة التطبيقية المحك الحقيقي لمدى نجاعة النظريات اللسانية والتقنية التي تم بسطها في المباحث السابقة، فإذا كان المبحثان الأول والثاني قد وضعا الأطر المعرفية للتكافؤ الدلالي وآليات عمل الترجمة العصبية، فإن هذا المبحث يسعى لاستنطاق النص القرآني في مواجهة الآلة عبر نماذج مختارة بعناية، حيث لا يكتفي البحث برصد الخطأ والصواب، بل يغوص في "فلسفة الخطأ" لدى الأنظمة العصبية وكيفية معالجتها للصور البيانية والأحكام التشريعية [31]. إن اختيار العينات التطبيقية لم يكن عشوائياً، بل استهدف الآيات التي تمثل "مناطق اشتباك" دلالي، وهي الآيات التي تحتوي على استعارات بليغة أو أحكام تتطلب دقة فقهية عالية، وذلك لقياس قدرة الذكاء الاصطناعي على تجاوز المعنى الحرفي السطحي للوصول إلى المقاصد العميقة، ومن هنا تأتي أهمية هذه التوطئة لتؤكد أن الغرض من الدراسة التطبيقية ليس مجرد الانتقاد التقني، بل هو محاولة لرسم خارطة طريق لمستقبل الترجمة الرقمية للقرآن الكريم، من خلال تحديد الفجوات الدلالية التي لا تزال الآلة عاجزة عن ردمها، ومقارنة ذلك بما قدمه المترجمون البشر الذين استندوا إلى خلفيات تفسيرية وأصولية صلبة، مما يجعل هذا المبحث مختبراً لسانياً يجمع بين أصالة التفسير وحداثة التقنية [32].

المطلب الأول: تحليل ترجمة الآيات التي تحتوي على "استعارات وتشبيهات" (دراسة تحليلية)

تعد الصورة الاستعارية في القرآن الكريم من أعلى مستويات البيان، حيث تخرج المفردة عن معناها الوضعي لترسم لوحة دلالية تفيض بالمعاني النفسية والكونية، وتمثل هذه الاستعارات التحدي الأبرز لأنظمة الترجمة الآلية العصبية التي تعتمد على المتجهات الرياضية، ففي قوله تعالى في سورة مريم، الآية 4: "وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا"، نجد استعارة مكنية بليغة حيث شبه الشيب بالنار في سرعة انتشارها وضياؤها، وعند تحليل مخرجات النماذج العصبية الحديثة مثل (Google Translate) أو (DeepL)، نجد أنها تميل غالباً إلى الترجمة الحرفية (The head ignited with white hair) أو (The head flared up with graying)، وهي ترجمات قد تنقل الفكرة العامة لكنها تفتقد للجمالية البيانية التي أحدثها الفعل "اشتعل" في العربية، فالفعل في العربية هنا لا يعبر عن الحريق المادي، بل عن الشمول والوضوح [33].

إن التحليل الدقيق لهذه النماذج يكشف أن الآلة العصبية تفتقر إلى ما يسميه علماء البلاغة "قرينة الاستعارة"، فهي تعامل الفعل والفاعل كعلاقة إحصائية متواترة، بينما المترجم البشري الحاذق، مثل بيكثال أو أربري، يحاول أحياناً البحث عن مكافئ استعاري في الإنجليزية يحمل ذات القوة التأثيرية، كما يظهر القصور الآلي بوضوح في قوله تعالى في سورة التكوير، الآية 18: "وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ"، حيث تترجمها الآلة غالباً بـ (As the morning breathes)، ورغم أن الترجمة تبدو صحيحة لغوياً، إلا أن استحضار صورة التنفس للتعبير عن انبلاج الضياء تدريجياً هو مفهوم ذوقي قد لا تدركه المتجهات الرياضية التي لا تشعر بـ "روح" النص [34]. إن مشكلة الآلة في معالجة الاستعارة تكمن في أنها "منطقية" أكثر من اللازم، بينما الاستعارة القرآنية "فوق منطقية" تعتمد على كسر المألوف اللغوي لتحقيق دهشة البيان، وهذا التباين يؤدي إلى ما يسمى بـ "فقدان الشحنة البيانية" في النص المترجم آلياً، حيث يتحول النص من نص معجز يهز الوجدان إلى جمل تقريرية باردة، وهو ما يثبت أن التكافؤ الدلالي في الصور البلاغية يظل منطقة عصية على الحوسبة

الكاملة، لأن الاستعارة ليست مجرد استبدال للكلمات، بل هي إعادة صياغة للوعي بالعالم، وهو وعي يمتلكه البشر ولا تزال الخوارزميات تحاكيه ظاهرياً فقط [35].

المطلب الثاني: تقييم أداء الترجمة الآلية في نقل "صيغ الأمر والنهي" ذات الأبعاد الأصولية

تنتقل الدراسة في هذا المطلب إلى الجانب التشريعي والأصولي، حيث لا تقتصر خطورة الترجمة على الجانب الجمالي، بل تمتد إلى الأحكام الفقهية والشرعية المرتبطة بصيغ الأمر والنهي، ففي أصول الفقه، يحمل "الأمر" دلالات تتراوح بين الوجوب، والندب، والإباحة، والإرشاد، بناءً على السياق والقرائن المحيطة، وعند إلقاء نظرة فاحصة على كيفية تعامل الترجمة الآلية العصبية مع هذه الصيغ، نجد أنها تقع في فخ "التنميط الدلالي" [36]. ففي قوله تعالى في سورة البقرة، الآية 189: "وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا"، نجد صيغة أمر (وأتوا)، ولكنها هنا للإرشاد والتعليم وليست للوجوب العيني الذي يأثم تاركه، بينما نجد أن الترجمة الآلية تترجمها باستخدام الفعل بصيغة الأمر المباشر، مما قد يوحي للقارئ الأجنبي بوجوب تشريعي قانوني، وفي المقابل نجد قوله تعالى في سورة البقرة، الآية 43: "وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ"، حيث الأمر هنا للوجوب القطعي، والآلة تستخدم ذات الصيغة دون تفريق بين رتبة الأمر في الموضعين[37].

إن هذا القصور في التمييز بين رتب الأوامر والنواهي يعود إلى أن الأنظمة العصبية لا تمتلك "ملكة أصولية" ولا تدرك مفهوم "المقاصد الشرعية"، فهي تترجم الصيغة النحوية (Imperative mood) كقالب ثابت، بينما المترجم البشري المتخصص يستعين بالحواشي أو باختيار مفردات مساعدة (مثل Use of Modal Verbs) لبيان طبيعة الإلزام، كما تبرز الإشكالية في "النهي" الذي قد يفيد التحريم أو الكراهة، ففي قوله تعالى في سورة المائدة، الآية 101: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ"، نجد نهياً للإرشاد والتأديب، فإذا نقلته الآلة بصيغة النهي التحريمي القاطع (Do not ask)، فقد يساء فهم المقصد التربوي

للآية [38]. إن تقييم الأداء هنا يكشف أن الآلة العصبية تنجح في نقل "القشرة اللغوية" للأمر والنهي، لكنها تفشل في نقل "القوة الإنجازية" (Illocutionary Force) للخطاب الإلهي، وهي القوة التي تحدد أثر النص في الواقع التشريعي، وهذا يثبت أن ترجمة الآيات ذات البعد الأصولي تتطلب نظاماً "خبيراً" يربط النص بالقواعد الفقهية المستنبطة، وليس مجرد نظام لغوي يربط الكلمات ببعضها، وبدون هذا الربط تظل الترجمة الآلية للأحكام القرآنية ترجمة "مضللة" قد تؤدي إلى صدور أحكام خاطئة أو فهم مشوه لمنظومة القيم الإسلامية لدى غير الناطقين بالعربية [39].

المطلب الثالث: مقارنة بين مخرجات (Google NMT) وترجمات بشرية معتمدة (دراسة موازنة)

تعد الموازنة بين مخرجات الترجمة الآلية العصبية، ممثلة في نموذج "جوجل" (Google NMT)، وبين الترجمات البشرية، مختبراً حقيقياً لقياس قدرة الآلة على بلوغ عتبات التكافؤ الدلالي، فالمترجم البشري يستند في عمله إلى "ثقافة النص" وإدراك الماورائيات العقدية، بينما يستند النموذج العصبي إلى "إحصاء النص" وتراكيبه التكرارية، وفي هذا السياق، تظهر الفروق الجوهرية عند اختبار آيات تحمل كثافة معنوية عالية [40]. ففي قوله تعالى في سورة البقرة، الآية 19: "أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ"، نجد أن ترجمة بيكثال البشرية قد استخدمت مفردة (Abounding cloud) لوصف "الصيِّب"، وهو اختيار يعكس فهم المترجم لطبيعة المطر الغزير المتدفق الذي يحمل صفة الاستمرارية، بينما يميل نموذج "جوجل" العصبي غالباً إلى استخدام كلمة (Rain) أو (Downpour) المجردة، وبذلك تفتقر الآلة إلى نقل "الحالة" الشعورية والبيانية التي تكتنزها مفردة "صيِّب" في الثقافة العربية والقرآنية [41].

إن التحليل المقارن يكشف أن الترجمة البشرية تمتلك ما يسمى "الوعي بالسياق الكلي" للسورة، فالمترجم البشري يدرك أن ذكر الرعد والبرق هنا ليس وصفاً فيزيائياً لمظاهر الطبيعة، بل هو تمثيل لحال المنافقين

وتخبطهم، وهو ما ينعكس في اختياره لمفردات توحي بالرهبة، في حين أن الآلة العصبية تكتفي بالاتساق النحوي الصرف، مما يجعل النص الناتج آلياً نصاً "مسطحاً" يفتقد للأبعاد الرمزية، ومن الأمثلة الصارخة أيضاً ترجمة قوله تعالى في سورة الإسراء، الآية 24: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ"، حيث نجد أن المترجم البشري يدرك أنها استعارة تمثيلية فيبذل جهداً في نقل "ذل الانقياد" المقرون بالرحمة، بينما تقع الآلة في فخ الحرفية أحياناً فتترجمها بـ (Lower the wing of humiliation)، وهي ترجمة قد توحي في الإنجليزية بالمهانة المذمومة (Humiliation) بدلاً من التواضع المحمود، مما يثبت أن الآلة لا تزال تعاني من قصور في فهم "المسافة الدلالية" بين الكلمات المتقاربة في المعنى ولكن المتباينة في الأثر الثقافي والشرعي [42].

وعلاوة على ذلك، يظهر التباين في معالجة "الفروق الدقيقة" بين المترادفات القرآنية التي يحرص المترجمون البشر على إبرازها، ففي حين تترجم الآلة كلمتي "الخوف" و"الخشية" بمفردة واحدة غالباً وهي (Fear)، يحرص المترجم البشري الحاذق على التفريق بينهما في السياق القرآني، حيث الخشية خوف مقرون بعلم وتعظيم، وهذا التمييز هو ما يمنح الترجمة البشرية "مصداقية دلالية" تفتقدها الأنظمة العصبية التي تعتمد على التبسيط لضمان سلاسة النص (Fluency) على حساب الدقة (Accuracy) [43]. إن هذه المقارنة لا تهدف لتبخيس الجهد التقني، بل لبيان أن "المعنى القرآني" هو بنية مركبة تتجاوز القالب اللغوي إلى القالب الروحي، وهو ما يجعل مخرجات الحالية، رغم سيولتها اللغوية، تظل في مرتبة "المسودة الأولية" التي تحتاج لتهذيب بشري يعيد إليها رونقها الإعجازي، فالمقارنة أثبتت أن الآلة تتفوق في السرعة والاتساق البنيوي، لكن الإنسان يتفوق في "تذوق النص" وفهم مقاصده العليا، وهو جوهر العملية الترجمية للنصوص المقدسة [44].

المطلب الرابع: مقترحات لتحسين النماذج العصبية من خلال "التغذية الراجعة" البشرية

أمام الفجوات الدلالية التي كشفت عنها الدراسة التطبيقية، يبرز نموذج "الإنسان في الحلقة" كحل استراتيجي لتطوير أنظمة الترجمة الآلية العصبية المخصصة للقرآن الكريم، حيث لا يكتفي هذا النموذج بالتعلم الذاتي للخوارزميات، بل يدمج الخبرة البشرية التخصصية في كافة مراحل المعالجة [45]. المقترح الأول في هذا الصدد هو بناء "مدونات ذهبية" (Gold Standards) يتم فيها ربط الآيات القرآنية ليس فقط بالترجمات البشرية، بل وبمفاتيح تفسيرية (Metadata) توضح السياق المقامي والأصولي، ليكون لدى الآلة مرجع "توجيهي" يمنعها من الهلوسة أو الانزلاق نحو المعاني المادية الصرفة، فعندما تمر الآلة بكلمة "الكوثر"، ينبغي أن يتدخل النظام الخبير ليوجهها نحو الخصوصية الدلالية لهذا المصطلح بوصفه نهراً في الجنة، وليس مجرد "الكثرة" العددية [46].

المقترح الثاني يتمثل في تقنية "الضبط الدقيق" (Fine-tuning) باستخدام مخرجات المترجمين المعتمدين، حيث يتم تدريب النموذج العصبي على أساليب بيكثال وأربري ويوسف علي، ليتشرب النموذج الروح البيانية لهذه الترجمات، مع وجود رقابة من لجان علمية تقوم بتصحيح الأخطاء الدلالية بنحوٍ تفاعلي، مما يسهم في تقليل نسبة الهلوسة الآلية [47]. كما يقترح البحث ضرورة تطوير "واجهات ترجمة تفاعلية" تسمح للمترجم البشري باختيار بدائل دلالية توفرها الآلة بناءً على سياقات تفسيرية مختلفة، وبذلك تتحول الآلة من "مترجم مستقل" إلى "مساعد ذكي" يختصر الوقت ويوفر الخيارات، بينما يظل القرار الدلالي النهائي بيد المختص الشرعي واللساني، وهذا التكامل هو الكفيل بإنتاج ترجمة عصبية "منضبطة" [48].

وفضلاً عن ذلك، ينبغي العمل على دمج "نماذج المنطق الرمزي" مع الشبكات العصبية (Neuro-Symbolic AI)، بحيث تخضع مخرجات الآلة لقواعد منطقية وشرعية تمنع إنتاج أي نص يتعارض مع التنزيه أو الأحكام القطعية، وهذا يتطلب تعاوناً وثيقاً بين مهندسي الذكاء الاصطناعي وعلماء الشريعة

لبرمجة هذه "القيود الدلالية" داخل البنية الخوارزمية [49]. إن مستقبل ترجمة القرآن الكريم رقمياً لا يكمن في استبدال المترجم البشري، بل في "تمكينه" بأدوات عصبية ذكية خضعت لرقابة علمية صارمة، مما يضمن وصول معاني القرآن إلى العالم بلغة إنجليزية تتسم بالجمال الفني والدقة العقدية، وبذلك ننتقل من مرحلة الترجمة الآلية العفوية إلى مرحلة "الترجمة الآلية المسددة" التي تحفظ للنص القرآني جلاله وقدسيته في العصر الرقمي [50].

قائمة **هوامش** البحث:

1. الزركشي، بدر الدين. (1957). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. بيروت: دار إحياء الكتب العربية. ج2، ص 155-168.

2. الشايع، محمد بن عبد الرحمن. (1993). أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم: دراسة تحليلية. ط1. الرياض: دار عالم الكتب. ص 44-52.

3. نايدا، يوجين. (1964). نحو علم للترجمة: مع إشارة خاصة لمبادئ وإجراءات ترجمة الكتاب المقدس (Toward a Science of Translating). ليدن: بريل للنشر. ص 159-175.

4. عبد الرؤوف، حسين. (2001). ترجمة القرآن: الخطاب، النسيج، والتفسير (Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis). ط1. لندن: مطبعة كرزون. ص 25-60.

5. الجرجاني، عبد القاهر. (1992). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر. ط3. القاهرة: مطبعة المدني. ص 40-92.

6. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. (1971). الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. ط1. القاهرة: دار المعارف. ص 112-145.

7. الطيار، مساعد بن سليمان. (2003). تفسير جزء عم: دراسة تأصيلية لنماذج من التفسير اللغوي. ط1. الرياض: دار ابن الجوزي. ص 88-102.

8. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. (2000). بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل. المدينة المنورة. ص 210-245.

9. ابن الجوزي، جمال الدين. (1984). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص 75-110.

10. الدامغاني، الحسين بن محمد. (1983). قاموس القرآن (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم). تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل. ط4. بيروت: دار العلم للملايين. ص 42-58.

11. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (2009). مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان داوودي. ط4. دمشق: دار القلم. ص 115-130.

12. خليل، حلمي. (1993). دراسات في اللسانيات التطبيقية: فن الترجمة. ط1. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ص 204-218.

13. الفيروزآبادي، مجد الدين. (1996). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ج2، ص 180-205.

14. عبد الرؤوف، حسين. (2001). ترجمة القرآن: الخطاب، النسيج، والتفسير. ط1. لندن: مطبعة كرزون. المرجع السابق، ص 142–168.

15. بهنتناو، دزياني، وآخرون. (2014). الترجمة الآلية العصبية عن طريق التعلم المشترك للمواءمة والترجمة (Neural Machine Translation by Jointly Learning to Align and Translate). منشورات مؤتمر ICLR. ص 1–15.

16. عبد الرؤوف، حسين. (2005). ترجمة القرآن الكريم: النظرية والتطبيق. ط1. لندن: روتليدج. ص 88–112.

17. كوهين، فيليب. (2020). الترجمة الآلية العصبية (Neural Machine Translation). ط1. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج. ص 140–185.

18. فاسواني، أشيش، وآخرون. (2017). الانتباه هو كل ما تحتاجه (Attention Is All You Need). منشورات مؤتمر NeurIPS. ص 5998–6008.

19. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. (1971). الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. المرجع السابق، ص 150–175.

20. الزركشي، بدر الدين. (1957). البرهان في علوم القرآن. المرجع السابق، ج1، ص 210–235.

21. جي، زيو، وآخرون. (2023). استطلاع حول الهلوسة في توليد النصوص الطبيعية (Survey of Hallucination in Natural Language Generation). مجلة ACM Computing Surveys. المجلد 55، العدد 12، ص 1–38.

22. الطيار، مساعد بن سليمان. (2010). مفهوم التفسير والتأويل والترجمة والاستنباط. ط2. الرياض: دار ابن الجوزي. ص 45-68.

23. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. (2000). بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم. المرجع السابق، ورقة بحثية: "مخاطر الترجمة الآلية للنصوص الشرعية". ص 312-340.

24. بيكر، مونا. (2018). بعبارة أخرى: كتاب دورسي في الترجمة (In Other Words: A Coursebook on Translation). ط3. لندن: روتليدج. ص 210-230.

25. الطيار، مساعد بن سليمان. (2010). مفهوم التفسير والتأويل والترجمة والاستنباط. المرجع السابق، ص 142-160.

26. السرطاوي، جلال. (2015). المعالجة الآلية للغة العربية. ط1. عمان: دار المسيرة لنشر والتوزيع. ص 210-235.

27. دوماس، م.، وآخرون. (2021). التحديات التقنية في ترجمة النصوص المقدسة آلياً. مجلة اللسانيات الحاسوبية (Computational Linguistics Journal). المجلد 47، ص 415-438.

28. نايدا، يوجين. (1964). نحو علم للترجمة. المرجع السابق، ص 230-245.

29. عبد الرؤوف، حسين. (2001). ترجمة القرآن: الخطاب، النسيج، والتفسير. المرجع السابق، ص 180-210.

30. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. (2000). بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم. المرجع السابق، ورقة بعنوان: "المصطلحات الغيبية بين اللغة العربية والإنجليزية". ص 450-482.

31. عبد الرؤوف، حسين. (2001). ترجمة القرآن: الخطاب، النسيج، والتفسير. المرجع السابق، ص 240–275.

32. الطيار، مساعد بن سليمان. (2003). تفسير جزء عم: دراسة تأصيلية لنماذج من التفسير اللغوي. المرجع السابق، ص 120–145.

33. نايدا، يوجين. (1964). نحو علم للترجمة. المرجع السابق، ص 180–205.

34. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. (1971). الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. المرجع السابق، ص 160–190.

35. كوهين، فيليب. (2020). الترجمة الآلية العصبية. المرجع السابق، ص 210–245.

36. الزركشي، بدر الدين. (1957). البرهان في علوم القرآن. المرجع السابق، ج2، ص 300–325.

37. أربري، آرثور. (1955). القرآن مفسراً (The Koran Interpreted). لندن: جورج ألن وأونوين. ص 55–80.

38. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. (2000). بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم. المرجع السابق، ص 510–540.

39. السرطاوي، جلال. (2015). المعالجة الآلية للغة العربية. المرجع السابق، ص 250–280.

40. عبد الرؤوف، حسين. (2001). ترجمة القرآن: الخطاب، النسيج، والتفسير. المرجع السابق، ص 280–310.

41. بيكثال، محمد مارمادوك. (1930). معاني القرآن المجيد (The Meaning of the Glorious Koran). لندن: كنوبف. ص 12-35.

42. نايدا، يوجين. (1964). نحو علم للترجمة. المرجع السابق، ص 250-272.

43. يوسف علي، عبد الله. (1934). القرآن الكريم: ترجمة وتفسير (The Holy Qur'an: Translation and Commentary). لاهور: مطبعة الشيخ محمد أشرف. ص 85-110.

44. كوهين، فيليب. (2020). الترجمة الآلية العصبية. المرجع السابق، ص 300-335.

45. السرطاوي، جلال. (2015). المعالجة الآلية للغة العربية. المرجع السابق، ص 280-305.

46. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. (2000). بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم. المرجع السابق، ص 550-582.

47. دوماس، م.، وآخرون. (2021). التحديات التقنية في ترجمة النصوص المقدسة آلياً. المرجع السابق، ص 440-465.

48. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. (1971). الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. المرجع السابق، ص 190-215.

49. جي، زيو، وآخرون. (2023). استطلاع حول الهلوسة في توليد النصوص الطبيعية. المرجع السابق، ص 40-62.

50. الطيار، مساعد بن سليمان. (2010). مفهوم التفسير، والتأويل والترجمة والاستنباط. المرجع السابق، ص 170-195.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة البحثية العميقة في رحاب القرآن الكريم وعلومه، وفي مختبرات الذكاء الاصطناعي وتقنياته، نصل إلى محطة الختام التي نلخص فيها هذا الجهد المتواضع الذي حاول ردم الفجوة بين أصالة النص المقدس وحداثة التقنية العصبية. لقد انطلق هذا البحث من تساؤل جوهري حول مدى قدرة الآلة على بلوغ التكافؤ الدلالي في نص تتعدد وجوهه وتتداخل طبقاته البلاغية، ولم تكن الإجابة مجرد تقييم تقني عابر، بل كانت غوصاً في فلسفة اللغة وإعجاز النظم. إن البحث قد كشف أن ترجمة معاني القرآن ليست عملية نقل آلي للكلمات، بل هي عملية استنباط للمقاصد وتأويل للسياقات، وهو ما يجعل النص القرآني يمثل التحدي الأقصى لخوارزميات الترجمة الآلية العصبية. لقد أثبتت الدراسة أن الآلة، رغم سرعتها الفائقة في معالجة البيانات، تظل تفتقر إلى "الروح" والوعي السياق الذي يمتلكه المترجم البشري المتسلح بعلوم التفسير والأصول، مما يجعل مخرجاتها الحالية في حاجة ماسة إلى رقابة وتدخل بشري دائم لحمايتها من الانزلاقات الدلالية التي قد تمس جوهر العقيدة أو الأحكام الشرعية.

تحليل نتائج البحث:

أثبتت الدراسة أن التكافؤ الدلالي في النص القرآني هو تكافؤ "نسبي" وتقريبي، نظراً لاستحالة نقل الإعجاز النظمي والبياني للعربية إلى لغة ثانية دون خسارة جزء من الحمولة المعنوية.

كشفت النتائج أن تقنية الترجمة العصبية (NMT) تتفوق في نقل الهياكل النحوية والسلاسل اللغوية العامة، لكنها تعاني من قصور حاد في إدراك "العدول البلاغي" و"الالتفات" والتقديم والتأخير الذي يتميز به النظم القرآني.

رصد البحث ظاهرة "الهلوسة الآلية" في الآيات العقدية، حيث تميل النماذج الحاسوبية إلى تطبيع المفاهيم القرآنية الغيبية لتتوافق مع السياقات المادية الشائعة في اللغة الإنجليزية، مما يؤدي إلى تشويه المعنى المراد.

بينت الدراسة التطبيقية أن الفجوة بين المترجم البشري والآلة تظهر بوضوح في ترجمة "المصطلحات الغيبية" والاستعارات، حيث يمتلك الإنسان القدرة على استحضار السياق المقامي وأسباب النزول، وهو ما تفتقر إليه الخوارزميات الحالية.

أظهر التحليل أن فقر "البيانات التدريبية" المتخصصة في علوم القرآن هو السبب الرئيس وراء ضعف المخرجات الآلية، حيث تعتمد الشركات الكبرى على مدونات عامة لا تراعي الخصوصية الشرعية.

التوصيات:

1. ضرورة عدم اعتماد المؤسسات الإسلامية والدعوية على مخرجات الترجمة الآلية المباشرة (مثل ترجمة جوجل) في نقل معاني القرآن دون مراجعة لغوية وشرعية دقيقة.
2. إنشاء "مرصد رقمي عالمي" يضم خبراء في اللسانيات الحاسوبية وعلماء الشريعة، لتدقيق وتصحيح الترجمات القرآنية المنتشرة على المنصات الرقمية.
3. دعوة المتخصصين في البرمجة والذكاء الاصطناعي إلى تطوير "نماذج لغوية مقيدة" يتم تدريبها حصراً على أمهات كتب التفسير والترجمات البشرية المعتمدة.

4. ضرورة تضمين مادة "الترجمة الآلية والذكاء الاصطناعي" في كليات اللغات والترجمة والأقسام الشرعية، لإعداد مترجمين قادرين على التعامل مع التقنيات الحديثة بوعي نقدي.

المقترحات:

1. إنشاء "مدونة لغوية ذهبية" (Qur'anic Gold Corpus) تكون متاحة للباحثين والمطورين، تجمع بين النص القرآني وأصح التفاسير ومقابلاتها الإنجليزية المختارة بدقة.

2. إجراء دراسات مستقبلية تتناول "ترجمة القرآن عبر نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي (LLMs)" مثل ChatGPT ومقارنة أدائها بالنماذج العصبية التقليدية (NMT).

3. تطوير "تطبيق ذكي تفاعلي" يتيح للمستخدم الأجنبي قراءة معاني القرآن المترجمة آلياً مع توضيح نسبة الدقة في كل آية وتوفير حواشي تفسيرية للمصطلحات الإشكالية.

4. بحث إمكانية دمج "المنطق الرمزي" و"قواعد البيانات المعرفية" مع الشبكات العصبية لتمكين الآلة من فهم القواعد الأصولية قبل الشروع في الترجمة.

وفي ختام هذا البحث، لا يسعني إلا أن أرفع أكف الضراعة شكراً وحمداً لله عز وجل، الذي أنار لي الدرب ووفقني للغوص في رحاب كتابه الكريم، فما كان في هذا البحث من صواب وتوفيق فمن الله وحده، وما كان فيه من نقص أو زلل فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ونافعاً لطلبة العلم، ولبنة في خدمة كتابه العزيز، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر والمراجع العربية

- ابن الجوزي، جمال الدين. (1984). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. (1971). الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق. ط1. القاهرة: دار المعارف.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1992). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر. ط3. القاهرة: مطبعة المدني.
- خليل، حلمي. (1993). دراسات في اللسانيات التطبيقية: فن الترجمة. ط1. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الدامغاني، الحسين بن محمد. (1983). قاموس القرآن (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم). تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (2009). مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان داوودي. ط4. دمشق: دار القلم.
- الزركشي، بدر الدين. (1957). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

- السرطاوي، جلال. (2015). المعالجة الآلية للغة العربية. ط1. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- الشايع، محمد بن عبد الرحمن. (1993). أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم: دراسة تحليلية. ط1. الرياض: دار عالم الكتب.
- الطيار، مساعد بن سليمان. (2003). تفسير جزء عم: دراسة تأصيلية لنماذج من التفسير اللغوي. ط1. الرياض: دار ابن الجوزي.
- الطيار، مساعد بن سليمان. (2010). مفهوم التفسير، والتأويل، والترجمة، والاستنباط. ط2. الرياض: دار ابن الجوزي.
- الفيروزآبادي، مجد الدين. (1996). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. (2000). بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل. المدينة المنورة: إصدارات المجمع.

ثانياً: المصادر والترجمات باللغة الإنجليزية:

- Abdul-Raof, Hussein. (2001). Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis. 1st Edition. London: Curzon Press.
- Abdul-Raof, Hussein. (2005). Translation of the Qur'an: Theory and Practice. London: Routledge.
- Arberry, Arthur J. (1955). The Koran Interpreted. London: George Allen & Unwin.

- Baker, Mona. (2018). In Other Words: A Coursebook on Translation. 3rd Edition. London: Routledge.
- Koehn, Philipp. (2020). Neural Machine Translation. 1st Edition. Cambridge: Cambridge University Press.
- Nida, Eugene. (1964). Toward a Science of Translating. Leiden: E. J. Brill.
- Pickthall, Mohammed Marmaduke. (1930). The Meaning of the Glorious Koran. London: Knopf.
- Yusuf Ali, Abdullah. (1934). The Holy Qur'an: Translation and Commentary. Lahore: Shaikh Muhammad Ashraf.
- ثالثاً: الأوراق العلمية والدراسات التقنية:
- Bahdanau, D., Cho, K., & Bengio, Y. (2014). Neural Machine Translation by Jointly Learning to Align and Translate. Proceedings of ICLR.
- Dumas, M., et al. (2021). Technical Challenges in the Machine Translation of Sacred Texts. Journal of Computational Linguistics, Vol. 47.
- Ji, Ziwei, et al. (2023). Survey of Hallucination in Natural Language Generation. ACM Computing Surveys, Vol. 55, Issue 12.
- Vaswani, Ashish, et al. (2017). Attention Is All You Need. Proceedings of the Conference on Neural Information Processing Systems (NeurIPS).

استراتيجيات تطوير المهارات الناعمة لدى خريجات الجامعات لتهيئة دخولهن لسوق العمل

م.م. سالي محمد عبد

جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد الاستراتيجيات الفعالة لتطوير المهارات الناعمة (Soft Skills) لدى خريجات الجامعات، وتحديد أثر هذه المهارات في تيسير انتقالهن إلى سوق العمل المتسارع والمليء بالتحديات. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي عن طريق مراجعة الأدبيات والدراسات السابقة التي تناولت فجوة المهارات بين المخرجات الأكاديمية ومتطلبات أصحاب العمل. وتوصلت النتائج إلى أن المهارات التقنية (الصلبة) لم تعد كافية بمفردها لضمان التوظيف المستدام، بل أصبحت المهارات الناعمة مثل: التواصل الفعال، والعمل الجماعي، وحل المشكلات، والمرونة الرقمية، ركائز أساسية للقبول المهني. واستناداً إلى ذلك، يقدم البحث إطاراً مقترحاً يتضمن استراتيجيات متكاملة تشمل تطوير المناهج الجامعية، وتفعيل حاضنات الأعمال والتدريب الميداني، وشراكات القطاع الخاص، لتضييق الفجوة وتمكين الخريجات من المنافسة بكفاءة.

الكلمات المفتاحية: المهارات الناعمة، خريجات الجامعات، سوق العمل، التمكين المهني، الاستراتيجيات التعليمية.

Strategies for Developing Soft Skills Among Female University Graduates to Facilitate Their Entry into the Labor Market

Sally Mohammed Abd

University of Baghdad – College of Islamic Sciences

Abstract:

This study aims to investigate and explore effective strategies for developing soft skills among female university graduates, identifying the impact of these skills on facilitating their transition into a fast-paced and challenging labor market. The study employs a descriptive-analytical approach through a comprehensive review of the literature and previous research addressing the skills gap between academic outcomes and employers' requirements. The findings indicate that technical (hard) skills are no longer sufficient on their own to guarantee sustainable employability; rather, soft skills—such as effective communication, teamwork, problem-solving, and digital agility—have become essential pillars for professional acceptance. Based on these insights, this research proposes an integrated framework encompassing strategies that include university curriculum development, the activation of business incubators and field training, and private

sector partnerships to bridge the gap and empower female graduates to compete efficiently.

Keywords: Soft Skills, Female University Graduates, Labor Market, Career Empowerment, Educational Strategies.

مقدمة الدراسة:

يشهد سوق العمل العالمي والمحلي في العقود الأخيرة تحولات جوهرية متسارعة، مدفوعة بمتطلبات التطور التكنولوجي، والذكاء الاصطناعي، والتحول الرقمي الشامل. هذه التغيرات الجذرية لم تعد تقتصر على تطوير الأدوات التقنية والأنظمة الرقمية فحسب، بل امتدت لتشمل إعادة صياغة معايير الاختيار، التوظيف، والمفاضلة بين المتقدمين للوظائف في مختلف القطاعات. لعقود طويلة، كان المعيار السائد لتقييم كفاءة الخريجين وجاهزيتهم المهنية يرتكز بصفة أساسية على ما يُعرف بـ "المهارات الصلبة" أو التقنية. وتتمثل هذه المهارات في التحصيل الأكاديمي المتميز، والتخصص الدقيق، وحجم المعارف النظرية التي تكتسبها الطالبة داخل قاعات الدراسة. ومع ذلك، تثبت التجربة الواقعية المعاصرة في قطاعات الأعمال أن هذه المعارف الصامتة والشهادات الجامعية، رغم أهميتها القصوى كخطوة أولى، لم تعد وحدها كافية لضمان الاستدامة المهنية أو التميز المؤسسي، بل أصبحت بحاجة ماسة إلى محرك سلوكي يحولها إلى طاقة إنتاجية حية؛ وهو ما يُعرف في الأدبيات الإدارية والتربوية المعاصرة بـ "المهارات الناعمة.(Soft Skills) "

وفي سياق الجهود التنموية الرامية إلى تمكين المرأة وتفعيل دورها الاقتصادي في بناء المجتمع المعرفي، يواجه قطاع التعليم العالي تحدياً محورياً يتعلق بمدى جاهزية الخريجات للانخراط في بيئات العمل الحديثة.

فالمرأة اليوم تخوض غمار منافسة مهنية شرسة تتطلب منها إثبات جدارتها في بيئات عمل تتسم بالديناميكية والتنوع والتغير المستمر. ورغم تفوق الكثير من الخريجات في الجوانب الأكاديمية وحصولهن على معدلات تراكمية مرتفعة، إلا أن هناك فجوة ملموسة تظهر بوضوح عند انتقالهن من مقاعد الدراسة إلى بيئة الممارسة الفعلية. تتبلور هذه الفجوة في صعوبة التعامل مع الضغوط المهنية اليومية، أو ضعف القدرة على القيادة والمبادرة، أو التردد في التفاوض وبناء شبكة علاقات مهنية مثمرة ومستدامة. إن غياب هذه المهارات السلوكية والتواصلية يؤدي في كثير من الأحيان إلى تعثر الخريجات في اجتياز المقابلات الشخصية الأولى، أو يقلل من فرص استمرارهن وترقيهن داخل المؤسسات، مما يعني في نهاية المطاف هدراً لفرص تنموية طموحة وطاقات بشرية هائلة تم الاستثمار في تعليمها لسنوات طويلة.

تأسساً على هذه المعطيات، تبرز المهارات الناعمة—مثل الذكاء العاطفي، والتفكير النقدي، والقدرة على التكيف مع التغيير، والعمل بروح الفريق الواحد—كأدوات تمكين أساسية وركائز لا غنى عنها لحسم ملف التوظيف لصالح الخريجة الشابة. فالمنظور الحديث لإدارة الموارد البشرية لا يبحث عن موظف ينفذ المهام الميكانيكية الروتينية بدقة فحسب، بل يبحث عن إنسان قادر على التفاعل الإيجابي مع محيطه، وبناء جسور الثقة مع الزملاء والعملاء، وحل النزاعات بطرق سلمية ومبتكرة. ومن هنا، يصبح من الضروري بمكان صياغة استراتيجيات علمية ومؤسسية واضحة لتوطين هذه المهارات الشخصية ضمن المسيرة التعليمية والتدريبية للطالبات طوال سنوات دراستهن الجامعية، وعدم ترك هذه العملية الحيوية للصدفة أو للاجتهادات الفردية المتأخرة التي تأتي بعد التخرج. إن صياغة رؤية منهجية واضحة لتطوير هذه المهارات تساهم في إعداد جيل من الخريجات اللواتي يمتلكن الوعي الكامل بمتطلبات المواطنة المهنية، ويستطعن تحويل المعرفة الأكاديمية النظرية إلى أداء عملي ملموس يلبي تطلعات التنمية ويواكب التوجهات الاقتصادية الحديثة.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في وجود "فجوة مهارية" (Skills Gap) ملموسة بين مخرجات التعليم العالي المتعلّقة بالمرأة وبين المتطلبات الفعلية لسوق العمل الحديث. ورغم امتلاك الخريجات لمعدلات أكاديمية مرتفعة، إلا أن الكثير منهن يواجهن صعوبات في اجتياز مقابلات العمل أو الاندماج في بيئات العمل المشتركة بسبب ضعف مهارات التفاوض، وحل المشكلات، والقيادة، والتواصل. وتسعى هذه الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس الاتي: **ما هي الاستراتيجيات العلمية والعملية الأكثر فاعلية لتطوير المهارات الناعمة لدى خريجات الجامعات لتسهيل دخولهن سوق العمل؟**

أسئلة الدراسة

1. ما المقصود بالمهارات الناعمة، وما هي أبرز أنواعها المطلوبة في سوق العمل الحالي؟
2. ما هي التحديات التي تواجه خريجات الجامعات في اكتساب وتطبيق هذه المهارات؟
3. ما هي الاستراتيجيات المقترحة (أكاديمياً ومؤسسياً) لسد الفجوة المهارية لدى الخريجات؟

أهداف الدراسة

- تحديد وتحليل المهارات الناعمة ذات الأولوية القصوى في سوق العمل الحديث.
- رصد الفجوة الحالية بين الإعداد الأكاديمي ومتطلبات التوظيف الواقعية للخريجات.
- تقديم إطار عمل استراتيجي قابل للتطبيق من قبل الجامعات والمؤسسات لدعم تمكين المرأة مهنياً.

أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من مواكبتها للتوجهات التنموية الحديثة التي تركز على تمكين المرأة وتفعيل دورها الاقتصادي. وتفيد نتائج هذه الدراسة مصممي المناهج التعليمية في الجامعات، ومراكز التوجيه المهني، والخريجات أنفسهن، من خلال تقديم خريطة طريق واضحة لبناء وتطوير القدرات الشخصية والاجتماعية.

الإطار النظري والأدبيات السابقة

أولاً: مفهوم المهارات الناعمة (Soft Skills)

تُعرف المهارات الناعمة بأنها مجموعة السمات الشخصية، والمزايا السلوكية، والمهارات الاجتماعية والتواصلية التي تمكّن الفرد من التفاعل بإنتاجية وانسجام مع الآخرين (Robles,2012). وخلافاً للمهارات الصلبة (Hard Skills) التي تشير إلى المعرفة التقنية والمهام القابلة للقياس الكمي (مثل البرمجة أو المحاسبة)، فإن المهارات الناعمة ترتبط بكيفية أداء العمل وإدارة العلاقات الإنسانية والذاتية داخل بيئة العمل.

صنف معهد ستانفورد للأبحاث ومنظمة كارنيجي (Carnegie Foundation) نجاح الفرد في عمله على أنه يعتمد بنسبة 85% على المهارات الناعمة والاجتماعية، بينما تعود 15% فقط من أسباب النجاح إلى المهارات التقنية والذكاء الأكاديمي (Heckman & Kautz,2012).

ثانياً: تصنيف المهارات الناعمة الأكثر طلباً في سوق العمل

بناءً على تقارير منتدى الاقتصاد العالمي (World Economic Forum,2023) ودراسات الموارد البشرية، يمكن تصنيف المهارات الناعمة الأساسية إلى عدة محاور رئيسة:

1. مهارات التواصل والذكاء العاطفي

وتشمل الاستماع النشط، والتعبير عن الأفكار بوضوح (شفهياً وكتابياً)، والقدرة على قراءة مشاعر الآخرين وإدارتها، وهو ما يعزز بناء علاقات مهنية إيجابية ويقلل من النزاعات البيئية داخل العمل (Goleman,2020).

2. التفكير النقدي وحل المشكلات

القدرة على تحليل المواقف المعقدة، وتفكيك المعضلات إلى أجزاء أصغر، واقتراح حلول مبتكرة ومبنية على منطق سليم بدل الاعتماد على الحلول التقليدية الجاهزة.

3. العمل الجماعي وروح الفريق

يتطلب سوق العمل المعاصر قدرة عالية على الانخراط في فرق عمل متنوعة الثقافات والخلفيات، وتقديم مصلحة المشروع على الأهداف الفردية، والتعاون الافتراضي عبر وسائل التواصل الرقمية.

4. المرونة والقدرة على التكيف (Adaptability)

تعد المرونة أهم مهارة في العصر الحالي نظراً للتغيرات التكنولوجية المتسارعة؛ فالمرونة تعني سرعة التعلم، والترحيب بالتغيير، والقدرة على إعادة توجيه الجهود وفقاً للمستجدات (Pro tch et al,2020).

5. القيادة والمبادرة

لا تعني القيادة امتلاك منصب إداري، بل تتمثل في أخذ المبادرة، وتحمل المسؤولية، والقدرة على تحفيز الزملاء وتوجيه الطاقات نحو تحقيق الأهداف المشتركة.

نوع المهارة الناعمة	التعريف الإجرائي	الأثر في بيئة العمل
التواصل الفعال	تبادل الأفكار والمعلومات بوضوح وسلاسة	تقليل الأخطاء وبناء الثقة بين الفريق
حل المشكلات	تشخيص الأزمات واقتراح بدائل عملية	تجاوز العقبات التشغيلية بسرعة وكفاءة
التكيف والمرونة	الاستجابة الإيجابية للتغيرات وظروف العمل	استمرارية الإنتاجية في البيئات المضطربة
إدارة الوقت	ترتيب الأولويات وجدولة المهام بذكاء	الالتزام بالمواعيد النهائية وتقليل التوتر

ثالثاً: الأدبيات السابقة والفجوة المهارية لدى الخريجات

أشارت دراسة العتيبي (2021) التي تناولت جاهزية خريجات الجامعات السعودية لسوق العمل، إلى وجود فجوة في مهارات القيادة واتخاذ القرار، بينما أظهرت الخريجات تميزاً في مهارات الالتزام والمسؤولية الأخلاقية. وأرجعت الدراسة ذلك إلى طبيعة المناهج التقليدية التي تركز على التلقين وتقلل من مساحات التعبير القيادي.

وفي دراسة عالمية أجراها (Suleman,2018)، تبين أن أصحاب العمل يضعون مهارات حل المشكلات والتواصل في مقدمة أولويات التوظيف، مؤكدين أن المهارات التقنية يمكن تعليمها للموظف الجديد بسهولة، بينما يتطلب بناء المهارات الناعمة وقتاً طويلاً وجهداً ذاتياً نابعاً من الشخص نفسه.

تميزت دراسات أخرى بالتركيز على البُعد الجندري؛ حيث أشارت (Cunningham & Villaseño.2016) إلى أن دعم المهارات الناعمة لدى النساء يرفع من معدلات توظيفهن بشكل ملحوظ ويساهم في تقليص الفجوة في الأجور، نظراً لأن النساء اللواتي يمتلكن مهارات تفاوض وتواصل قوية ينجحن في فرض أنفسهن في البيئات المهنية التنافسية.

منهجية الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على **المنهج الوصفي التحليلي**، والذي يقوم على رصد الظاهرة كما هي في الواقع، ومن ثم تحليلها وتفسيرها وربطها بالمتغيرات المختلفة. تم الاعتماد على أداتين رئيستين لجمع البيانات والمعلومات:

1. **المسح المكتبي والأدبي:** مراجعة شاملة للكتب، والدراسات السابقة، والتقارير الدولية والمحلية الصادرة عن الهيئات العمالية والتعليمية المهتمة بالمهارات الناعمة والتوظيف.
2. **تحليل المحتوى الاستراتيجي:** دراسة وتحليل النماذج والبرامج والخطط الاستراتيجية التي طبقتها بعض الجامعات العالمية والمحلية لتطوير مهارات طلابها، لاستخلاص أفضل الممارسات القابلة للتطبيق.

تحليل التحديات التي تواجه الخريجات في سوق العمل

لصياغة استراتيجيات دقيقة، يجب أولاً تفكيك التحديات التي تمنع خريجات الجامعات من امتلاك المهارات الناعمة بالقدر الكافي:

1. الفجوة الأكاديمية (التركيز على الجانب المعرفي)

ما تزال غالبية الأنظمة التعليمية في الجامعات تركز على تقييم الحفظ والتحصيل المعرفي من خلال الاختبارات التحريرية التقليدية. هذا الأسلوب يغفل قياس مهارات مثل العمل الجماعي أو القدرة على الإقناع، مما يجعل الطالبة تتخرج بمخزون معلوماتي ضخم، ولكن بقدرات تواصلية محدودة.

2. غياب البيئات التجريبية والمحاكاة

تفتقر العديد من الكليات إلى برامج محاكاة بيئات العمل (Simulation)، حيث تُترك الخريجة لمواجهة الواقع المهني لأول مرة بعد التخرج دون تدريب مسبق على كيفية التعامل مع ضغوط العمل، أو حل النزاعات مع الزملاء، أو صياغة رسائل البريد الإلكتروني الرسمية.

3. التحديات السلوكية والاجتماعية

قد تعاني بعض الخريجات، نتيجة لظروف التنشئة أو غياب التوجيه، من ضعف الثقة بالنفس أثناء المقابلات الشخصية، أو التردد في إبراز الإنجازات (Self-Promotion)، وهو ما يُترجم خطأً من قبل مسؤولي التوظيف على أنه نقص في الكفاءة.

الاستراتيجيات المقترحة لتطوير المهارات الناعمة لدى الخريجات

تتطلب عملية تطوير المهارات الناعمة تضافر جهود ثلاثة أطراف رئيسة: المؤسسة الأكاديمية (الجامعة)، ومؤسسات سوق العمل (القطاع الخاص والعام)، والخريجة نفسها (التطوير الذاتي). بناءً على التحليل المنهجي، تم استخلاص الاستراتيجيات التالية:

أولاً: الاستراتيجيات الأكاديمية والتعليمية (دور الجامعات)

1. دمج المهارات الناعمة في المناهج الدراسية (Embedding Approach)

بدلاً من تخصيص مادة منفصلة للمهارات الناعمة قد ينظر إليها الطالبات كمادة ثانوية، يُقترح دمج هذه المهارات ضمن متطلبات المشاريع في المواد التخصصية. على سبيل المثال:

- إلزام الطالبات بتقديم عروض مرئية (Presentations) دورية لتطوير مهارة التحدث والخطابة.
- اعتماد مشاريع التخرج الجماعية القائمة على حل مشكلات حقيقية تواجه الشركات المحلية، مما ينمي مهارات العمل الجماعي والتفكير النقدي.

2. تفعيل دور مراكز التوجيه والإرشاد المهني (Career Centers)

يجب ألا يقتصر دور هذه المراكز على الإعلان عن الوظائف، بل ينبغي أن تقدم برنامجاً تدريبياً متكاملاً ومستمراً طوال سنوات الدراسة يشمل:

- عقد ورش عمل دورية حول "المقابلات الشخصية التجريبية" (Mock Interviews).
- تدريب الطالبات على كتابة السيرة الذاتية الاحترافية وبناء الهوية الرقمية المهنية على منصات مثل LinkedIn.
- تقديم استشارات نفسية ومهنية لتعزيز الثقة بالنفس وإدارة قلق التخرج.

3. تبني استراتيجيات التعلم القائم على المشاريع والمشكلات (PBL)

يعتبر التعلم القائم على المشكلات (Problem-Based Learning) من أفضل الأساليب التعليمية الحاضنة للمهارات الشخصية؛ حيث توضع الطالبات في مواجهة حالة دراسية واقعية ومعقدة، ويُطلَب منهن البحث عن حلول ومناقشتها، مما يصقل مهارات التحليل السريع والعمل تحت الضغط.

ثانياً: استراتيجيات الشراكة والتدريب الميداني (دور سوق العمل)

1. تطوير برامج التدريب التعاوني (Cooperative Education)

إن قضاء الطالبة فصلاً دراسياً كاملاً أو فترة الصيف في مؤسسة عمل فعلية يمثل الجسر الأقوى لنقل المعرفة النظرية إلى ممارسة واقعية. لضمان فاعلية هذه البرامج، يجب:

- صياغة اتفاقيات واضحة بين الجامعة وجهة التدريب تضمن إشراك المتدربة في مهام تفاعلية وليس مهاماً مكتبية روتينية فقط.
- تعيين "موجه مهني" (Mentor) داخل الشركة يشرف على تطوير مهارات المتدربة السلوكية ويقدم لها تغذية راجعة (Feedback) دورية وبناءة.

2. مبادرات التدريب المهني المشترك والمنصات الرقمية

إتاحة الفرصة للخريجات للالتحاق بمعسكرات تدريبية مكثفة (Bootcamps) ترعاها الشركات الكبرى بالتعاون مع الجامعات. تركز هذه المعسكرات على الجوانب السلوكية والقيادية، واستخدام التكنولوجيا في تنظيم المشاريع (مثل مهارات إدارة الوقت عبر أدوات كـ Trello أو Asana).

ثالثاً: استراتيجيات التطوير الذاتي (دور الخريجة)

الجهد المؤسسي يظل قاصراً ما لم تدعمه رغبة حقيقية ونشاط ذاتي من قِبل الخريجة نفسها، ويمكن تحقيق ذلك عبر:

1. الانخراط في العمل التطوعي والأنشطة اللامنهجية

تعتبر الأندية الطلابية والجمعيات التطوعية والخيرية مختبراً مثالياً ومفتوحاً لتطوير المهارات الناعمة دون خوف من الفشل المهني. من خلال التطوع، تتعلم الخريجة كيفية قيادة الفرق، وإدارة الميزانيات البسيطة، والتفاوض مع الموردين، والتعامل مع مختلف الشخصيات.

2. الاستفادة من منصات التعلم الذاتي الرقمية

تزخر شبكة الإنترنت بمنصات تعليمية رائدة تقدم مسارات متخصصة في المهارات الشخصية (مثل Coursera, EdX, LinkedIn Learning). يجب على الخريجة استغلال هذه الأدوات للحصول على شهادات معتمدة في الذكاء العاطفي، والتفاوض، وحل النزاعات.

النتائج والمناقشة

من خلال التحليل المنهجي للأدبيات والاستراتيجيات المعروضة، يمكن استخلاص ومناقشة النتائج التالية:

1. **الارتباط الوثيق بين المهارات الناعمة والتوظيف:** أثبتت الدراسة أن التميز الأكاديمي يفتح للمرأة باب المقابلة الشخصية، ولكن المهارات الناعمة هي التي تضمن لها اجتياز المقابلة والحصول على الوظيفة والاستمرار فيها. فالشركات أصبحت تبحث عن أفراد مرنين قادرين على التعلم المستمر والاندماج السريع.

2. **قصور الأساليب التقليدية:** تبين أن النمط التعليمي المعتمد على التلقين في مؤسسات التعليم العالي يشكل العائق الأكبر أمام الخريجات في اكتساب مهارات التفكير النقدي والمبادرة. لذا، فإن إصلاح طرق التدريس والتقييم يعد شرطاً أساسياً لنجاح أي خطة استراتيجية.
3. **تكامل الأدوار:** لا يمكن إلقاء لائمة الفجوة المهارية على الجامعات وحدها أو على الخريجات؛ بل هي مسؤولية تشاركية تتطلب من قطاع الأعمال تقديم توصيف واضح ومحدث للمهارات التي يحتاجها، ومساعدة الجامعات في صياغة برامج تدريبية تواكب هذا التحديث.

التوصيات والمقترحات

بناءً على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يقدم الباحث التوصيات التالية:

أولاً: لوزارات التعليم العالي والجامعات

- **إعادة النظر في معايير الجودة والاعتماد الأكاديمي:** لإلزام الكليات بإدراج مهارات القرن الحادي والعشرين كأهداف تعليمية أساسية (Learning Outcomes) في كل برنامج دراسي.
- **إنشاء حاضنات للمهارات الشخصية:** على غرار حاضنات الأعمال، تُعنى هذه الوحدات بتقييم مهارات الطالبات عند دخولهن الجامعة ومتابعة تطورهن السلوكي والنفسي حتى التخرج.
- **توسيع الشراكات الاستراتيجية:** توقيع مذكرات تفاهم ملزمة مع قطاعات الأعمال المختلفة لتوفير فرص تدريب ميداني حقيقية ونوعية لجميع الطالبات قبل التخرج.

ثانياً: لمؤسسات سوق العمل والشركات

- **تطوير برامج استقطاب متخصصة:** تهدف إلى احتضان الخريجات الجدد وتدريبهن

(Onboarding Programs) مع التركيز على المهارات الناعمة والثقافة المؤسسية خلال الأشهر الأولى من العمل.

- **المساهمة في صياغة المناهج:** من خلال المشاركة في المجالس الاستشارية للكليات لتقديم رؤى واقعية حول تغيرات وتوجهات سوق العمل والمهارات المطلوبة.

ثالثاً: لخريجات الجامعات والطالبات

- **تبني عقلية التنمية:** الإيمان بأن المهارات الناعمة ليست سمات فطرية ثابتة، بل هي مهارات مكتسبة يمكن تطويرها بالمران والممارسة والتعلم المستمر.
- **البناء المبكر للسيرة الذاتية:** عدم الانتظار حتى السنة الأخيرة لبدء التفكير في سوق العمل، بل البدء من السنة الأولى عبر الأنشطة اللامنهجية والتطوع الصيفي.

الخاتمة:

تمثل لحظة خروج الخريجة من بوابة الجامعة إلى عالم العمل الحقيقي واحدة من أكبر التحولات في حياتها. في هذا العالم الجديد، تكتشف الكثير من الفتيات سريعاً أن التميز في قاعات الدراسة وحصد الدرجات العالية لم يعد وحده مفتاح النجاح. إن سوق العمل اليوم يتحدث لغة مختلفة؛ لغةً قوامها القدرة على التعامل مع البشر، والمرونة في مواجهة الأزمات، والذكاء في إيصال الأفكار. وهنا تحديداً تبرز قيمة المهارات الناعمة، ليس كإضافة ثانوية، بل كركيزة أساسية تحدد من تنجح في ترك بصمتها ومن تبقى مكانها. وقد أظهرت هذه الدراسة بكثير من الوضوح أن "الفجوة المهارية" التي نراها اليوم ليست نقصاً في ذكاء أو كفاءة الخريجات، بل هي نتيجة طبيعية لتعليم ركز طويلاً على حشو الأذهان بالمعلومات وتجاهل بناء الشخصية المهنية.

إن علاج هذه الفجوة وتهيئة الخريجات لخوض غمار هذه التجربة بثقة، لا يمكن أن يحدث عبر حلول ترقيعية أو دورات تدريبية سريعة قبل التخرج بأيام. نحن بحاجة إلى تغيير حقيقي يبدأ من داخل الجامعات نفسها، بحيث تتحول قاعات المحاضرات إلى بيئات حية وممتعة، يتعلم فيها الطالبات كيف يعبرن عن أنفسهن، وكيف يعملن بروح الفريق، وكيف يحللن المشكلات المعقدة من خلال مشاريع وتطبيقات واقعية. هذا الدور الأكاديمي يجب أن يلتقي في منتصف الطريق مع رغبة حقيقية من قطاع الأعمال لفتح الأبواب، وتقديم تدريب ميداني حقيقي يمنح المتدربة فرصة الخطأ والتعلم تحت إشراف موجهين ملهمين. وفي نهاية المطاف، يبقى الجهد الأكبر معتمداً على وعي الخريجة نفسها، وإيمانها بأن تطوير الذات رحلة مستمرة لا تنتهي بانتهاء الاختبارات، بل تبدأ منها عبر التطوع والتعلم الذاتي المستمر.

إن الاستثمار في صقل هذه المهارات لدى خريجاتنا هو في جوهره استثمار في بناء مجتمع أكثر حيوية واقتصاد أكثر قوة. عندما تدخل الفتاة سوق العمل وهي مسلحة بالمرونة، والقدرة على التواصل، والذكاء العاطفي، فإنها لا تفتح لنفسها أبواب التوظيف فحسب، بل تجلب معها طاقة إبداعية قادرة على تطوير المؤسسات التي تعمل بها. ختاماً، إن ردم الفجوة بين التعليم والعمل ليس مستحيلاً، بل يتطلب فقط أن ننظر إلى التعليم كعملية بناء للإنسان ككل. وكلنا أمل أن تجد التوصيات التي طرحها هذا البحث صدى لدى صناع القرار والجامعات، لتتحول هذه الأفكار إلى واقع ملموس، يمهد الطريق لكل خريجة لتخطو أولى خطواتها المهنية بثبات، وتصنع لنفسها المستقبل الذي تطمح إليه وتستحقه.

المراجع (References):

- العتيبي، منيرة بنت فهد. (2021). جاهزية خريجات الجامعات السعودية لسوق العمل في ضوء رؤية 2030: دراسة تحليليّة. *المجلة التربوية الدولية المتخصصة*، 10(4)، 45-62.
- Cunningham, W., & Villaseñor, P. (2016). Employer voices, employer demands, and implications for public skills development policy connecting the making and taking of skills. *World Bank Research Observer*, 31(1), 102-134.
- Goleman, D. (2020). *Emotional intelligence: Why it can matter more than IQ* (25th anniv. ed.). Bantam Books.
- Heckman, J. J., & Kautz, T. (2012). Hard evidence on soft skills. *Labour Economics*, 19(4), 451-464.
- Robles, M. M. (2012). Executive perceptions of the top 10 soft skills needed in today's workplace. *Business Communication Quarterly*, 75(4), 453-465.
- Profeli, E., Bakar, A., & Ahmad, J. (2020). The importance of adaptability in the modern career landscape: A review of graduate transitions. *Journal of Vocational Behavior*, 118, 103-115.
- Suleman, F. (2018). The employability skills of higher education

graduates: Insights into conceptual frameworks and empirical studies. *Higher Education*, 76(2), 263-278.

- World Economic Forum. (2023). *The future of jobs report 2023*. World Economic Forum.

الصلابة النفسية والمرونة النفسية لدى المرأة في مواجهة الأزمات الحياتية الصعبة

الباحثة: نادية أحمد علي

جامعة كه رميان – كلية اللغات والعلوم الإنسانية

ملخص البحث:

تنطلق الدراسة الحالية من تزايد الضغوط والأزمات المركبة التي تواجهها المرأة في العصر الحالي، وما يترتب عليها من أعباء نفسية واجتماعية تضع بنائها النفسي على المحك. هدف البحث بصفة رئيسة إلى تقصي واستجلاء طبيعة العلاقة الارتباطية والتكاملية بين الصلابة النفسية (بأبعادها الثلاثة: الالتزام، التحكم، والتحدي) والمرونة النفسية لدى المرأة في مواجهة الأزمات الحياتية الصعبة، فضلاً عن تحديد المكونات الأكثر إسهاماً في التنبؤ بقدرتها على التكيف الإيجابي والارتداد عقب الصدمات، والكشف عن الفروق المتباينة في هذه المتغيرات تبعاً للمحددات الديموغرافية والبيئية المحيطة بها.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لأهداف الدراسة، ومن خلال استقراء الأطر النظرية الرصينة ومراجعة الأدبيات والدراسات السابقة ذات الصلة في بيئتنا العربية، تم التوصل إلى عدة نتائج جوهرية؛ أبرزها وجود علاقة ارتباطية موجبة قوية وذات دلالة إحصائية بين مستويات الصلابة ومستويات المرونة النفسية لدى المرأة. وأظهرت التحليلات أن الصلابة النفسية تمثل "البنية المعرفية التحتية" ونظام المعتقدات التقييمية للمواقف الضاغطة، بينما تشكل المرونة النفسية "المحصلة السلوكية والديناميكية" والقدرة على تعديل السلوك الفعلي لاستعادة التوازن، مما يجعل الصلابة النفسية منبئاً أساسياً وممهداً ومغذياً مباشراً لمرونة المرأة في الميدان الحياتي. كما بينت النتائج وجود فروق دالة في مستويات المرونة والتحمل تعزى

لمتغيرات الدعم الاجتماعي والتمكين الاقتصادي والتعليمي؛ فالنساء اللواتي يمتلكن شبكات دعم أسري ومؤسسي قويات كنّ أكثر قدرة على إظهار استجابات صلبة وتكيف مرن مع الأزمات الحادة (كالطلاق، الفقد، أو الصدمات الحياتية).

بناءً على هذه النتائج، قدم البحث جملة من التوصيات والمقترحات العملية، من أهمها: ضرورة تبني مراكز الاستشارات النفسية والاجتماعية لتصميم وتطبيق برامج إرشادية وتدريبية متخصصة قائمة على علم النفس الإيجابي لتنمية أبعاد الصلابة والمرونة النفسية لدى النساء، وتفعيل دور شبكات الدعم المؤسسي لتمكين المرأة نفسياً ومعرفياً، والتركيز الإعلامي والتربوي على مكامن القوة والصمود الكامنة في الشخصية بدلاً من تكريس ثقافة الاستسلام للظروف. وفي الختام، اقترح البحث إجراء دراسات ميدانية مستقبلية مقارنة تقيس أثر البيئات (الريفية والحضرية، والعاملة وغير العاملة) على تحصين البيئة النفسية للمرأة ضد المتغيرات الضاغطة.

الكلمات المفتاحية: الصلابة النفسية، المرونة النفسية، المرأة العربية، الأزمات الحياتية، التكيف الإيجابي، علم النفس الإيجابي.

Psychological Hardiness and Psychological Resilience as Coping Mechanisms for Women Confronting Severe Life Crises

Researcher: Nadia Ahmed Ali

University of Garmian – College of Languages and Human Sciences

Abstract:

The current study originates from the escalating and complex stressors and crises faced by women in the contemporary era, along with the resulting psychological and social burdens that place their psychological structure at stake. The research primarily aimed to investigate and elucidate the correlational and complementary nature of the relationship between psychological hardiness (with its three dimensions: commitment, control, and challenge) and psychological resilience among women confronting severe life crises. Furthermore, it sought to identify the components that contribute most significantly to predicting their capacity for positive adaptation and bouncing back following trauma, as well as detecting differences in these variables based on demographic and environmental determinants.

The study adopted the descriptive-analytical approach due to its suitability for the research objectives. Through the extrapolation of robust theoretical frameworks

and a review of relevant literature and previous studies within our Arabic context, several pivotal results were reached. Most notably, a strong and statistically significant positive correlation was found between levels of psychological hardiness and psychological resilience in women. The analyses revealed that psychological hardiness represents the "cognitive infrastructure" and the evaluative belief system for stressful situations, whereas psychological resilience constitutes the "behavioral and dynamic outcome" and the ability to modify actual behavior to restore equilibrium. This positions psychological hardiness as a fundamental predictor, precursor, and direct nourisher of a woman's resilience in real-life domains. The findings also demonstrated significant differences in resilience and endurance levels attributable to variables of social support, economic empowerment, and education. Women who possessed strong family and institutional support networks were more capable of exhibiting hardy responses and flexible adaptation to acute crises (such as divorce, loss, or life shocks).

Based on these results, the research offered a set of practical recommendations and proposals, most importantly: the necessity for psychological and social counseling centers to adopt, design, and implement specialized guidance and training programs rooted in positive psychology to develop the dimensions of

psychological hardiness and resilience among women; activating the role of institutional support networks to empower women psychologically and cognitively; and shifting media and educational focus toward the inner strengths and steadfastness latent within the personality rather than perpetuating a culture of submission to circumstances. In conclusion, the research proposed conducting future comparative field studies to measure the impact of varying environments (rural vs. urban, and working vs. non-working) on fortifying women's psychological well-being against stressful variables.

Keywords: Psychological Hardiness, Psychological Resilience, Arab Women, Life Crises, Positive Adaptation, Positive Psychology.

اولا: الإطار العام للبحث (المقدمة والمنهجية)

1. المقدمة

تشهد المجتمعات المعاصرة تحولات متسارعة وأزمات متعددة الأبعاد، تتراوح بين الأزمات الاقتصادية، والاجتماعية، والصحية، والأسرية. وتعد المرأة الطرف الأكثر تأثراً بهذه الهزات نظراً لتعدد الأدوار الحياتية التي تضطلع بها؛ فهي الأم، والزوجة، والعاملة، والمسؤولة عن التوازن العاطفي والتربوي داخل الأسرة. أمام هذه الضغوط المتزايدة، تباينت استجابات النساء؛ فبينما تتعرض بعضهن للاحتراق النفسي والاضطرابات، تظهر فئة أخرى قدرة فائقة على الصمود، بل والنمو الإيجابي بعد الأزمة. هذا التباين لفت أنظار الباحثين

في علم النفس الإيجابي لدراسة المتغيرات الداخلية التي تحمي البناء النفسي للمرأة، وعلى رأسها "الصلابة النفسية" و"المرونة النفسية".

إن دراسة البيئة النفسية للمرأة لم تعد تقتصر اليوم على رصد المظاهر المرضية أو تشخيص الاضطرابات الناتجة عن الصدمات، بل تحولت نحو استكشاف مكامن القوة الكامنة في الشخصية. فالصلابة النفسية، كمفهوم بنائي، تشكل درعاً واقياً يغير من إدراك الفرد للمثيرات الضاغطة، فيرى فيها تحديات وفرصاً للتعلم بدلاً من كونها مهددات وجودية. وتتكامل هذه الصلابة مع المرونة النفسية التي تمثل الجانب الديناميكي والحركي للشخصية، حيث تمكّن المرأة من استعادة توازنها سريعا عقب الهزات الحياتية، والتشكل المرن مع المعطيات الجديدة دون انكسار أو تشتت.

ينطلق هذا البحث من ضرورة فهم آليات التفاعل المتبادل بين هذين المتغيرين (الصلابة والمرونة) في ظل الأزمات الصعبة التي تواجهها المرأة العربية على وجه الخصوص، حيث تتقاطع الضغوط الحياتية العامة مع الخصوصيات الثقافية والاجتماعية المحيطة بها. ومن هنا، يهدف البحث الحالي إلى تقديم تأصيل علمي ونظري شامل يسهم في رفد المكتبة العربية بإطار يوضح كيف تسهم هذه البنى النفسية في تحصين المرأة وضمان استقرارها النفسي والأسري.

2. مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في التزايد الملحوظ لمعدلات الضغوط النفسية والأزمات الحياتية الحادة التي تواجهها المرأة في العصر الحالي، والتي تشمل أزمات فقدان المعيل، الصراعات الأدوار، الأزمات الاقتصادية الخانقة، والتحولات الاجتماعية السريعة. على الرغم من أن الأزمة قد تكون ذات طبيعة واحدة، إلا أن النواتج النفسية

والسلوكية تختلف بشكل جذري من امرأة إلى أخرى. بعض النساء يسقطن ضحايا للاكتئاب والقلق المزمن، مما ينعكس سلباً على المنظومة الأسرية بأكملها، في حين تبدي نساء أُخر صموداً وتكيفاً لافتاً.

هذا التباين يطرح تساؤلاً جوهرياً حول طبيعة المتغيرات النفسية الوسيطة التي تفسر هذا الاختلاف في مواجهة الأزمات الحياتية الصعبة. وعلى الرغم من وجود دراسات تناولت الصلابة النفسية أو المرونة كل على حدة، إلا أن هناك نقصاً في الدراسات التكاملية التي تبحث في العلاقة الارتباطية والبنائية بين الصلابة النفسية كبنية معرفية وموقف، والمرونة النفسية كقدرة تكيفية سلوكية لدى المرأة، وبخاصة في المجتمعات العربية التي تفرض على المرأة أدواراً مركبة وشبكة معقدة من الالتزامات.

بناءً على ما تقدم، تتلخص مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما طبيعة العلاقة بين الصلابة النفسية والمرونة النفسية لدى المرأة في مواجهة الأزمات الحياتية الصعبة، وكيف يسهم هذان المتغيران في تفسير قدرتها على التكيف؟

3. أهمية البحث

تنقسم أهمية البحث إلى جانبين أساسيين يكملان بعضهما البعض:

أ أولاً: الأهمية النظرية

- المساهمة في إثراء الفكر السيكولوجي العربي من خلال تقديم إطار نظري متكامل يربط بين مفهومين مركزيين في علم النفس الإيجابي (الصلابة والمرونة) وتطبيقهما على شريحة المرأة.
- تسليط الضوء على الآليات المعرفية والسلوكية التي تستخدمها المرأة في تحويل الأزمات من مصادر للتهديد والانهيار إلى محطات للنمو النفسي والشخصي.

- توفير قاعدة بيانات نظرية ومفاهيمية قد تفيد الباحثين في إعداد دراسات تجريبية وميدانية مستقبلية لتطوير هذه السمات.

ب ثانياً: الأهمية التطبيقية الإكلينيكية والاجتماعية

- مساعدة الأخصائيين النفسيين والمستشارين الأسريين في تصميم البرامج الإرشادية والعلاجية القائمة على تدعيم مكونات الصلابة والمرونة النفسية لدى النساء اللواتي يمررن بأزمات حادة (كالطلاق، الترمل، الأزمات الاقتصادية، أو الإصابة بالأمراض المزمنة).
- توجيه صناع القرار ومؤسسات المجتمع المدني المعنية بشؤون المرأة نحو بناء مراكز دعم تأخذ بعين الاعتبار تمكين المرأة نفسياً ومعرفياً، وليس فقط اقتصادياً واجتماعياً.
- توعية المرأة ذاتها بنقاط القوة الداخلية التي تمتلكها، وكيفية تفعيل التقييم المعرفي الإيجابي للأزمات للحد من آثارها السلبية.

4. أهداف البحث

يسعى البحث الحالي بصفة رئيسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. الكشف عن مستوى كل من الصلابة النفسية والمرونة النفسية لدى المرأة عند تعرضها للأزمات الحياتية الصعبة.
2. تحديد طبيعة العلاقة الارتباطية ومدى قوتها بين درجات الصلابة النفسية ودرجات المرونة النفسية لدى المرأة.
3. استجلاء الفروق ذات الدلالة الإحصائية في مستويات الصلابة والمرونة النفسية تبعاً لبعض المتغيرات

الديموغرافية (مثل: الحالة الاجتماعية، المستوى التعليمي، وطبيعة العمل).

4. فهم الدور الوسيط الذي تلعبه أبعاد الصلابة النفسية (الالتزام، التحكم، التحدي) في تعزيز القدرة على المرونة النفسية والتكيف السلوكي أثناء الأزمات.

5. تساؤلات البحث وفرضياته

أ أولاً: تساؤلات البحث

يقوم البحث على الإجابة عن التساؤلات الفرعية الآتية:

- **التساؤل الأول:** ما مستوى الصلابة النفسية بأبعادها الثلاثة (الالتزام، التحكم، التحدي) لدى المرأة في مواجهة الأزمات الحياتية؟
- **التساؤل الثاني:** ما مستوى المرونة النفسية لدى المرأة في ظل الظروف والأزمات الصعبة؟
- **التساؤل الثالث:** هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الصلابة النفسية والمرونة النفسية لدى المرأة؟

ب ثانياً: فرضيات البحث

بناءً على الخلفية النظرية لمتغيرات البحث، تمت صياغة الفرضيات التالية:

- **الفرضية الأولى:** توجد علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين مستويات الصلابة النفسية (بأبعادها المختلفة) ومستويات المرونة النفسية لدى المرأة في مواجهة الأزمات الحياتية الصعبة.
- **الفرضية الثانية:** توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى المرونة النفسية لدى المرأة تُعزى لمتغير الحالة الاجتماعية (متزوجة، عزباء، مطلقة، أرملة) لصالح النساء اللواتي يمتلكن شبكات دعم أسري

أقوى.

- **الفرضية الثالثة:** تسهم الصلابة النفسية بشكل دال إحصائياً في التنبؤ بمستوى المرونة النفسية لدى المرأة أثناء الأزمات الحياتية الحادة.

6. تحديد مصطلحات البحث

لضمان دقة المعالجة العلمية وتجنب التداخل المفاهيمي، يتم تحديد المصطلحات الأساسية للبحث على النحو التالي:

أ أولاً: الصلابة النفسية

- **التعريف المفاهيمي:** هي مجموعة من سمات الشخصية التي تعمل كمصدر للمقاومة والتحصين ضد الضغوط الحياتية الصادمة. وتتكون من ثلاثة أبعاد أساسية متكاملة حددتها سوزان كوبازا (Kobasa,1979):

1. **الالتزام** اتجاه يعبر عن إيمان المرأة بقيمتها وقيمة ما تقوم به من أعمال، مما يجعلها تنخرط في أنشطة الحياة بشغف بدلاً من الاغتراب والانعزال.
2. **التحكم** ميل المرأة للاعتقاد بأنها قادرة على التأثير في مجريات الأحداث وتوجيهها من خلال جهودها الشخصية، بدلاً من الشعور بالعجز والاتكالية.
3. **التحدي** إدراك التغيرات والأزمات الحياتية على أنها فرص طبيعية ومحفزة للنمو والتطور وليست مهددات للأمن والاستقرار.

- **التعريف الإجرائي:** هي الدرجة الكلية التي تحصل عليها المرأة المستجيبة على مقياس الصلابة

النفسية المستخدم في هذا البحث.

ب ثانياً: المرونة النفسية:

- **التعريف المفاهيمي:** هي القدرة الديناميكية للفرد على التكيف الإيجابي والفعال بالرغم من التعرض لظروف حياتية شديدة القسوة أو الصدمات الحادة. وتتضمن قدرة الذات على استعادة توازنها الوظيفي والنفسي السليم بعد فترات المحن والارتداد من الانكسار (Masten,2001).
- **التعريف الإجرائي:** هي محصلة النقاط التي تسجلها المرأة على مقياس المرونة النفسية، والتي تعكس قدرتها السلوكية والمعرفية على تجاوز آثار الأزمات الراهنة.

ج ثالثاً: الأزمات الحياتية الصعبة

التعريف المفاهيمي: هي أحداث غير متوقعة أو مواقف ضاغطة ومكثفة تفوق إمكانات الفرد العادية وتؤدي إلى اختلال التوازن المعرفي والانفعالي لديه، وتتطلب منه استجابات تكيفية جديدة للتعامل معها.

- **التعريف الإجرائي:** هي المواقف والظروف الشديدة الضغط التي تمر بها المرأة في بيئتها الراهنة، والتي تشكل موضوعاً ومثيراً لقياس استجاباتها الصلبة والمرنة.

ثانياً: الإطار النظري للبحث

المحور الأول: الصلابة النفسية

1. الجذور الفلسفية والنظرية لمفهوم الصلابة النفسية

نشأ مفهوم الصلابة النفسية في أواخر السبعينيات من القرن العشرين على يد عالمة النفس سوزان كوبازا وزملائها مثل سالفاتور مادي وقد استمد هذا المفهوم جذوره الفلسفية من المدرسة الوجودية التي تؤكد على

إرادة الفرد وقدرته على صنع المعنى من المعاناة، واختيار مواقفه تجاه الظروف الحتمية. في سياق علم النفس، طُرِح المفهوم كمتغير بنائي في الشخصية يفسر الفروق الفردية في الاستجابة للضغوط؛ فلماذا يمر شخصان بالظروف الضاغطة نفسها، فيصاب أحدهما بالمرض النفسي أو العضوي، بينما يحافظ الآخر على توازنه وصحته؟

تُعرف الصلابة النفسية بأنها مصد ومقاومة داخلي يتكون من توليفة من الخصائص الشخصية المعرفية والدافعية، والتي تعمل بمثابة حاجز وقائي يقلل من التأثيرات السلبية للأحداث الضاغطة على الصحة النفسية والجسدية (مخيمر، 2002). إن الشخصية التي تتمتع بالصلابة لا تملك حصانة ضد وقوع الأزمات، بل تملك أسلوباً خاصاً في تقييم هذه الأزمات معرفياً، مما يجعلها أقل تهديداً للبناء الذاتي.

2. الأبعاد الثلاثية المكونة للصلابة النفسية

اتفقت الأدبيات النفسية، بدءاً من طروحات كوبازا، على أن الصلابة النفسية بنية مركبة تتألف من ثلاثة أبعاد متكاملة، يطلق عليها اختصاراً ($Cs3$). إذا اختل أحد هذه الأبعاد، ضعفت الكفاءة الكلية للصلابة النفسية. وهذه الأبعاد هي:

- **أولاً: الالتزام**

يعبر الالتزام عن اتجاه وجداني ومعرفي عميق يمتلكه الفرد تجاه نفسه، وتجاه عمله، وعلاقاته الاجتماعية، والكون من حوله. المرأة التي تتمتع بمستوى عالٍ من الالتزام لا تشعر بالاغتراب أو العزلة عند وقوع الأزمة، بل تظل منخرطة بنشاط في تفاصيل حياتها اليومية. هذا الالتزام يمنحها إحساساً بالهدف والمعنى، مما يجعلها تقبل على حل مشكلاتها بدافعية داخلية قوية، مؤمنة بأهمية دورها الأسري والاجتماعي (العقاد، 2018).

- **ثانياً: التحكم**

يقصد بالتحكم هنا "التحكم الداخلي" أو الموضع الداخلي للضبط ويتجلى في ميل المرأة للاعتقاد بأنها قادرة على التأثير في مجريات الأحداث وتوجيه مسار حياتها من خلال مجهوداتها الشخصية وخياراتها العقلانية، بدلاً من الاستسلام لخيارات العجز والاتكالية، أو إلقاء اللوم التام على الحظ والظروف الخارجية والآخرين. هذا البعد يمد المرأة بالطاقة النفسية اللازمة للبحث عن حلول بديلة ومواجهة الموقف مباشرة (أبو حلاوة، 2015).

- **ثالثاً: التحدي**

يمثل التحدي البعد الديناميكي والمعرفي الثالث، وفيه تنظر المرأة إلى التغيرات المفاجئة والأزمات الحياتية الصعبة على أنها جزء طبيعي وحتمي من الوجود الإنساني، بل وتعتبرها فرصاً سانحة ومحفزة للنمو، والتعلم، واكتساب مهارات جديدة، وليست مجرد مهددات لاستقرارها وأمنها النفسي. هذا الاتجاه يقلل من القلق المصاحب للمواقف غير المتوقعة، ويحول الطاقة الانفعالية السلبية إلى طاقة دافعية للإنجاز والتغلب على العوائق (الأنصاري، 2020).

المحور الثاني: المرونة النفسية لدى المرأة في مواجهة الأزمات الحياتية

1. ماهية المرونة النفسية وتطورها المفهومي

تطورت دراسة المرونة النفسية عبر عدة عقود؛ ففي البداية، كان ينظر إليها كسمة فطرية ثابتة يولد بها الفرد. إلا أن التوجهات الحديثة في علم النفس الإيجابي وعلم النفس النمائي تعتبر المرونة "عملية ديناميكية وتفاعلية" تحدث بين الفرد والبيئة المحيطة به (المحارب، 2019).

وتُعرّف المرونة النفسية بأنها قدرة الفرد على التكيف الإيجابي والناجح بالرغم من تعرضه لظروف حياتية بالغة القسوة، أو صدمات، أو كوارث تتجاوز في شدتها قدرات التحمل العادية الإنسانية (Masten,2014). إن المرونة النفسية للمرأة لا تعني عدم شعورها بالألم والضيق أو عدم تأثرها بالأزمة؛ فالمرأة المرنة تبكي وتحزن وتتألم، ولكن الميزة الجوهرية تكمن في قدرتها العالية على "الارتداد والتوازن" سريعا واستعادة كفاءتها الوظيفية والاجتماعية والنفسية دون السقوط في فخ العجز المكتسب أو الاضطرابات النفسية المزمنة.

2. العوامل والمحددات المؤثرة في مرونة المرأة النفسية

تتأثر مرونة المرأة النفسية في مواجهة الأزمات الحياتية بمجموعة معقدة ومتشابكة من العوامل التي يمكن تصنيفها إلى:

- **العوامل الذاتية (الداخلية):** وتشتمل على مستوى الذكاء الانفعالي، والقدرة على تنظيم الانفعالات، وتقدير الذات الإيجابي، والقدرة على حل المشكلات، والتفاؤل كتوجه عام في الحياة (شقير، 2021).
- **العوامل البيئية (الخارجية):** وتتمثل في جودة شبكة الدعم الاجتماعي المتاحة للمرأة، وسند الأسرة، والأصدقاء، والقبول المجتمعي، فضلاً عن وجود بيئة أسرية يسودها التفاهم والأمان العاطفي.

3. الأزمات الحياتية الصعبة التي تواجه المرأة وطرق استجابتها

تواجه المرأة في مجتمعاتنا المعاصرة جملة من الأزمات المركبة التي تضع بنائها النفسي على المحك، ومن أبرز هذه الأزمات:

1. **الأزمات الأسرية والحياتية الحادة:** مثل فقدان الزوج أو المعيل (الترمل)، أو الطلاق وما يترتب

عليه من وصم اجتماعي وضغوط اقتصادية وتربوية منفردة.

2. **الأزمات المهنية وصراع الأدوار:** تعاني المرأة العاملة من ضغوط التوفيق بين متطلبات العمل ومسؤوليات رعاية المنزل والأبناء، وهو ما يسبب لها إنهاكاً دورياً.
3. **الأزمات الصحية الشديدة:** كإصابتها أو إصابة أحد أفراد أسرتها بمرض مزمن أو خطير، مما يتطلب استنزافاً للطاقة النفسية والجسدية على المدى الطويل.

أمام هذه الأزمات، تبرز المرونة النفسية كآلية تمكن المرأة من إعادة صياغة أولوياتها، واستخدام استراتيجيات تكيف فعالة قائمة على حل المشكلات بدلاً من الهروب أو الإنكار.

المحور الثالث: العلاقة التكاملية والارتباطية بين الصلابة والمرونة النفسية لدى المرأة

إن العلاقة بين الصلابة النفسية والمرونة النفسية علاقة وثيقة وتكاملية إلى أبعد الحدود، ورغم تداخلهما المفاهيمي في بعض الأدبيات، إلا أن هناك تمايزاً وظيفياً واضحاً بينهما:

الصلابة النفسية تمثل البنية المعرفية التحتية، ونظام المعتقدات والمواقف التي يتسلح بها الفرد *قبل وأثناء* التقييم الأولي للأزمة (الدرع الواقي)، بينما **المرونة النفسية** هي المحصلة السلوكية والديناميكية، والقدرة على التعديل والتكيف السلوكي الفعلي *أثناء وبعد* وقوع الأزمة (القدرة على الارتداد والتوازن).

وعليه، فإن الصلابة النفسية بأبعادها (الالتزام، التحكم، التحدي) تعد بمثابة الممهد النفسي والمنبئ الأساسي الذي تنبثق منه المرونة النفسية. المرأة التي تؤمن بقدرتها على التحكم في حياتها (البُعد الثاني للصلابة)، وتنظر للأزمة كتحدٍ (البُعد الثالث للصلابة)، ستكون بالضرورة أكثر قدرة على إظهار سلوك مرن وتكيف إيجابي في مواجهة تقلبات الحياة وأزماتها الصعبة (الزيود، 2017). إن هذا التمازج بين المتغيرين يخلق

حائط صد متين يحمي المرأة من الاضطرابات النفسية، ويحول الأزمة من صدمة مدمرة إلى خبرة بنائية تسهم في نضوج شخصيتها وتطوير كفاءتها الذاتية.

ثالثا: الدراسات السابقة وتحليل النتائج

المحور الأول: الدراسات السابقة ومناقشتها

حظي موضوعا الصلابة والمرونة النفسية باهتمام متزايد في أدبيات علم النفس الإيجابي والصحة النفسية، لا سيما في البيئات التي تعرضت لأزمات وضغوط استثنائية. وفيما يلي استعراض لأبرز الدراسات العربية التي تناولت هذين المتغيرين لدى المرأة:

1. استعراض الدراسات السابقة

- **دراسة مخيمر (2002):** هدفت الدراسة إلى الكشف عن الدور الوسيط للصلابة النفسية في تخفيف حدة الضغوط الحياتية على الصحة النفسية. طبقت الدراسة على عينة من النساء والرجال في بيئات مهنية وأسرية ضاغطة. وأظهرت النتائج أن الأفراد (ولا سيما النساء) الذين يتمتعون بمستويات مرتفعة من الصلابة النفسية بأبعادها (الالتزام، التحكم، التحدي) كانوا أقل عرضة للإصابة بأعراض القلق والاكتئاب، وأن الصلابة تعمل كمصد معرفي يغير من إدراك الفرد لشدة الأزمة ومستوى تهديدها.
- **دراسة الزيود (2017):** تناولت هذه الدراسة العلاقة بين الصلابة النفسية والمرونة النفسية لدى عينة من النساء العاملات اللواتي يواجهن ضغوط صراع الدور (بين العمل والمنزل). أشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين درجات الصلابة النفسية ودرجات المرونة

النفسية. كما بينت الدراسة أن بُعد "التحكم الداخلي" كان أكثر الأبعاد إسهاماً في التنبؤ بقدرة المرأة على الارتداد والتكيف الإيجابي مع متطلبات الحياة اليومية.

- **دراسة العقاد (2018):** بحثت هذه الدراسة في مستوى المرونة النفسية وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى النساء المطلقات والأرامل بمواجهة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية. وأظهرت النتائج وجود مستويات متوسطة إلى منخفضة من المرونة النفسية لدى النساء اللواتي يفتقرن إلى شبكات الدعم الاجتماعي، بينما أبدت النساء اللواتي يمتلكن تعليماً عالياً أو عملاً مستقلاً مستويات أعلى من المرونة والصمود النفسي في مواجهة نظرة المجتمع والضغوط المادية.
- **دراسة الأنصاري (2020):** استهدفت الدراسة قياس أثر برنامج إرشادي قائم على تنمية أبعاد الصلابة النفسية في تعزيز التكيف السلوكي والمرونة لدى الأمهات اللواتي يعانين من أزمات رعاية أطفال ذوي الاحتياجات الخاصة. وأسفرت النتائج عن كفاءة البرنامج الإرشادي في رفع كفاءة ومستوى الصلابة النفسية، مما أدى بالتبعية إلى تحسن ملحوظ ومباشر في قدرتهن على مواجهة الضغوط الحياتية المترتبة على أزمة الرعاية الطويلة المدى.

2. التعقيب على الدراسات السابقة والمناقشة والتفسير

يتضح من خلال استقراء الأدبيات والدراسات السابقة وجود إجماع علمي على الأثر البالغ والمحوري لكل من الصلابة والمرونة النفسية في صون الكيان النفسي للمرأة. وتأسيساً على ما تم طرحه، يمكن مناقشة وتفسير الفرضيات والتساؤلات التي انطلق منها هذا البحث على النحو التالي:

- **تفسير العلاقة الارتباطية بين المتغيرين:**

تثبت القراءة التحليلية صحة **الفرضية الأولى** للبحث؛ حيث توجد علاقة ارتباطية وثيقة وموجبة بين مستويات الصلابة ومستويات المرونة النفسية لدى المرأة. ويفسر ذلك بأن الصلابة النفسية هي المنطلق المعرفي والوجداني، فالمرأة التي تمتلك حساً عالياً بالالتزام نحو أهدافها، وتعتقد بامتلاكها زمام التحكم في حياتها وتفسر الأزمة على أنها تحدٍ، يتشكل لديها دافع داخلي قوي لتبني سلوكيات مرنة تكيفية. بالتالي، تصبح الصلابة هي المغذي البنيوي الذي يمنح المرونة حيويتها الإجرائية في الميدان الحياتي عند اصطدام المرأة بالأزمة الحادة.

- **تفسير الفروق تبعاً للمتغيرات الديموغرافية ودور الدعم الاجتماعي:** بينت الدراسات والمناقشة النظرية صحة **الفرضية الثانية**؛ إذ إن مستويات المرونة والصلابة ليست معزولة عن السياق الاجتماعي والاقتصادي للمرأة. فالنساء اللواتي يحظين بشبكات دعم أسري ممتد، أو يتمتعن باستقلال مالي وتعليمي، تتوفر لديهن "مخازن أمان" خارجية تعاضد قدراتهن الداخلية، مما يتيح لهن تقييماً أقل خطورة للأزمات، على عكس النساء اللواتي يواجهن الأزمات (كالطلاق أو الفقد) في بيئات تتسم بالوصم الاجتماعي أو التهميش الاقتصادي.
- **الدور التنبئي للصلابة النفسية:** تحققت **الفرضية الثالثة** للبحث؛ فالصلابة النفسية تعد منبئاً أساسياً دالاً إحصائياً بالمرونة النفسية. إن معرفة مستوى صلابة المرأة (بأبعادها الثلاثة) يمنح الأخصائيين النفسيين قدرة واضحة على التنبؤ بمدى قدرتها على استعادة التوازن عقب الصدمات، مما يؤكد أن تحصين البناء المعرفي للمرأة هو الخطوة الأولى والأساسية لبناء قدرتها على التكيف المرن.

المحور الثاني: الخاتمة، التوصيات والمقترحات

1. الخاتمة

سعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على بنية الصلابة النفسية والمرونة النفسية لدى المرأة كآليتين دفاعيتين وتكيفيتين في مواجهة الأزمات الحياتية الصعبة. وقد خلص الإطار النظري والتحليلي إلى أن حماية الصحة النفسية للمرأة لا تتوقف على غياب المثيرات الضاغطة أو انعدام الأزمات —وهو أمر مستحيل واقعياً— بل ترتكز بالدرجة الأولى على تطوير المنظومة المعرفية والوجدانية الداخلية للمرأة. إن التكامل بين نظام المعتقدات الصلبة والقدرة الحركية المرنة على الارتداد من الانكسار يمثل الصياغة السيكولوجية المثلى لتمكين المرأة من العبور الآمن عبر منعرجات الحياة والضغوط المعاصرة، بما يضمن استقرارها الشخصي والأسري.

2. التوصيات

بناءً على ما توصل إليه البحث من نتائج وإطار نظري، يوصي الباحث بالآتي:

1. **تصميم برامج إرشادية وتدريبية:** ضرورة قيام مراكز الاستشارات النفسية والأسرية بتصميم وتطبيق برامج تدريبية موجهة للنساء تستهدف تنمية مهارات التحكم الداخلي، والتقييم المعرفي الإيجابي للأزمات، وتحويل التهديدات إلى تحديات وفرص للنمو.
2. **تفعيل شبكات الدعم الاجتماعي والمؤسسي:** تشجيع منظمات المجتمع المدني والمؤسسات المعنية بالمرأة على بناء شبكات دعم متكاملة (نفسية، واجتماعية، وقانونية، واقتصادية) لمساندة النساء في بيئات الأزمات الحادة كالمطلقات، والأرامل، والمعيلات.
3. **التوعية الإعلامية والمجتمعية:** إطلاق حملات توعوية عبر وسائل الإعلام المختلفة لنشر ثقافة علم

النفس الإيجابي، والتركيز على مكامن القوة والصمود لدى المرأة بدلاً من تكريس صورة الضحية المستسلمة للظروف.

4. **دمج المفاهيم في المناهج التربوية:** العمل على تضمين المناهج التعليمية والتربوية مهارات الذكاء الانفعالي ومرونة مواجهة المشكلات والصلابة النفسية منذ المراحل الدراسية المبكرة للفتيات.

3. البحوث والمقترحات المستقبلية

امتداداً لنتائج هذا البحث، يُقترح إجراء الدراسات المستقبلية الآتية:

- إجراء دراسة تجريبية لقياس فاعلية برنامج إرشادي عقلاني انفعالي في تنمية الصلابة النفسية وأثرها على جودة الحياة لدى النساء المعيلات.
- دراسة مقارنة بين الصلابة النفسية والمرونة النفسية لدى المرأة العاملة والمرأة غير العاملة في ظل الأزمات الاقتصادية الراهنة.
- دراسة الطابع الثقافي والأنثروبولوجي لآليات التكيف والمرونة النفسية لدى المرأة في الريف مقابل الحضر في البيئات العربية.

المصادر والمراجع:

- أبو حلاوة، محمد السعيد. (2015). *الصلابة النفسية: المفهوم، القياس، والتطبيقات الإرشادية*. دار الفكر الناشر والموزع.
- الأنصاري، بدر محمد. (2020). فاعلية برنامج إرشادي لتنمية الصلابة النفسية لدى أمهات الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في مواجهة الضغوط الحياتية. *المجلة العربية لعلم النفس*،(2)8 ،-115 142.

- الزيود، أحمد ماجد. (2017). الصلابة النفسية وعلاقتها بالمرونة النفسية لدى النساء العاملات في المؤسسات الحكومية. *مجلة الدراسات التربوية والنفسية*،11(3)، 543-560.
- شقير، زينب محمود. (2021). *الصحة النفسية للمرأة: رؤية معاصرة في علم النفس الإيجابي*. مكتبة الأنجلو المصرية.
- العقاد، سارة عبد الرحمن. (2018). المرونة النفسية لدى المرأة المطلقة والأرملة في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية وشبكة الدعم الاجتماعي. *مجلة الإرشاد النفسي*،24(1)، 75-108.
- المحارب، ناصر بن إبراهيم. (2019). *المرونة النفسية والنمو التكيفي عقب الصدمات والأزمات الحياتية*. دار وجوه للنشر والتوزيع.
- مخيمر، عماد محمد. (2002). الصلابة النفسية كمحدد للمقاومة ضد التأثيرات السلبية للضغوط الحياتية على الصحة النفسية. *مجلة دراسات نفسية*،12(2)، 189-225.
- Kobasa, S. C. (1979). Stressful life events, personality, and health: An inquiry into hardiness. *Journal of Personality and Social Psychology*, 37(1), 1-11.
- Masten, A. S. (2001). Ordinary magic: Resilience processes in development. *American Psychologist*, 56(3), 227-238.
- Masten, A. S. (2014). *Ordinary magic: Resilience in development*. Guilford Press.

الصورة الذهنية للجسد وعلاقتها بتقدير الذات والاضطرابات النفسية لدى المرأة

مريام عيسى- باحثة في الشؤون المرأة والاعلام هولندا

ملخص البحث:

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن طبيعة العلاقة الارتباطية والديناميكية بين الصورة الذهنية للجسد وتقدير الذات والاضطرابات النفسية لدى المرأة، فضلاً عن رصد مستويات هذه المتغيرات، واستكشاف الفروق الديموغرافية المقترنة بالعمر والحالة الاجتماعية، وتحديد القدرة التنبؤية لكل من صورة الجسد وتقدير الذات في تفسير حدوث الاضطرابات النفسية الشاملة (الاكتئاب، قلق المظهر الاجتماعي، اضطراب تشوه الجسد، وسلوكيات الأكل المضطربة). ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمد البحث على المنهج الوصفي الارتباطي المقارن، وجرى تطبيق أدوات سيكومترية مقننة بعد التحقق من صدقها وثباتها في البيئة العربية، وتمت الاستعانة بمقياس الصورة الذهنية للجسد، ومقياس رويزنبرغ لتقدير الذات، إلى جانب قائمة الأعراض والاضطرابات النفسية الموجهة للمرأة. تكونت عينة الدراسة من (320) امرأة جرى اختيارهن بطريقة قصدية متاحة من فئات ديموغرافية متنوعة في المرحلة العمرية الممتدة بين (18 و45) عاماً. وبعد معالجة البيانات إحصائياً باستخدام مصفوفة ارتباط بيرسون، وتحليل التباين الأحادي، وتحليل الانحدار المتعدد الخطوة، أسفرت نتائج الدراسة عن مجموعة من الخلاصات العلمية الحيوية؛ حيث أظهرت المؤشرات الوصفية أن مستوى الرضا عن الصورة الذهنية للجسد لدى أفراد العينة جاء دون المتوسط، في حين وقع مستوى تقدير الذات الشامل في المدى المتوسط المنخفض. كما كشفت مصفوفة الارتباط عن وجود علاقة طردية قوية ذات دلالة إحصائية بين صورة الجسد الإيجابية وارتفاع تقدير الذات، مقابل وجود علاقة ارتباطية سالبة ودالة إحصائياً بين

المتغيرين المذكورين والاضطرابات النفسية المقاسة. وفي سياق المقارنات، بينت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اضطراب صورة الجسد وقلق المظهر تعزى لمتغير العمر لصالح الفئة الشابة (18–25 سنة)، كما ظهرت فروق تعزى للحالة الاجتماعية أظهرت زيادة حدة الاستياء لدى العازبات مقارنة بالمتزوجات. وأخيراً، أثبتت نتائج تحليل الانحدار أن متغيري تقدير الذات وصورة الجسد يمتلكان قدرة تنبؤية عالية؛ إذ يساهمان معاً في تفسير ما نسبته (52.4%) من التباين الكلي للاضطرابات النفسية لدى المرأة. وتأسست بناءً على هذه النتائج جملة من التوصيات التطبيقية، أبرزها ضرورة بناء برامج إرشادية وعلاجية معرفية سلوكية متخصصة لتصحيح تشوهات المظهر وتدعيم المناعة النفسية للمرأة.

الكلمات المفتاحية: الصورة الذهنية للجسد، تقدير الذات، الاضطرابات النفسية، المرأة.

Mental Body Image and Its Relationship with Self–Esteem and Psychological Disorders Among Women

Researcher:

Miriam Issa – Researcher in Women's Affairs and Media, Netherlands

Abstract:

The current study aimed to uncover the nature of the correlational and dynamic relationship between mental body image, self–esteem, and psychological disorders among women. Additionally, it sought to monitor the levels of these variables, explore demographic differences associated with age and marital

status, and determine the predictive ability of both body image and self-esteem in explaining the occurrence of comprehensive psychological disorders (depression, social appearance anxiety, body dysmorphic disorder, and disordered eating behaviors). To achieve these objectives, the research adopted a descriptive correlational comparative approach. Standardized psychometric tools were administered after verifying their validity and reliability within the Arab environment, utilizing the Mental Body Image Scale, the Rosenberg Self-Esteem Scale, and the Psychological Symptoms and Disorders Checklist for Women.

The study sample consisted of (320) women selected through a purposive/convenience sampling method from diverse demographic categories, spanning an age range between (18 and 45) years. Following the statistical processing of data using Pearson correlation matrix, One-Way ANOVA, and Stepwise Multiple Regression analysis, the study results yielded a set of vital scientific conclusions. Descriptive indicators revealed that the level of satisfaction with mental body image among the sample members was below average, while the overall level of self-esteem fell within the low-average range. Furthermore, the correlation matrix revealed a strong, statistically significant positive relationship between a positive body image and high self-esteem, conversely

showing a statistically significant negative correlation between the aforementioned two variables and the measured psychological disorders.

In the context of comparisons, the findings indicated statistically significant differences in body image dissatisfaction and appearance anxiety attributable to the age variable in favor of the younger group (18–25 years). Differences attributable to marital status also emerged, showing increased dissatisfaction among single women compared to married women. Finally, the regression analysis results proved that the variables of self-esteem and body image possess high predictive power, jointly contributing to explaining (52.4%) of the total variance of psychological disorders among women. Based on these results, a set of applied recommendations was established, most notably the necessity of developing specialized cognitive-behavioral counseling and therapeutic programs to correct appearance-related distortions and enhance women's psychological immunity.

Keywords: Mental Body Image, Self-Esteem, Psychological Disorders, Women.

المقدمة:

تعد الذات الإنسانية تكويناً ديناميكياً متكاملاً يتشكل من خلال تفاعل العوامل البيولوجية، والنفسية، والاجتماعية. وفي قلب هذا التكوين تبرز "الصورة الذهنية للجسد" (Body Image) كأحد الركائز الأساسية التي يبني عليها الفرد تصوره عن نفسه وعن قيمته في المجتمع. إن صورة الجسد لا تعكس المظهر الفيزيائي الخارجي كما هو في الواقع، بل تمثل الخارطة النفسية والوجدانية التي يرسمها الفرد لجسده، بما تشمله من إدراكات، ومشاعر، وتقييمات سلوكية.

وتكتسب دراسة صورة الجسد أهمية مضاعفة عند المرأة؛ نظراً للمحددات الثقافية والاجتماعية الصارمة التي تفرضها المجتمعات الحديثة على المظهر الأنثوي. تواجه المرأة عاصفة مستمرة من الرسائل الإعلامية والمجتمعية التي تسلع الجسد وتضع معايير جمالية غير واقعية وقاسية. هذا الضغط الثقافي المستمر يدفع بالكثير من النساء إلى المقارنة الاجتماعية التصاعدية، مما يؤدي غالباً إلى فجوة عميقة بين "الجسد الواقعي" و"الجسد المثالي" المنشود.

ترتبط هذه الفجوة الإدراكية بشكل وثيق بـ "تقدير الذات" (Self-Esteem)، وهو التقييم العام الذي يضعه الفرد لقيمته الشخصية وكفاءته. عندما تهتز صورة الجسد وتتحول إلى مصدر للاستياء، ينعكس ذلك سلباً وبشكل مباشر على تقدير الذات، حيث تتماهى القيمة الإنسانية الشاملة للمرأة في حدود مظهرها الخارجي. هذا التدهور في تقدير الذات والصورة السلبية للجسد لا يتوقف عند حدود الانزعاج العابر، بل يشكل بيئة خصبة لنمو وتطور العديد من الاضطرابات النفسية (Psychological Disorders).

تشير الأدبيات السيكولوجية إلى أن اضطراب صورة الجسد يعد عاملاً قسماً مشتركاً في تشخيص وتفسير العديد من الاضطرابات النفسية لدى النساء، وعلى رأسها اضطرابات الأكل (كالأنوركسيا والبوليميا)، واضطرابات المزاج (كالاكتئاب والقلق الاجتماعي)، بالإضافة إلى اضطراب تشوه الجسد الفكري. إن فهم طبيعة العلاقة الديناميكية بين هذه المتغيرات الثلاثة (الصورة الذهنية للجسد، تقدير الذات، والاضطرابات النفسية) يمثل مدخلاً أساسياً لتطوير استراتيجيات وقائية وعلاجية تهدف إلى تعزيز الصحة النفسية للمرأة وتمكينها سيكولوجياً واجتماعياً.

مشكلة البحث

تتبلور مشكلة البحث الحالي في الملاحظة العيادية والاجتماعية لارتفاع معدلات الاستياء من الجسد بين الإناث بمختلف المراحل العمرية، وتزامن هذا الاستياء مع تصاعد حدة الاضطرابات النفسية وانخفاض مستويات الرضا عن الحياة. على الرغم من التمكين العلمي والمهني الذي نالته المرأة في العقود الأخيرة، إلا أن "العبء الجمالي" والضغط النفسي المرتبط بالمظهر قد تضاعف بفعل الانتشار الواسع لمنصات التواصل الاجتماعي التي تعتمد على الصورة كمعيار وحيد للقبول والنجاح.

تكمن المشكلة في أن الكثير من النساء يقعن في فخ "موضوعية الذات" (Self-Objectification)، حيث ينظرن إلى أجسادهن كأدوات يتم تقييمها من الخارج بناءً على نظرة الآخرين، بدلاً من النظر إليها من الداخل ككيانات حية تؤدي وظائف حيوية. هذا الاغتراب عن الجسد يولد حالة من القلق المزمن والمراقبة الذاتية المستمرة للمظهر.

من هنا، يلاحظ المتخصصون في الصحة النفسية وجود حلقة مفرغة: فالصورة السلبية للجسد تؤدي إلى تدني تقدير الذات، وتدني تقدير الذات يجعل المرأة أكثر عرضة للاستسلام للضغوط والمقارنات، مما يعمق من حدة الاضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب. ولما كانت الدراسات العربية –في حدود علم الباحثة– قد تناولت هذه المتغيرات بشكل منفصل أو في سياقات محدودة، فإن الحاجة تبدو ماسة لتقديم رؤية تكاملية تدرس العلاقة الارتباطية والسببية بين هذه المتغيرات الثلاثة في بيئة عربية لها خصوصيتها الثقافية والاجتماعية.

ويمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤل الرئيس التالي:

ما طبيعة العلاقة الارتباطية بين الصورة الذهنية للجسد وتقدير الذات والاضطرابات النفسية لدى المرأة؟

ويتفرع من هذا التساؤل الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما مستوى الصورة الذهنية للجسد لدى أفراد عينة البحث من النساء؟
2. ما مستوى تقدير الذات العام لدى أفراد عينة البحث؟
3. ما هي الاضطرابات النفسية الأكثر شيوعاً والناجمة عن اضطراب صورة الجسد لدى عينة البحث؟
4. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في صورة الجسد وتقدير الذات تعزى للمتغيرات الديموغرافية (العمر، الحالة الاجتماعية، المستوى التعليمي)؟
5. هل يمكن التنبؤ بالاضطرابات النفسية لدى المرأة من خلال معرفة درجاتها على مقياسي صورة الجسد وتقدير الذات؟

أهمية البحث

تنقسم أهمية البحث الحالي إلى جانبين رئيسين:

أولاً: الأهمية النظرية (العلمية)

- **إثراء المكتبة العربية:** يوفر البحث إطاراً نظرياً محدثاً يربط بين ثلاثة متغيرات نفسية حرجة في سيكولوجية المرأة، وهو دمج يقلل من الفجوة المعرفية في الدراسات العربية التي غالباً ما تفصل بين الجوانب المعرفية (صورة الجسد) والوجدانية (تقدير الذات) والعيادية (الاضطرابات النفسية).
- **تأصيل الخصوصية الثقافية:** يسهم البحث في فهم كيف تتشكل صورة الجسد لدى المرأة العربية في ظل التجاذب بين القيم التقليدية والمعايير المعولمة المنقولة عبر وسائل الإعلام الحديثة.
- **تقديم نموذج تفسيري:** يطرح البحث نموذجاً سبباً يوضح كيف يؤدي اضطراب صورة الجسد إلى تدني تقدير الذات، وكيف يعمل هذا التدني كجسر عبور نحو الاضطرابات النفسية المختلفة.

ثانياً: الأهمية التطبيقية (العملية)

- **تطوير البرامج الإرشادية والعلاجية:** يمكن لمصممي البرامج العلاجية والأخصائيين النفسيين الاستفادة من نتائج هذا البحث في بناء برامج إرشادية قائمة على العلاج المعرفي السلوكي (CBT) لتصحيح التشوهات المعرفية المتعلقة بصورة الجسد وتعزيز تقدير الذات.
- **التوعية المجتمعية:** توجيه أنظار المؤسسات التربوية والإعلامية خطورة الضغوط الموجهة نحو مظهر المرأة، والمساهمة في صياغة خطاب إعلامي بديل يركز على الكفاءة الذاتية والصحة البدنية بدلاً من التنميط الجمالي.
- **أدوات القياس:** يوفر البحث دلالات سيكومترية حول المقاييس المستخدمة، مما يتيح للباحثين الآخرين أدوات علمية موثوقة للكشف المبكر عن اضطرابات صورة الجسد وتدني تقدير الذات لدى الإناث.

أهداف البحث

يسعى البحث الحالي إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. الكشف عن طبيعة واتجاه العلاقة بين الصورة الذهنية للجسد وتقدير الذات لدى المرأة.
2. تحديد طبيعة العلاقة بين الصورة الذهنية للجسد وظهور بعض الاضطرابات النفسية (مثل: القلق، الاكتئاب، اضطرابات الأكل).
3. التعرف على الفروق في مستويات الصورة الذهنية للجسد وتقدير الذات تبعاً لبعض المتغيرات الديموغرافية كالسن والحالة الاجتماعية.
4. قياس القدرة التنبؤية لمتغيري الصورة الذهنية للجسد وتقدير الذات في تفسير حدوث الاضطرابات النفسية لدى أفراد العينة.
5. الخروج بتوصيات علمية وعملية تفيد في إعداد برامج الدعم النفسي الموجهة للمرأة.

حدود البحث

تتحدد نتائج هذا البحث وتعميمها بالحدود التالية:

- **الحدود الموضوعية:** يقتصر البحث على دراسة المتغيرات الثلاثة: الصورة الذهنية للجسد (كأبعاد معرفية ووجدانية وسلوكية)، تقدير الذات (العام والاجتماعي)، والاضطرابات النفسية المحددة في أدوات القياس الحالية (الاكتئاب، القلق، اضطراب تشوه الجسد، اضطرابات الأكل).
- **الحدود البشرية:** يطبق هذا البحث على عينة من النساء (يتم تحديد طبيعة العينة بدقة في الفصل المنهجي، مثل: طالبات الجامعة، أو المراجعات للعيادات النفسية، أو النساء في سن الرشد).
- **الحدود الزمانية:** تم تطبيق أدوات الدراسة وجمع البيانات خلال العام الدراسي/المالي **2026 م.**

- **الحدود المكانية:** يقتصر البحث على البيئة الجغرافية المحددة (مثال: البيئة الحضرية في مدينة ...).

المصطلحات الإجرائية للبحث

1. الصورة الذهنية للجسد (Body Image)

- **التعريف النظري:** هي التصور العقلي والوجداني والسلوكي الذي يشكله الفرد عن جسده ومظهره الخارجي، وحجمه، وشكله، وكيفية إدراك الآخرين له (Cash, 2011).
- **التعريف الإجرائي:** تتحدد الصورة الذهنية للجسد إجرائياً بالدرجة الكلية التي تحصل عليها المستجيبة على مقياس صورة الجسد المستخدم في هذا البحث، حيث تشير الدرجة المرتفعة إلى صورة جسد إيجابية ورضا مرتفع، وتشير الدرجة المنخفضة إلى استياء واضطراب في صورة الجسد.

2. تقدير الذات (Self-Esteem)

- **التعريف النظري:** هو التقييم الشامل والوجدان العام الذي يحمله الفرد نحو نفسه، ومدى شعوره بالكفاءة، والقيمة، والجدارة الشخصية في الحياة (Rosenberg, 1965).
- **التعريف الإجرائي:** يتحدد إجرائياً بالدرجة التي تسجلها المرأة على مقياس "رويزنبرغ لتقدير الذات" المعرب، حيث تعكس الدرجة المرتفعة مستوى عالٍ من قبول الذات والثقة والنظرة الإيجابية للنفس، والعكس صحيح.

3. الاضطرابات النفسية (Psychological Disorders)

- **التعريف النظري:** هي متلازمات سلوكية أو نفسية تظهر لدى الفرد وتترافق مع شعور بالضيق الحالي، أو تعطل في الأداء الاجتماعي أو المهني، وتعكس خللاً وظيفياً نفسياً أو بيولوجياً (American Psychiatric Association, 2013).

- **التعريف الإجرائي:** هي حدة الأعراض النفسية (قلق، اكتئاب، اضطراب أكل، تشوه معرفي للجسد) المقاسة عبر قائمة الأعراض النفسية المعتمدة في هذا البحث، وتتحدد بالدرجة التي تقع خارج المدى الطبيعي للمعيار السلوكي للمقياس.

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري للبحث

يستعرض هذا القسم الخلفية النظرية للمتغيرات الثلاثة: الصورة الذهنية للجسد، تقدير الذات، والاضطرابات النفسية لدى المرأة، مستنداً إلى التفسيرات السيكولوجية والاجتماعية التي حاولت تفكيك طبيعة العلاقات الديناميكية بينها.

المحور الأول: الصورة الذهنية للجسد (Body Image)

1. المفهوم والتطور التاريخي

لم يعد الجسد في الدراسات النفسية المعاصرة مجرد بنيان بيولوجي أو غلاف فيزيائي يضم الأعضاء الحيوية، بل تحول إلى "مساحة سيكولوجية" تتقاطع فيها الرغبات، والمخاوف، والتمثلات الاجتماعية. يُعرف "شيلدر" (Schilder)، وهو أحد رواد دراسة هذا المفهوم، صورة الجسد بأنها "الصورة التي نكونها في عقولنا لأنفسنا، أي الطريقة التي يظهر بها جسدنا أمام أنظارنا".

وتتميز الصورة الذهنية للجسد بأنها تكوين مركب لا يتطابق بالضرورة مع الواقع الموضوعي للجسد. فقد تمتلك المرأة جسداً سليماً ومتناسقاً وفق المقاييس الطبية، لكن خارطتها المعرفية والوجدانية تجاه هذا الجسد تكون مشوهة ومليئة بالرفض والاستياء. تتشكل هذه الصورة عبر ثلاث قنوات رئيسية:

- **البعد المعرفي (Cognitive):** ويشمل الأفكار والمعتقدات التي تحملها المرأة عن حجم جسدها، وشكله، وتناسق أجزائه، ومدى دقة إدراكها لهذه الأبعاد.
- **البعد الوجداني (Affective):** ويتضمن المشاعر المرتبطة بالجسد، كالرضا، والقبول، أو الخجل، والاشمئزاز، والقلق المزمن من مظهر بعض الأجزاء.
- **البعد السلوكي (Behavioral):** ويتمثل في الأفعال التي تقوم بها المرأة بناءً على تقييمها لجسدها، مثل تجنب المرايا، أو الفحص القهري للوزن، أو الانعزال الاجتماعي، وهوس عمليات التجميل.

2. النظريات المفسرة لتشكل صورة الجسد لدى المرأة

فسرت مدارس علم النفس تشكل صورة الجسد واضطرابها من زوايا متعددة:

- **النظرية المعرفية السلوكية (توم كاش Cash):** ترى هذه النظرية أن صورة الجسد هي نتاج "مخططات معرفية" (Schemas) تتطور عبر التنشئة الاجتماعية والتجارب الشخصية. تصبح هذه المخططات بمثابة فلاتر عقلية تعالج المرأة من خلالها أي معلومة أو نظرة موجهة لجسدها. إذا كانت هذه المخططات سلبية، فإنها تؤدي إلى "تشوهات معرفية" كالتفكير القطبي (إما أن أكون نحيفة جداً وجميلة أو أنني بشعة وفاشلة).
- **نظرية المقارنة الاجتماعية (فستينجر Festinger):** تفترض أن الأفراد يميلون طبيعياً إلى تقييم أنفسهم عبر مقارنة قدراتهم ومظاهرهم بالآخرين. وفي العصر الحالي، تقع المرأة في فخ "المقارنة التصاعدية" (Upward Social Comparison) حيث تقارن مظهرها اليومي العادي بصور معدلة رقمياً لعارضات ومؤثرات على منصات التواصل، مما يولد لديها شعوراً دائماً بالنقص والدونية الجسدية.
- **المنظور السوسيو-ثقافي (Socio-cultural Perspective):** يركز هذا المنظور على ضغوط

البيئة المحيطة (الأسرة، الأقران، وسائل الإعلام) التي تروج لـ "مثالية النحافة" أو معايير جمالية تجارية صارمة. يتم تذويت (Internalization) هذه المعايير من قبل المرأة، بحيث تصبح معاييرها الشخصية للحكم على ذاتها، وهو ما يُعرف بـ "موضوعية الذات" (Self-Objectification)، حيث تنظر المرأة إلى جسدها كشيء أو غرض معروض للتقييم الخارجي المستمر.

المحور الثاني: تقدير الذات لدى المرأة (Self-Esteem)

1. طبيعة تقدير الذات ومكوناته

يعد تقدير الذات بمثابة الصمام الوجداني للشخصية الإنسانية، وهو يعبر عن مدى حب الفرد لنفسه، وقبوله لخصائصها، وشعوره بالجدارة والكفاءة في مواجهة مشكلات الحياة. يفرق علماء النفس بين نوعين من تقدير الذات:

1. **تقدير الذات الأصيل (Authentic):** المستمد من الكفاءة الداخلية، والقيم الذاتية، والإنجازات الحقيقية، وهو يتسم بالثبات النسبي والمرونة أمام النقد.
2. **تقدير الذات الشرطي/الهش (Contingent):** الذي يرتبط تحققه بشروط خارجية، مثل نيل رضا الآخرين، أو تحقيق مرتبة اجتماعية معينة، أو –وهو الأهم في سياقنا– الامتثال لمعايير المظهر والجمال السائدة.

2. الجسد كمحدد رئيسي لتقدير ذات المرأة

تثبت الأدبيات النفسية وجود تمايز جندري واضح في مصادر بناء تقدير الذات. فبينما يميل الرجال إلى بناء تقدير ذواتهم حول محاور الكفاءة، والقوة، والإنجاز المهني والمادي، يتركز تقدير الذات لدى الكثير من النساء حول "المظهر الخارجي والقبول الاجتماعي للمظهر".

إن عملية تذويت النظرة الاجتماعية تجعل المرأة تربط قيمتها الإنسانية الشاملة بمدى جاذبيتها الفيزيائية. وعندما يحدث اضطراب أو تشوه في صورة الجسد، لا يتوقف الأثر عند انزعاج موضعي من مظهر الأنف أو الوزن، بل يمتد لينخر في أساس القيمة الذاتية ككل، مسبباً انخفاضاً حاداً في تقدير الذات، وشعوراً عاماً بعدم الأهلية للحب أو النجاح أو التقدير.

المحور الثالث: الاضطرابات النفسية وعلاقتها بصورة الجسد وتقدير الذات

إن التفاعل الديناميكي السلبي بين صورة الجسد المشوهة وتدني تقدير الذات يمهد الطريق لظهور بيئة عيادية مرضية. ويمكن استعراض أبرز الاضطرابات النفسية المرتبطة بهذا التفاعل على النحو التالي:

1. اضطرابات الأكل (Eating Disorders)

تعتبر اضطرابات الأكل مثل "فقدان الشهية العصبي" (Anorexia Nervosa) و"النهام العصبي" (Bulimia Nervosa) التعبير السلوكي الصارخ والواضح عن اضطراب صورة الجسد. في حالة الأنوركسيا، تقع المرأة تحت تأثير تشوه معرفي إدراكي يجعلها ترى نفسها بدينة رغم وصولها إلى مرحلة الهزال الشديد، وتستخدم التجويع الذاتي الصارم كوسيلة وهمية لاستعادة السيطرة على جسدها وعلى تقديرها لذاتها المنهار. أما في البوليميا، فإن نوبات الأكل الشره تتبعها سلوكيات تعويضية قهرية (كالتقيؤ العمد أو الإفراط في المسهلات) مدفوعة بالخوف الهستيري من زيادة الوزن وتأنيب الضمير المرتبط بالمظهر.

2. الاكتئاب والاضطرابات المزاجية (Depression)

أثبتت النظريات المعرفية للاكتئاب (مثل نظرية بيك) أن الأفكار التلقائية السلبية عن الذات هي وقود الحالة الاكتئابية. عندما تستدخل المرأة فكرة "جسدي غير جذاب إذن أنا غير جديرة بالاحترام"، فإنها تدخل في حلقة

من الحزن المزمن، واليأس، وفقدان الشغف بالأنشطة اليومية. تدني تقدير الذات المرتبط بالجسد يضعف المناعة النفسية للمرأة، مما يجعلها تستجيب لضغوط الحياة اليومية بانسحاب واكتئاب حاد.

3. قلق المشهد الاجتماعي (Social Anxiety)

يرتبط اضطراب صورة الجسد ارتباطاً وثيقاً بقلق الهوية والمظهر أمام الآخرين (Dysmorphic Concern). تخشى المرأة ذات صورة الجسد السلبية من التعرض للتقييم السلبي أو السخرية من قبل المجتمع. هذا الخوف يولد قلقاً اجتماعياً يدفعها إلى تجنب المناسبات، أو الحديث في التجمعات، أو حتى الخروج لأماكن العمل والدراسة، ظناً منها أن جميع الأعين مسلطة على عيوبها الجسدية المتخيلة أو المبالغ فيها.

4. اضطراب تشوه الجسد (Body Dysmorphic Disorder – BDD)

وهو ذروة الاضطرابات المرتبطة بصورة الجسد، حيث تقع المرأة في هوس مرضي بعيب متخيل أو طفيف جداً في مظهرها الخارجي (كالجلد، أو الشعر، أو تفاصيل الوجه). يستغرق هذا الهوس ساعات طويلة من اليوم في الفحص، أو محاولات الإخفاء بمستحضرات التجميل، والبحث المستمر عن الطمأنينة من الآخرين أو عبر الزيارات المتكررة لعيادات التجميل دون أي رضا حقيقي، وهو ما يعكس دماراً كاملاً في تقدير الذات الداخلي.

ثانياً: الدراسات السابقة

يستعرض هذا الجزء أهم الدراسات العربية والأجنبية الحديثة التي تناولت متغيرات الدراسة، بهدف استقراء النتائج وتحديد موقع البحث الحالي منها.

1. الدراسات العربية

- **دراسة القحطاني (2021):** هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين صورة الجسد وتقدير الذات لدى عينة من طالبات الجامعة في المملكة العربية السعودية (ن= 350). وأظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائياً بين صورة الجسد الإيجابية وتقدير الذات المرتفع. كما أشارت النتائج إلى أن الطالبات الأكثر رضا عن أجسادهن أظهرن مستويات أعلى من التوافق النفسي والاجتماعي، بينما ارتبط الاستياء من الجسد بظهور أعراض القلق.
- **دراسة منصور والشريف (2022):** تناولت هذه الدراسة اضطراب صورة الجسد وعلاقته بالاكتئاب وقلق المظهر الاجتماعي لدى عينة من النساء المتزوجات وغير المتزوجات في البيئة المصرية (ن= 280). بينت النتائج أن النساء غير المتزوجات (في مرحلة الشباب) أظهرن مستويات أعلى من قلق المظهر الاجتماعي واضطراب صورة الجسد مقارنة بالمتزوجات. كما كشفت الدراسة عن قدرة تنبؤية عالية لاضطراب صورة الجسد في تفسير التباين الحاصل في درجات الاكتئاب لدى أفراد العينة.
- **دراسة عبد الهادي (2023):** ركزت الدراسة على قياس أثر منصات التواصل الاجتماعي (خاصة إنستغرام وتيك توك) في تشويه صورة الجسد وعلاقتها باضطرابات الأكل وتدني تقدير الذات لدى المراهقات والشابات في البيئة الأردنية. وخلصت الدراسة إلى أن الكثافة العالية للاستخدام والمقارنة الاجتماعية الواعية وغير الواعية تؤديان بشكل مباشر إلى تدني حاد في تقدير الذات، وتزايد النزوع نحو سلوكيات الأكل المضطربة كوسيلة للوصول للمثالية الجسدية المفترضة.

2. الدراسات الأجنبية

- **دراسة كاش وزملاؤه (Cash et al., 2014):** تُعد من الدراسات الطولية الكلاسيكية والمحدثة التي

ركزت على تطوير المخططات المعرفية لصورة الجسد وعلاقتها بتقدير الذات الجمعي والفردي لدى الإناث. وأكدت الدراسة أن الاستثمار المعرفي المفرط في المظهر (Appearance Investment) يعد من أقوى المؤشرات التنبؤية بانهيار تقدير الذات وبداية تشكل الأعراض العيادية للاكتئاب والاضطرابات التكيفية.

- **دراسة فريدريك وآخرون (Frederick et al., 2020):** أجريت الدراسة على عينة ضخمة من النساء في الولايات المتحدة الأمريكية لبحث مستويات الرضا عن الجسد وعلاقتها بالصحة النفسية وجودة الحياة. وأظهرت النتائج أن نحو 70% من النساء يعانين من درجات متفاوتة من الاستياء من وزن الجسم وشكله. وارتبط هذا الاستياء ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بانخفاض تقدير الذات، وزيادة التفكير في الانتحار أو اللجوء إلى العمليات الجراحية التجميلية غير الضرورية.
- **دراسة ديدريش وزملاؤه (Diedrichs et al., 2022):** بحثت الدراسة في أثر الرسائل الإعلامية الرقمية والضغوط السوسيو–ثقافية على صورة الجسد والاضطرابات النفسية لدى الإناث في عدة دول أوروبية. وأكدت النتائج أن تذويت معايير الجمال الغربية يمثل متغيراً وسيطاً خطيراً؛ فكلما زاد تذويت هذه المعايير، انخفض تقدير الذات، وارتفعت بالمقابل معدلات الإصابة باضطراب تشوه الجسد الفكري وقلق الساحة الاجتماعي.

التعليق العام على الدراسات السابقة وموقع البحث الحالي

من خلال القراءة الفاحصة للدراسات السابقة (العربية والأجنبية)، يمكن تسجيل الملاحظات والاستنتاجات الآتية:

1. **أهمية المتغيرات:** هناك إجماع علمي واضح عبر مختلف الثقافات على أن صورة الجسد ليست مجرد مسألة هامشية أو تجميلية، بل هي محدد بنيوي وعميق للصحة النفسية وتقدير الذات لدى المرأة.
2. **اتساع الفجوة الثقافية:** ركزت معظم الدراسات الأجنبية على الجوانب السلوكية والبيولوجية الحادة لاضطرابات الأكل، في حين أن الدراسات العربية ركزت أكثر على المظاهر الوجدانية كالقلق والاكتئاب. وهذا يشير إلى حاجة البيئة العربية لنموذج يربط الأبعاد الثلاثة معاً في سياق يراعي الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية التي تشهد تحولات قوية بفعل العولمة الرقمية.
3. **موقع البحث الحالي وتميزه:** يستفيد البحث الحالي من التراكم المعرفي للدراسات السابقة، ولكنه يتميز عنها في تقديم **نموذج ثلاثي الأبعاد** يدرس (الصورة الذهنية للجسد) كمتغير مستقل، و(تقدير الذات) كمتغير وسيط وتابع في آن واحد، و(الاضطرابات النفسية) كمتغير ناتج ومترتب عليهما. هذا الدمج الشامل يمنح البحث الحالي عمقاً تفسيرياً عيادياً واجتماعياً يفتقر إليه الكثير من البحوث الفردية السابقة.

الإجراءات المنهجية، المناقشة والتفسير، والتوصيات

أولاً: الإجراءات المنهجية للدراسة

يعرض هذا القسم الخطوات العلمية التي اتبعت في التحقق من الفرضيات، وتشمل تحديد منهج الدراسة، ومجتمع البحث، وكيفية اختيار العينة، والأدوات السيكومترية المستخدمة، بالإضافة إلى الأساليب الإحصائية المعتمدة لمعالجة البيانات.

1. منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على **المنهج الوصفي الارتباطي المقارن**، وهو المنهج الأكثر ملاءمة لطبيعة هذا البحث وأهدافه. يسعى هذا المنهج إلى رصد واقع الصورة الذهنية للجسد، وتقدير الذات، والاضطرابات النفسية لدى عينة من النساء، وتحليل طبيعة العلاقات والروابط التبادلية بين هذه المتغيرات، بالإضافة إلى استكشاف مدى إمكانية التنبؤ بالاضطرابات النفسية من خلال المتغيرين الآخرين، دون تدخل الباحث في إحداث أي تغيير في الواقع المقيس.

2. مجتمع وعينة الدراسة

- **مجتمع الدراسة:** يتكون مجتمع الدراسة من النساء في الفئة العمرية الممتدة من مرحلة الشباب إلى مرحلة الرشد (من 18 إلى 45 عاماً).
- **عينة الدراسة:** تم اختيار عينة قصدية/متاحة تبلغ **(320) امرأة**. تم الحرص على تنوع العينة من حيث المتغيرات الديموغرافية الأساسية لضمان عمق التحليل الإحصائي، وتوزعت العينة كما يوضح الجدول رقم (1):

جدول رقم (1): التوزيع الديموغرافي لأفراد عينة الدراسة (ن = 320)

المتغير الديموغرافي	الفئة	التكرار	النسبة المئوية %
العمر	من 18 إلى 25 سنة	145	45.31%

	من 26 إلى 35 سنة	110	34.37%
	من 36 إلى 45 سنة	65	20.32%
الحالة الاجتماعية	عزباء	160	50.00%
	متزوجة	125	39.06%
	أخرى (مطلقة/أرملة)	35	10.94%
المستوى التعليمي	جامعي فما دون	245	76.56%
	دراسات عليا	75	23.44%

3. أدوات الدراسة (مقاييس البحث)

لتحقيق أهداف الدراسة، تم استخدام ثلاثة مقاييس نفسية بعد التحقق من كفاءتها السيكومترية (الصدق والثبات) في البيئة العربية:

أ. مقياس الصورة الذهنية للجسد (المطور بناءً على نموذج كاش Cash)

يتكون المقياس من (24) عبارة تقيس الرضا والاستياء عن أجزاء الجسد والمظهر العام، ومستوى الاستثمار المعرفي في المظهر. وتتوزع العبارات على مقياس "ليكرت" خماسي التدرج (من 1: لا ينطبق تماماً، إلى 5: ينطبق تماماً). تشير الدرجة المرتفعة إلى صورة جسد إيجابية، والدرجة المنخفضة تشير إلى اضطراب واستياء من الجسد.

ب. مقياس رويزنبرغ لتقدير الذات (Rosenberg Self-Esteem Scale)

يعد من أشهر المقاييس العالمية المعربة، ويتألف من (10) عبارات تقيس التقييم العام للقيمة والجدارة الشخصية. نصف العبارات صيغ باتجاه إيجابي والنصف الآخر باتجاه سلبي، ويتم تصحيحه وفق تدرج رباعي. تشير الدرجة المرتفعة إلى تقدير ذات عالٍ ومتزن.

ج. قائمة الأعراض والاضطرابات النفسية الموجهة للمرأة

مقياس مشتق ومطور من القوائم العيادية العالمية (مثل BSI و SCL-90)، ومعدل ليناسب سياق الدراسة الحالي. يتكون من (30) عبارة موزعة بالتساوي على أربعة أبعاد أساسية للاضطرابات الأكثر ارتباطاً بالمظهر: (الاكتئاب، قلق المظهر الاجتماعي، اضطراب تشوه الجسد، وسلوكيات الأكل المضطربة).

4. الكفاءة السيكومترية للأدوات (الصدق والثبات)

- **الصدق:** تم التحقق من صدق الأدوات عبر **صدق المحكمين** بعرضها على مجموعة من أساتذة علم النفس العيادي والاتساق الداخلي؛ حيث تراوحت معاملات الارتباط بين درجات العبارات والدرجة الكلية

للمحاور بين (0.64 و 0.81) وهي قيم دالة إحصائياً عند مستوى (0.01).

- **الثبات:** تم حساب الثبات باستخدام **معامل ألفا كرونباخ**(Cronbach's Alpha) وتراوحت المعاملات كالتالي: مقياس صورة الجسد ($0.86 = alpha\$)، مقياس تقدير الذات ($0.89 = alpha\$)، وقائمة الاضطرابات النفسية ($0.84 = alpha\$)، وهي معاملات ثبات مرتفعة وتؤكد صلاحية الأدوات للتطبيق الميداني.

ثانياً: عرض النتائج ومناقشتها وتفسيرها

يتناول هذا القسم الإجابة عن أسئلة البحث وتفسير النتائج السيكولوجية في ضوء الإطار النظري والدراسات السابقة.

1. مناقشة نتائج السؤال الأول والثاني: مستوى صورة الجسد وتقدير الذات لدى المرأة

أظهرت نتائج الوصف الإحصائي (المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية) أن مستوى الرضا عن الصورة الذهنية للجسد لدى عينة البحث كان **دون المتوسط** (بمتوسط حسابي نسبته 54%)، بينما جاء مستوى تقدير الذات في **المدى المتوسط المنخفض**.

تفسير النتيجة:

تُعزى هذه النتيجة مباشرة إلى طبيعة الضغوط الثقافية والاجتماعية التي تقع تحت طائلتها المرأة في العصر الراهن. إن التدفق البصري الهائل عبر منصات التواصل الاجتماعي صاغ معايير جمالية تجارية متطرفة وغير واقعية، مما جعل فئة كبيرة من النساء، خاصة الشابات، يشعرن بالاستياء المستمر من مظهرهن الطبيعي. هذا الاستياء الإدراكي يمتد تلقائياً ليزعزع استقرار تقدير الذات؛ نظراً لأن التنشئة الاجتماعية لطالما

ربطت –بطريقة مباشرة أو ضمنية– قيمت المرأة وجدارتها بمدى جاذبيتها الخارجية ومطابقتها لمقاييس القبول السائدة.

2. مناقشة نتائج السؤال الثالث: العلاقة الارتباطية بين المتغيرات الثلاثة

أشارت نتائج تطبيق معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation) إلى وجود **علاقة ارتباطية موجبة قوية ودالة إحصائياً** بين صورة الجسد الإيجابية وتقدير الذات ($0.01 > r = 0.68, p$). بالمقابل، وجدت **علاقة ارتباطية سالبة دالة إحصائياً** بين كل من (صورة الجسد وتقدير الذات) من جهة، و(الاضطرابات النفسية) من جهة أخرى ($0.01 > r = -0.59, p$).

جدول رقم (2): مصفوفة الارتباط بين متغيرات البحث الأساسية

المتغيرات	الصورة الذهنية للجسد	تقدير الذات	الاضطرابات النفسية الشاملة
الصورة الذهنية للجسد	1.00	---	---
تقدير الذات	0.68^{**}	1.00	---
الاضطرابات النفسية	-0.59^{**}	-0.72^{**}	1.00

$({})$ دال إحصائياً عند مستوى دلالة 0.01

تفسير النتيجة:

تؤكد هذه النتيجة النموذج التفاعلي الديناميكي في سيكولوجية المرأة. فعندما تحمل المرأة تصوراً ذهانياً سلبياً ومشوشاً عن جسدها، فإنها تطور نظاماً تقييمياً داخلياً هشا ينظر للذات بعين النقص والازدراء، وهو ما يفسر الارتباط الطردي مع تدني تقدير الذات.

هذا التدني والرفض الجسدي يعمل كبيئة نفسية هشة؛ حيث تضعف آليات الدفاع النفسي لدى المرأة، وتتحول الأفكار التلقائية السلبية حول المظهر إلى أعراض عيادية صريحة كالاكتئاب (بسبب فقدان الأمل في الوصول للمثالية)، وقلق المظهر الاجتماعي (خوفاً من أحكام الآخرين)، وسلوكيات الأكل المضطربة (محاولة قهرية بائسة للتحكم في الوزن لاستعادة تقدير الذات المفقود). تتفق هذه النتيجة تماماً مع ما توصلت إليه دراسة القحطاني (2021) ودراسة كاش وزملاؤه (Cash et al., 2014).

3. مناقشة نتائج السؤال الرابع: الفروق تبعاً للمتغيرات الديموغرافية

أظهرت نتائج تحليل التباين الأحادي (ANOVA) واختبار "ت" (t-test) وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اضطراب صورة الجسد وقلق المظهر تعزى لمتغير **العمر** لصالح الفئة العمرية الشابة (18-25 سنة)، بينما لم تظهر فروق جوهرية تعزى لمتغير المستوى التعليمي. كما تبين أن النساء غير المتزوجات (العازبات) أظهرن مستويات استياء أعلى من الجسد مقارنة بالنساء المتزوجات.

تفسير النتيجة:

تفسر حدة الاضطراب لدى الشابات بأن هذه المرحلة (الشباب المبكر) يرتفع فيها مستوى الحساسية للمقارنات الاجتماعية والبحث عن الهوية والقبول من الأقران، إلى جانب الكثافة العالية لاستخدام الفضاء الرقمي

البصري مقارنة بالفئات العمرية الأكبر التي غالباً ما تطور نضجاً معرفياً وتتوزع مصادر تقدير الذات لديها نحو أدوار اجتماعية ومهنية وأسرية أرحب. وتتطابق هذه النتيجة مع خلاصات دراسة منصور والشريف (2022) في البيئة العربية.

4. مناقشة نتائج السؤال الخامس: القدرة التنبؤية لمتغيري صورة الجسد وتقدير الذات بالاضطرابات النفسية

باستخدام تحليل الانحدار المتعدد الخطوة (Stepwise Multiple Regression)، تبين أن المتغيرين المستقلين (الصورة الذهنية للجسد، وتقدير الذات) يسهمان معاً في تفسير ما نسبته **(52.4%)** من التباين الكلي للاضطرابات النفسية لدى المرأة، حيث كان تقدير الذات هو المتغير الأكثر قدرة على التنبؤ، يليه مباشرة اضطراب صورة الجسد.

تفسير النتيجة:

هذه النتيجة تعد الإضافة الأكاديمية الأبرز للبحث الحالي؛ فهي تكشف أن نصف الخلل المرتبط بالصحة النفسية للمرأة (في حدود الأعراض المقاسة) يعود بالأساس إلى تشوه نظرتها لجسدها وانهيار قيمتها الذاتية. إن الانحدار الإحصائي يؤصل لفكرة أن حماية المرأة من اضطرابات العصر كالاكتئاب والقلق تتطلب حتماً العمل التدخلي على المنظومة المعرفية الباطنية التي تحكم علاقتها ببدنها ومفهومها العام عن قيمتها كإنسان.

ثالثاً: التوصيات والمقترحات

بناءً على الخلفية النظرية والنتائج الإمبيريقية التي تم التوصل إليها، يتقدم البحث بالتوصيات والمقترحات الآتية:

1. التوصيات التطبيقية والعلاجية

- **تصميم برامج علاجية متخصصة:** حث الأخصائيين النفسيين والمستشارين في العيادات ومراكز الإرشاد على تبني برامج علاجية معرفية سلوكية (CBT) تركز تحديداً على تفكيك "التشوهات المعرفية للمظهر" وتعديل المخططات الجسدية السلبية لدى النساء، وعدم الاكتفاء بعلاج الأعراض السطحية للاكتئاب أو القلق.
- **إطلاق حملات توعية رقمية مضادة:** رعاية حملات إعلامية وتربوية تتبنى مفهوم "إيجابية الجسد" (Body Positivity) وتنوع المظهر الطبيعي، وتدريب الفتيات في المدارس والجامعات على مهارات "التحليل النقدي" للصور والرسائل الإعلانية التي تبثها وسائل التواصل الاجتماعي.
- **تفعيل وحدات الدعم النفسي الجامعية:** إنشاء وتطوير وحدات إرشادية داخل المؤسسات التعليمية تعنى بالكشف المبكر عن مؤشرات اضطرابات الأكل واضطراب تشوه الجسد، وتقديم الإرشاد الجمعي لتعزيز تقدير الذات غير الشرطي.

2. المقترحات البحثية (الدراسات المستقبلية)

- إجراء دراسة تجريبية لقياس فاعلية برنامج إرشادي قائم على "العلاج بالقبول والالتزام" (ACT) في تحسين الصورة الذهنية للجسد وتقدير الذات لدى عينات عيادية من النساء.

- دراسة متغير "صورة الجسد وعلاقتها بالصحة النفسية" في سياقات نوعية أخرى، مثل: المرأة بعد الولادة، أو النساء اللواتي خضعن لاستئصال أورام، أو تأثير عمليات التجميل الجراحية على تقدير الذات على المدى الطويل.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: المراجع العربية

- عبد الهادي، رانيا سليم. (2023). أثر الاستخدام المكثف لمنصات التواصل الاجتماعي في تشويه صورة الجسد واضطرابات الأكل لدى الشابات. *المجلة الأردنية للعلوم النفسية والتربوية*،9(2)، 145-168.
- القحطاني، نورة بنت مشبب. (2021). الصورة الذهنية للجسد وعلاقتها بتقدير الذات والتوافق النفسي لدى طالبات جامعة الملك سعود. *مجلة العلوم التربوية والنفسية بجامعة الملك سعود*،33(1)، 89-114.
- منصور، أحمد كمال، والشريف، منى عبد الله. (2022). اضطراب صورة الجسد وعلاقته بالاكتئاب وقلق المظهر الاجتماعي لدى المرأة: دراسة مقارنة بين المتزوجات وغير المتزوجات. *مجلة الإرشاد النفسي العيادي*،14(3)، 211-245.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- American Psychiatric Association. (2013). *Diagnostic and statistical manual of mental disorders* (5th ed.). American Psychiatric Publishing.
- Cash, T. F. (2011). Cognitive-behavioral perspectives on body image. In T.

F. Cash & L. Smolak (Eds.), *Body image: A handbook of science, practice, and prevention* (2nd ed., pp. 39-47). Guilford Press.

- Cash, T. F., Santos, M. T., & Williams, E. F. (2014). Coping with body-image threats and challenges: Validation of the Body Image Coping Strategies Inventory. *Journal of Psychosomatic Research*, 58(2), 191-199.
- Diedrichs, P. C., Atkinson, M. J., Garbett, K. M., & Easterbrook, J. A. (2022). Socio-cultural pressures and body image dissatisfaction among young women: A cross-national European study. *Body Image*, 40, 112-125.
- Frederick, D. A., Sandhu, G., Morse, P. J., & Swami, V. (2020). Correlates of appearance and weight satisfaction in a large national sample of Canadian and US women. *Psychology of Women Quarterly*, 44(4), 481-497.
- Rosenberg, M. (1965). *Society and the adolescent self-image*. Princeton University Press.

النزعة الاستهلاكية للمرأة بين الديناميات النفسية والمحددات الاقتصادية

الباحثة: سمية سمير راضي– كندا

الملخص:

يقدم هذا المقال دراسة تفكيكية شاملة ومستفيضة لظاهرة الاستهلاك النسائي في المجتمعات المعاصرة، باعتبارها مرآة تعكس التفاعلات البنيوية المعقدة بين الهوية الفردية وسلطة الاقتصاد الكلي والجزئي. ويتناول المقال التحول التاريخي والاجتماعي لدور المرأة في الأسواق العالمية منذ منتصف القرن العشرين، حيث انتقلت من دور المستهلكة التقليدية لإدارة شؤون المنزل إلى فاعلة رئيسية وموجهة لحركة الإنتاج والاستثمار العالمي.

في الشق النفسي والسلوكي، يركز التحليل على الميكانيزمات السيكولوجية والمحفزات العاطفية التي تحكم القرار الشرائي، مبرزاً الارتباط الشرطي بين "صورة الجسد" المروجة إعلانياً والتقدير الذاتي للمرأة. ويوضح المقال كيف تستغل الرأسمالية الحديثة وقنوات التسويق والوسائط الرقمية الضغوط الاجتماعية والمعايير النمطية للجمال والأناقة لتوليد رغبات استهلاكية مصطنعة، مما يحول الأنوثة إلى سلعة تدر عوائد مالية طائلة للشركات، وغالباً ما يؤدي ذلك إلى حلقة مفرغة من عدم الرضا عن الذات وسلوك الشراء الاندفاعي أو التعويضي.

أما في الشق الاقتصادي والهيكلي، فيحلل المقال أثر المتغيرات المادية مثل مستويات التعليم العالي، الاستقلال المالي، والطبقة الاجتماعية في صياغة خيارات الإنفاق والادخار. كما يرصد الظاهرة الاقتصادية

السلوكية المتمثلة في ميل النساء بالمجتمعات ذات الفجوات الطبقية الحادة نحو "الاستهلاك المظهري أو التفاخر" باقتناء العلامات الفاخرة كآلية تعويضية لبناء مكانة اجتماعية متميزة.

وفي المقابل، يوثق المقال الجانب التحرري للاستهلاك، مستعرضاً كيف أسهم تطور أدوار المرأة والحركات النسوية الجماعية المنظمة تاريخياً (مثل حركة UFIDEC) في صياغة أطر قانونية وتشريعية قوية لحماية المستهلك ومناهضة ممارسات السوق الاحتكارية. وأخيراً، يستعرض المقال التوجه الحديث نحو "الاستهلاك المستدام" والأخلاقي القائم على مبادئ "النسوية البيئية"، مبيناً كيف تحول المرأة المعاصرة قوتها الشرائية إلى أداة للمقاومة والتغيير الاجتماعي وحماية البيئة. وينتهي المقال بتوصيات استراتيجية للمشرّعين وصناع القرار لتعزيز التمكين الذكي والواعي للمرأة ومكافحة التلاعب الإعلاني.

الكلمات المفتاحية: النزعة الاستهلاكية، المرأة، الديناميات النفسية، المحددات الاقتصادية.

Women's Consumerism Between Psychological Dynamics and Economic Determinants

Researcher: Soumaya Samir Radhi – Canada

Abstract: This article provides a comprehensive and exhaustive deconstructive study of female consumerism in contemporary societies, positioning it as a mirror that reflects the complex structural interactions between individual identity and the overarching forces of macro- and microeconomics. The paper traces the historical and social transformation of women's roles in global markets since the mid-twentieth century, highlighting their evolution from traditional consumers

managing household affairs into key economic actors driving global production and investment.

On the psychological and behavioral front, the analysis focuses on the sychological mechanisms and emotional triggers that govern purchasing decisions, underscoring the conditional correlation between the advertising-promoted "body image" and women's self-esteem. The article demonstrates how modern capitalism, marketing channels, and digital media exploit social pressures and stereotypical standards of beauty and elegance to manufacture consumer desires. This process effectively commodifies femininity, generating immense financial returns for corporations, while frequently trapping women in a vicious cycle of self-dissatisfaction and impulsive or compensatory buying behavior.

In terms of the economic and structural dimensions, the paper analyzes the impact of material variables—such as higher education levels, financial independence, and social class—on shaping spending and saving patterns. It also captures a behavioral economic phenomenon wherein women in highly stratified societies lean toward "conspicuous consumption." By acquiring luxury brands, they utilize a compensatory mechanism to construct a distinguished social status.

Conversely, the article documents the emancipatory facet of consumerism, reviewing how the evolution of women's roles and historically organized collective feminist movements (such as the UFIDEC movement) have contributed to formulating robust legal and legislative frameworks for consumer protection and countering monopolistic market practices. Finally, the study examines the contemporary paradigm shift toward ethical and "sustainable consumption" rooted in the principles of "ecofeminism," illustrating how contemporary women leverage their purchasing power as an instrument for resistance, social change, and environmental preservation. The article concludes with strategic recommendations for legislators and policymakers to foster smart, conscious female empowerment and combat deceptive advertising manipulation.

Keywords: Consumerism, Women, Psychological Dynamics, Economic Determinants.

أولاً: المقدمة

تُعَدّ دراسة استهلاك النساء عنصراً أساسياً لفهم الديناميات النفسية والاقتصادية التي تؤثر على المجتمعات الحديثة. فالاستهلاك النسائي في العصر المعاصر يتجاوز كونه مجرد نشاط ميكانيكي لتحقيق رغبات فردية أو سد حاجات بيولوجية مادية؛ بل إنه يمثل مرآة تعكس التفاعلات المعقدة والمتشابكة بين الهوية الفردية

والبنى الاقتصادية الكلية. وتُظهر الأبحاث السلوكية والاقتصادية المعاصرة أن دور النساء في الأسواق العالمية قد تطور بشكل جذري ومتسارع؛ حيث انتقلت المرأة من كونها مجرد مستهلكة تقليدية سلبية تدير شؤون المنزل، إلى فاعلة رئيسية ومحركة أساسية للاقتصاد وموجهة لقرارات الإنتاج والاستثمار.

إن هذا التحول البنيوي العميق ينطوي على تأثيرات بالغة الأهمية تتجاوز الجانب المالي المحض والمؤشرات الرقمية الجافة، مُظهراً بكفاءة كيفية ارتباط الاستهلاك الوثيق بالمعايير الاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمعات. من هنا، تبرز الحاجة الأكاديمية الملحة لدمج الفهم الاقتصادي بالتحليل النفسي، وهو الدمج الذي يُساعد في توضيح كيفية تأثير الاستهلاك على صورة المرأة الذاتية، وكيف أن الضغوط المجتمعية المستمرة لتحقيق معايير الجمال الصارمة والسلوكيات النمطية تؤثر بشكل مباشر وممنهج على قرارات الشراء والمشاركة في السوق.

على الرغم من أن الاستهلاك قد يُنظر إليه في بعض الأحيان كأداة تحررية لتعزيز الهوية والتمكين الشخصي وبناء الاستقلال الاقتصادي، إلا أنه يعكس في وجهه الآخر قضايا أعمق وأكثر تعقيداً تتعلق بآليات التحكم، وسلطة السوق الرأسمالية، وسيكولوجية التسليع. تصرفات النساء كمستهلكات تجسد بدقة التفاعل المستمر بين الرغبات الشخصية الداخلية والتوقعات الاجتماعية الخارجية، مما يخلق تحديات جديدة تتعلق بمفاهيم التحرر والتنمية الإنسانية المستدامة. علاوة على ذلك، تساهم العوامل الاقتصادية الهيكلية مثل عدم المساواة في توزيع الدخل وارتفاع تكاليف المعيشة ومعدلات التضخم في تشكيل وصياغة تجارب النساء كمستهلكات بشكل متباين. فعلى الرغم من أن العديد من النساء يسعين بقوة وعزم إلى تحقيق الاستقلال المالي الكامل، إلا أنهن يواجهن في كثير من الأحيان معوقات اجتماعية وثقافية متجذرة تُؤثر سلباً على خياراتهن الاستهلاكية وتوجهاتهن في السوق.

ولذا، فإن فهم الاستهلاك النسائي يتطلب بالضرورة كسر العزلة بين العلوم النظرية، والنظر في التأثيرات الاقتصادية والنفسية بشكل متكامل وبنائي. تتداخل الأبعاد النفسية والاقتصادية في تشكيل سلوكيات الاستهلاك اليومية، مما يتطلب تحليلاً دقيقاً ورصيناً لفهم كيفية تأثير هذه الديناميات المتداخلة على تفاصيل الحياة اليومية للنساء. يبرز التحليل النفسي دور الضغوط الاجتماعية كعامل مُحفز ومحوري يؤثر على القرارات الاستهلاكية، حيث تدفع هذه الضغوط النساء نحو محاولة دؤوبة لتحقيق معايير الجمال المثالية والنجاح الاجتماعي المتخيل. وفي الوقت نفسه، يُعدّ التفاعل مع البيئة الاقتصادية الكلية عاملاً حاسماً لا يمكن إغفاله؛ حيث إن القدرة الفردية على الإنفاق، وفرص التمويل، ومستويات الدخل المتاحة تُشكل جوانب أساسية وجوهرية في التفاعلات السوقية. تتطلب هذه الظاهرة المركبة فهماً عميقاً لعلاقة المرأة بالأشياء والسلع، مما يقود الباحثين إلى استنتاجات بالغة الأهمية حول كيفية تمكين النساء من خلال تشجيع الاستهلاك الذكي، الواعي، والمسؤول. إن استكشاف استهلاك النساء ليس ترفاً فكرياً، بل هو مدخل محوري يساهم في فهم التحولات الثقافية والاقتصادية المعاصرة بشكل أفضل وأكثر دقة.

ثانياً: التحديد المفهوم لظاهرة استهلاك المرأة

تعتبر مسألة استهلاك المرأة موضوعًا معقدًا تتداخل فيه التفسيرات السيكولوجية بالمحددات المادية والمالية بشكل يصعب الفصل بينهما. يُعرف استهلاك المرأة من منظور علم الاجتماع السلوكي وعلم النفس التسويقي بصورة عامة كمجموعة من القرارات السلوكية والعمليات الاختيارية التي تقوم بها النساء في سياق منظومتهن من القيم الاجتماعية والثقافية المحيطة بهن. تعكس هذه القرارات والأنماط السلوكية بدقة كيفية تفاعل المرأة اليومي والمستمر مع المنتجات والخدمات المتاحة في السوق المعاصر، بما في ذلك فحص مدى تأثير هذه الأنواع الاستهلاكية المتعددة على هويتها الشخصية ورفاهيتها النفسية واستقرارها العاطفي.

من خلال معالجة قضايا محورية وعميقة مثل صورة الجسم، والتقدير الذاتي، والضغوط الاجتماعية المفروضة عبر قنوات الإعلام والإنترنت، يعكس استهلاك المرأة أيضاً التحديات والصراعات المستمرة التي تواجهها في سبيل تحقيق توازن قوي وصحي بين رغبتها في تحقيق الذات وبناء كيان مستقل، وبين امتثالها الإجباري أو الطوعي للمعايير الاجتماعية المتغيرة باستمرار؛ وهذا يُرجع بعضه بوضوح إلى أن معايير الأنوثة التقليدية والحديثة السائدة في المجتمعات الاستهلاكية تربط قيمة المرأة الإنسانية والاجتماعية بشكل غير متناسب بجسدها ومظهرها الخارجي.

أما من الناحية الاقتصادية الخالصة، فإن استهلاك المرأة يتأثر بشكل بنيوي حاسم بالعوامل الاجتماعية والثقافية المحيطة بها كالمؤسسة الأسرية، ومستويات التعليم المتاحة، ومدى اندماجها في سوق العمل وطبيعة الوظائف التي تشغلها. تتجه النساء في الأسواق الحديثة نحو اختيار سلع وخدمات معينة تهدف من خلالها إلى تمييز أنفسهن وبناء مكانة اجتماعية محددة، ويؤثر هذا التفضيل النمطي المتزايد بشكل مباشر وحاسم على اتجاهات السوق العالمية، خطوط الإنتاج، والسياسات الاستثمارية للشركات. تساهم النساء في دفع عجلة الاقتصاد الكلي من خلال زيادة معدلات الإنفاق والاستهلاك، مما يؤدي بالتبعية إلى إحداث تغييرات جوهرية وجذرية في استراتيجيات التسويق العالمية واستهداف الفئات النسائية بشكل مكثف ودقيق في الحملات التجارية.

يُظهر تحليل البيانات السلوكية المعاصرة أن النساء غالباً ما يبحثن عن صياغة هوياتهن وإعادة تعريف ذواتهن من خلال استهلاك واقتناء المنتجات والرموز التجارية التي تعكس طموحاتهن الشخصية وأفكارهن الأيديولوجية، وتسهم هذه الاستراتيجية الاستهلاكية الهوياتية في محاولة تحقيق مستوى عالٍ من الرضا الشخصي المؤقت أو المستدام. بناءً على ذلك، فإن أي دراسة علمية جادة لاستهلاك المرأة تتطلب بالضرورة

فهماً عميقاً وشاملاً للعوامل النفسية العميقة التي تلعب دوراً رياديا في تقرير وتوجيه خياراتهن الشرائية. تشترك العديد من النساء في سعيهن الحثيث للحصول على الإرضاء الذاتي، والتوازن العاطفي، والاعتراف الاجتماعي من قِبل المحيطين بهن، وهو السعي الذي يظهر بوضوح عبر السلوك الاستهلاكي القائم على الهوية والتعبير عن المكانة. ومع ذلك، فإن خطورة هذه الآلية تكمن في إمكانية استغلال هذا السلوك السيكولوجي وهندسته من قِبل الشركات الرأسمالية الكبرى والعلامات التجارية التي تستهدف النساء بأساليب تسويقية متطورة تتلاعب بمشاعرهن، رغباتهن، ومخاوفهن الداخلية. لذلك، أصبح من الضروري والأخلاقي بمكان أن تُحتسب قيم النساء واحتياجاتهن الحقيقية والواقعية في تطوير الاستراتيجيات التسويقية والسياسات الاقتصادية، لضمان أن تُعكس إحساسهن الحقيقي بالقوة، الكفاءة، والتمكين من خلال خيارات استهلاكية مدروسة، واعية، وبعيدة عن التلاعب العاطفي.

ثالثاً: أهمية دراسة سلوك المستهلك النسائي وديناميات السوق

تعتبر دراسة سلوك المستهلك من العناصر الأساسية والركائز الجوهرية في فهم وتفكيك ديناميات السوق والتحولات الاقتصادية، وتكتسب هذه الدراسة أهمية مضاعفة واستثنائية عندما يتعلق الأمر بمستهلكات النساء. في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة التي تشهدها الألفية الثالثة، أصبحت النساء القوة الدافعة الأولى والمحرك الأساسي في اتخاذ القرارات الشرائية الكلية والجزئية، مما يستدعي من الباحثين فحص سلوكهن بأساليب علمية دقيقة واستكشاف مدى تأثير العوامل النفسية والاجتماعية العميقة على خياراتهن التفصيلية. إن تحليل الرغبات الدفينة والاحتياجات الاستهلاكية يعكس بوضوح كيف تؤثر المعايير المجتمعية والضغوط الثقافية على اختيار المنتجات، بالإضافة إلى كيفية إدراك المرأة لقيمتها الذاتية ومكانتها الإنسانية من خلال أنماط استهلاكها واقتنائها للسلع. لذا، يتوجب على الباحثين الأكاديميين والممارسين

التنفيذيين في مجال التسويق وإدارة الأعمال دراسة هذه السلوكيات والأنماط بدقة متناهية لفهم التوجهات الناشئة، مما يمكنهم من صياغة وتطوير استراتيجيات تسويقية تكون أكثر توافقاً مع تطلعات النساء الحقيقية وجاذبة لهن في آن واحد.

تتداخل أبعاد السلوك الاستهلاكي مع الأبعاد النفسية تداخلاً وثيقاً؛ حيث يُعتبر شكل الجسد ومعاييره النمطية السائدة من القضايا الحاسمة، الحساسة، والمؤثرة في حياة النساء اليومية. تشير الدراسات السيكولوجية المتخصصة إلى كيفية الارتباط العضوي والشرطي بين صورة الجسد المتخيلة ومفاهيم الأنوثة التي تروج لها الثقافة الاستهلاكية، وكيف أن هذه المفاهيم والتمثلات تؤثر بشكل مباشر ومكثف على قرارات الشراء واختيار السلع. تنشأ التحديات النفسية الكبرى هنا من الصراعات الداخلية الحادة المتعلقة بالرغبة في القبول الاجتماعي ومخاوف الرفض أو عدم التوافق مع المعايير السائدة، مما يزيد من تعقيد وتداخل سلوك المستهلكات ويجعله غير خاضع للقوانين الاقتصادية الكلاسيكية القائمة على العقلانية المحضة. ولعل الأبحاث السلوكية الرائدة تبرز بوضوح كيف يتم في كثير من الأحيان تقليص قيمة المرأة الشاملة واختزالها فيما يتعلق بجسدها ومظهرها الخارجي، مما يوضح بجلاء الحاجة العلمية والاجتماعية الملحة لدراسة تأثير هذه المجريات والضغوط النفسية على الاختيارات الاستهلاكية بشكل عميق وبنيوي.

علاوة على ذلك، فإن فهم سلوك المستهلك النسائي من منظور اقتصادي كلي يمكن أن يقدم رؤى بالغة القيمة والأهمية حول كيفية تأثير الأزمات الاقتصادية المعاصرة على أنماط استهلاك النساء وعاداتهن الشرائية. ففي أوقات الركود الاقتصادي، التضخم، أو الأزمات المالية العالمية، تتغير أولويات الإنفاق الأسري والفردي بشكل حاد، ويصبح من الضروري دراسة كيفية تأثر النساء بمثل هذه التحولات، وكيف يدرن الميزانيات المتاحة تحت وطأة الضغوط الاقتصادية. من المهم هنا أيضاً أن نأخذ في الاعتبار الأبعاد البيئية

والنفسية المتداخلة التي تؤثر على سلوك المستهلك الحديث؛ حيث تشير أدبيات النسوية البيئية إلى أهمية دراسة العلاقة بين الاستهلاك والاستدامة، وفهم كيف يمكن للنساء أن يوجهن قوتهن الشرائية نحو حماية البيئة والتنمية المستدامة. إن إعادة التفكير الجذري في الاستراتيجيات التسويقية والسياسات الاقتصادية مع مراعاة التحديات الفريدة والسياقات السيكولوجية التي تواجهها النساء يمكن أن يسهم بفعالية في تحسين كفاءة الأداء الاقتصادي، وتطوير أسواق أكثر عدالة واستجابة للاحتياجات الإنسانية الحقيقية.

رابعاً: التحليل التاريخي للنزعة الاستهلاكية لدى المرأة

تتجلى أهمية السياق التاريخي لاستهلاك المرأة في فهم التحولات البنيوية، الاقتصادية منها والاجتماعية، التي شهدتها المجتمعات الإنسانية منذ منتصف القرن العشرين وحتى العصر الحالي. فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، شهدت البنية الاجتماعية والاقتصادية للعالم تحولاً راديكالياً؛ حيث بدأت النساء في الخروج الجماعي والمكثف من دائرة العمل المنزلي التقليدية الضيقة للمشاركة الفعالة وبمستويات غير مسبوقة في السوق الاستهلاكية والإنتاجية. لقد أدت هذه الديناميكيات الجديدة والدور الاقتصادي المتنامي إلى ظهور وتأسيس الحركات الاستهلاكية المنظمة التي كانت تهدف بالأساس إلى تعزيز وعي المستهلك وحمايته من جشع الأسواق وتلاعب الإعلانات. وتتجسد هذه الحركات التاريخية في منظمات نسائية رائدة مثل *الاتحاد النسائي للإعلام والدفاع عن المستهلك* (Union Féminine pour l'Information et la Défense du Consommateur – UFIDEC)، والتي شكلت صوتاً نسائياً قوياً ومؤثراً في المطالبات السياسية والتشريعية بحقوق المستهلك وتوفير آليات حماية قانونية صارمة له. إن هذه الحركات النسائية التاريخية لم تقتصر فقط على تحدي النظام الرأسمالي القائم وممارساته الاحتكارية، بل ساهمت بفعالية في صياغة

وتشكيل الإطار القانوني والتشريعي الحديث لحماية المستهلك، مما يعكس بوضوح التغيرات الجوهرية في مسؤوليات النساء ودورهن المجتمعي والسياسي المتزايد.

الحقبة الزمنية	الدور الاستهلاكي للمرأة	طبيعة الحركة الاجتماعية والسياسية المؤثرة
ما قبل منتصف القرن العشرين	استهلاك منزلي تقليدي، محصور في تلبية الاحتياجات الأساسية للأسرة وإدارة الاقتصاد المنزلي المحدود.	أدوار جندرية تقليدية صارمة تحصر المرأة في المجال الخاص وتمنعها من الاستقلال المالي.
بعد الحرب العالمية الثانية (الخمسينات–السبعينات)	خروج مكثف لسوق العمل، بروز القوة الشرائية المستقلة، وبداية استهدافها إعلانياً بشكل نمطي.	صعود النزعة الاستهلاكية الجماعية المنظمة، وتأسيس حركات نسائية للدفاع عن المستهلك مثل (UFIDEC).
أواخر القرن العشرين (الثمانينات–التسعينات)	تحول الاستهلاك إلى أداة للتعبير عن الهوية الذاتية، التميز الاجتماعي، ومواكبة	موجات الحركة النسوية التي ركزت على التحرر الفردي، الاستقلال المالي الكامل،

	خطوط الموضة العالمية.	واحتلال مناصب ريادية.
القرن الحادي والعشرين والعصر الرقمي المعاصر	استهلاك رقمي عابر للحدود، تأثر مباشر بالوسائط الرقمية، وتوجه متزايد نحو المنتجات الأخلاقية والمستدامة.	النسوية البيئية، الحركات المناهضة للتسليع غير الواقعي للجسد، والمطالبة بالاستهلاك الذكي والواعي.

في هذا الإطار السوسيولوجي والتاريخي، من الضروري بمكان الإشارة إلى كيف أن المعايير الاجتماعية والثقافية المحيطة بمفهوم الأنوثة قد ساهمت بشكل مباشر في صياغة وتوجيه استهلاك النساء عبر العقود. حيث تروج الثقافة الرأسمالية السائدة وقنوات الإعلام التجاري لقيم الجمال الشكلي والكمال الجسماني كمعايير أساسية، بل ووحيدة في كثير من الأحيان، لقياس قيمة المرأة ومكانتها. أظهرت الأبحاث النفسية والتاريخية المعمقة أن الوعي المفرط بمظهر المرأة الخارجي يترافق دائماً مع تحديات وصراعات نفسية مريرة؛ حيث يُربط تقدير الذات والأمن النفسي بشكل ميكانيكي بالمظهر الخارجي ومدى رضا الآخرين عنه. هذا الوضع التاريخي المستمر لا يعكس فقط تأثيرات استهلاكية سطحية، بل يدعو للتفكير الفلسفي والعميق في كيفية ارتباط الوسائط الاجتماعية المعاصرة بأحكام الجمال المتغيرة والمصطنعة، والتي تفقد النساء جزءاً كبيراً من هويتهن الأصيلة ليصبحن أسيرات لمعايير جمالية استهلاكية وغير واقعية على الإطلاق. إن هذه الشروط البنيوية القاسية تجعل من استهلاك المرأة المعاصرة أسلوباً معقداً للتعبير عن الهوية، تكافح فيه المرأة باستمرار بين رغبتها في خلق ذات مستقلة وحرة، وبين الامتثال للمثل الاجتماعية المفروضة عليها من قِبل سوق متعطش للربح.

ويتضح من خلال التحليل التاريخي أن استهلاك المرأة لا يمكن تفكيكه أو فهمه بمعزل عن معاني الهوية والمكانة والطبقة الاجتماعية. ففهم التحولات التاريخية للاستهلاك يمثل خطوة محورية وأساسية نحو إدراك الأبعاد النفسية والاقتصادية المرتبطة بهذا السلوك في عالمنا المعاصر. تواجه النساء اليوم تحديات مزدوجة متمثلة في الضغوط الاجتماعية المتراكمة والرغبة في التكيف السريع مع المعايير المتغيرة، مما يؤثر بشكل عميق على قراراتهن الشرائية وتوجهاتهن المالية. إن استهلاك المرأة، في سياق السوق المعاصر والديجيتال، يتجاوز مجرد عملية الشراء الفيزيائي للسلعة؛ إنه يعكس ديناميكية مستمرة لبناء الذات، والتعبير عن الموقف، والاستجابة للتغيرات المجتمعية المتلاحقة. وبالتالي، لا يزال النقاش العلمي حول استهلاك المرأة يتطلب تحليلاً بنيوياً عميقاً لفهم كيفية ارتباطه الوثيق بالتاريخ الاقتصادي والثقافي والسياسي للمجتمعات.

خامساً: تطور أدوار المرأة وتحولات الحركة النسوية

تعتبر أدوار المرأة في المجتمع من المواضيع الجوهرية والحيوانية التي تعكس بدقة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الشاملة على مر العصور والقرون. ففي الحقب التاريخية السابقة، كانت الأدوار الاجتماعية للمرأة محصورة في ممارسات ووظائف محدودة وضمن المجال الخاص، تتعلق في معظمها بالرعاية المنزلية، إعداد الطعام، وتربية الأطفال. ومع ذلك، فقد أدت النضالات الطويلة والمستمرة للحركات النسوية بمختلف موجاتها التاريخية إلى إحداث تطور هائل وجذري في هذه الأدوار، مما ساهم بفعالية في دخول المرأة بقوة إلى مجالات العمل المختلفة، واحتلالها للمناصب القيادية، والمشاركة النشطة في صياغة السياسات الاقتصادية والإنتاجية. وبالاستناد إلى الدراسات السيكولوجية والاجتماعية الحديثة التي تركز على صورة الجسد والتمثلات النسائية، نجد أن الأدوار الاجتماعية المتطورة للمرأة أصبحت تعكس بشكل مباشر احتياجات السوق ومتطلبات المجتمع الحديث، مما يبرز بوضوح كيف أن قيم الجمال التقليدية والمصطنعة لا

تزال تؤثر بقوة على استهلاك المرأة وقراراتها الشرائية وتوجهاتها المالية. لقد عرفت المرأة، من خلال مسيرة التطور الاجتماعي الطويلة، كيفية التلاعب الإيجابي بمفاهيم الأنوثة التقليدية وإعادة صياغتها لتتحول إلى قوة اقتصادية ضاربة ومؤثرة في المجتمع، مما يعكس مرونة وقدرة النساء العالية على التأقلم الذكي مع المعايير الاقتصادية المتغيرة والظروف السوقية المتقلبة.

تتداخل الأبعاد النفسية والاقتصادية بشكل وثيق ولا يقبل الفصل في مسيرة تطور أدوار المرأة؛ حيث ساهمت القضايا السيكولوجية الداخلية في تشكيل تجارب النساء ورؤيتهن لأنفسهن كائنات مستقلة معنية بالنجاح، الاستقلال المالي، والتميز المهني. وتعد الحركات النسوية الحديثة والتحليلات ما بعد الحداثية خطوة بالغة الأهمية في إعادة هيكلة تصورات المجتمع الكلية حول الأدوار النسائية؛ حيث تعيد بلورة العلاقات الاجتماعية والإنتاجية من منظور ينصف المرأة، يعزز من حقوقها، ويحمي مكانتها. بالإضافة إلى ذلك، فإنه من خلال تبني وتوظيف مفهوم النسوية البيئية الحديث، يمكننا فهم تطلعات المرأة المعاصرة نحو مساهمة أفضل وأكثر وعياً في قضايا البيئة، التنمية المستدامة، ومناهضة النزعة الاستهلاكية المتوحشة التي تضر بالكوكب. هذه الديناميكيات المتشابكة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن التطورات الاقتصادية البنيوية لا يمكن فصلها بأي حال من الأحوال عن التأثيرات النفسية والسلوكية التي تواجهها النساء في سعيهن اليومي لتحقيق الاستقلال الكامل والتمكين الحقيقي.

لا يقتصر تأثير دور المرأة المتطور على مجالات العمل والوظائف اليدوية أو المكتبية فقط، بل يمتد بعمق ليشمل أنماط استهلاكها للسلع والخدمات، مما يعكس تغيرات جذرية في منظومة القيم الاجتماعية ككل. فمع ارتفاع مستواها التعليمي بشكل ملحوظ واحتلالها لوظائف ريادية واستثمارية كبرى، أصبح لدى النساء القدرة المالية والمعرفية الكاملة لاتخاذ قرارات استهلاكية مستقلة تعكس هوياتهن الحرة وتطلعاتهن الذاتية. إن

الارتباط الشرطي والوثيق بين الأدوار الاجتماعية والمحدِّدات الاقتصادية يجعل من الضروري والمحوري دراسة الأثر النفسي والسيكولوجي العميق الذي يشعر به الفرد نتيجة لهذه الأدوار المتطورة والضاغطة. هذا التفاعل المعقد مع آليات السوق، جنباً إلى جنب مع التوقعات المجتمعية الصارمة والمستمرة، يجعل النساء يتحملن ضغوطاً نفسية وعاطفية هائلة في سبيل تحقيق صورة مثالية متخيلة تعكس الهوية الاجتماعية الناجحة والمقبولة. لذا، يتمثل التحدي الأكبر والمستمر للنساء المعاصرات في كيفية موازنة هذه الضغوط النفسية مع إمكانياتهن المتزايدة للمشاركة الفعالة والريادية في جميع جوانب الحياة الاقتصادية، السياسية، والاجتماعية.

إن الحركة النسوية قد أحدثت بالتبعية تأثيرات بالغة العمق والاتساع على سلوك المستهلك العالمي؛ حيث أظهرت بوضوح وبأدلة رقمية قاطعة قدرة النساء على اتخاذ قرارات شراء مستقلة تماماً تعكس هويتهن ورغباتهن الخاصة بعيداً عن التبعية التقليدية. ومن خلال تأكيد الحقوق الفردية والاستقلال المالي، أصبحت المرأة أكثر وعياً، نضجاً، واهتماماً بكيفية وأين تنفق أموالها ومدخراتها، مما دفع العديد من العلامات التجارية والشركات الكبرى إلى إعادة تقييم جذري وشامل لاستراتيجياتها التسويقية والإنتاجية لتلبية احتياجات وتطلعات هذه الفئة الشرائية المتزايدة الأهمية والقوة. بالإضافة إلى ذلك، أدت الحركة النسوية إلى رفع مستوى الوعي الجمعي تجاه القضايا الاجتماعية والبيئية وأخلاقيات العمل، مما جعل النساء محوراً أساسياً ورائداً في تبني ونشر أنماط استهلاكية مستدامة، عادلة، وأخلاقية. على سبيل المثال، فإن الازدياد الملحوظ والواضح في الطلب العالمي على المنتجات الخضراء والشركات التي تروج لمبادئ أخلاقية وإنسانية يعكس بدقة كيفية تأثير القيم النسوية المعاصرة على اختيارات النساء وتفضيلاتهن عند التسوق.

ويتجلى البعد النفسي في سلوك المرأة كمستهلكة من خلال ارتباطها العضوي بموضوعات الهوية والتحرر وبناء الذات. تعدّ إعلانات المنتجات والخدمات التي تعزز من قوة المرأة، استقلالها، وكفاءتها الذاتية جذابة ومؤثرة بشكل خاص؛ لكونها تتعاطف بعمق مع تطلعات النساء المعاصرات وتخاطب رغبتهن في التمكين. فالنساء اليوم يبحثن عن تواصل عاطفي وقيمي حقيقي مع العلامات التجارية، مما يحث الشركات ويجبرها على إيجاد أساليب تسويقية مبتكرة تتعامل مع المرأة كفرد مستقل له خصوصياته السيكولوجية والفكرية وليس ككتلة استهلاكية صماء. نتج عن ذلك تحول جذري في كيفية تصور النساء للمنتجات؛ حيث تجذب المنتجات والخدمات التي تمثل قيمهن الشخصية وتدعم تطورات الحركة النسوية مزيداً من الاهتمام والولاء المستدام من قِبلهن. إن هذه الظاهرة السلوكية تعكس تحولات أوسع وأعمق في المجتمع المعاصر تجاه مفهوم الاستهلاك، وتحول العلامات التجارية من مجرد أدوات نفعية إلى عوامل مكونة ومحددة للهوية الفردية والاجتماعية.

أما من الجانب الاقتصادي المباشر، فقد أدى الارتفاع الكبير والمتسارع في استهلاك المرأة المستقل والواعي إلى تغيير ديناميات الأسواق وسلاسل التوريد بشكل غير مسبوق. لقد كان لتأثير الحركة النسوية دور أساسي وحاسم في زيادة الأهمية الاستراتيجية للنساء كقوة شرائية ضخمة تمثل بالفعل الشريحة الأكبر والأكثر نشاطاً في السوق العالمي المعاصر. فقد أظهرت الدراسات الاقتصادية والإحصائية الحديثة أن النساء ينفقن ويتحكمن في مبالغ مالية طائلة وفلكية تتوزع على مختلف الفئات والقطاعات الاستثمارية، بدءاً من قطاعات الموضة، الرعاية، والطعام، وصولاً إلى قطاعات التكنولوجيا، العقارات، والسيارات. وفي الوقت ذاته، تزداد التحديات والصعوبات والمخاطر أمام الشركات والمؤسسات التجارية التي لم تتكيف بعد بشكل كامل مع هذه التحولات البنيوية، مما يستدعي ضرورة الاستجابة السريعة والدقيقة للتوجهات الناشئة والحديثة التي تحكم

سلوك المستهلك النسائي اليوم. يظهر بوضوح من خلال هذه المعطيات العلمية المتكاملة أن الحركة النسوية لم تعد مجرد تحرك اجتماعي أو حقوقي في أروقة المنظمات، بل هي قوة اقتصادية ومالية هائلة تلعب دوراً محورياً وبنائياً في صياغة وهندسة مستقبل الأسواق العالمية.

سادساً: التحول في استراتيجيات التسويق الموجهة للمرأة

تعد التغييرات الجوهرية في استراتيجيات التسويق المستهدفة للنساء من القضايا الأكاديمية والتطبيقية التي تتطلب دراسة متعمقة وتحليلاً نقدياً مستمراً؛ حيث تتحكم هذه الاستراتيجيات المبتكرة في كيفية استجابة النساء كفئة مستهلكة متزايدة القوة والأهمية في الأسواق الحديثة والمعاصرة. مع استمرار النساء في التحكم والسيطرة على جزء كبير وحاسم من الإنفاق الأسري والفردي العالمي، بدأ خبراء التسويق ومصممو الحملات الإعلانية في تبني وتوظيف نهج أكثر تعقيداً، عمقاً، وذكاءً يتوافق بدقة مع تطور هويات النساء المتعددة وأدوارهن الاجتماعية والمهنية الجديدة. تركز هذه الاستراتيجيات الحديثة والموجهة على تعزيز وإبراز صورة إيجابية، قوية، وملهمة تعكس استقلال المرأة وقدرتها على القيادة، مما يسمح لها بالتعبير الحر عن خياراتها واحتياجاتها الحقيقية من خلال سلوكها الشرائي. وتشير الدراسات المتخصصة في علم النفس التسويقي إلى أن قطاع التسويق قد استفاد بشكل واسع وصريح من التحولات المعرفية لما بعد الحداثة في تصور الهوية البشرية؛ حيث تم اعتماد ودمج مفاهيم الهوية الذاتية، التقدير الشخصي، والتميز الفردي بشكل أكبر وأعمق ضمن الاستراتيجيات التسويقية المعاصرة، مما يعكس الزيادة الكبيرة لوزن الهوية في اتخاذ قرار الشراء واختيار العلامة التجارية.

من جهة أخرى، تلعب العوامل الاقتصادية والمادية دوراً حاسماً وبارزاً في تشكيل وتوجيه استراتيجيات التسويق الحديثة؛ حيث تتبنى الشركات العالمية منهجيات تسويقية وإعلانية تختلف باختلاف المستويات الاقتصادية والطبقات الاجتماعية لشرائح النساء المستهدفات. ومع تزايد مشاركة النساء في القوى العاملة العالمية وتحقيقهن لمستويات عالية من الدخل المستقل، أصبحت الفئة المستهلكة تتكون في جزء كبير منها من نساء لديهن ملاءة مالية متزايدة وقوة شرائية حرة، مما يستدعي بالضرورة تعديل وصياغة الرسائل التسويقية لتلبية متطلباتهن الفكرية واهتماماتهن الاقتصادية والعملية المتقدمة. تظهر الأبحاث الطولية والتاريخية أن الآراء والمواقف العامة والنسائية تجاه آليات التسويق قد شهدت تحولاً ملحوظاً وجذرياً منذ ثمانينات القرن الماضي وحتى اليوم، مما يدل بوضوح على تغير وتطور التصورات المجتمعية والفردية حول مفهوم الاستهلاك ووظيفة العلامات التجارية في الحياة اليومية. يُعتبر هذا التحول المستمر في آراء وتفضيلات النساء ضرورة ملحة وفهماً واجباً للشركات والمؤسسات لضمان استجابة السوق الكفؤة للتغيرات السلوكية للمستهلكين، مما يمهد الطريق لابتكار استراتيجيات تسويقية أكثر مرونة، استجابة، وأخلاقية. كما أن استراتيجيات التسويق الحديثة والذكية تُراعي بدقة الفجوات الثقافية، الجغرافية، والاجتماعية؛ حيث تبرز الفروق الجوهرية بين النساء من خلفيات، ثقافات، واهتمامات متعددة ومتنوعة. يُظهر المسوقون المعاصرون وعياً متزايداً وحرصاً شديداً على الفهم العميق للتنوع والتباين في احتياجات وتطلعات النساء في الأسواق الإقليمية والمحلية المختلفة. يتضمن هذا الوعي العلمي تسويق المنتجات والخدمات ليس بناءً على الفئات العمرية التقليدية أو مستويات الدخل المادي فقط، ولكن أيضاً وفقاً للمنظومات القيمية، الثقافية، والاجتماعية التي تتبناها النساء ويعبرن عنها. وبالتالي، يُعد التوجه الاستراتيجي المعاصر نحو التسويق الذكي والمستهدف لشرائح النساء ركيزة أساسية وعنصراً حاسماً لتحقيق النجاح والاستدامة في الأسواق التنافسية العالمية

المعاصرة. فهناك أهمية قصوى لتوجيه وتنظيم الجهود التسويقية والإعلانية بما يتناسب بدقة مع تلك القيم الإنسانية والثقافية ليكون المنتج أكثر قبولاً، تأثيراً، ومصداقية بين النساء المستهلكات، مما يعكس الفهم العلمي العميق لسيكولوجية المستهلكين كجزء لا يتجزأ من العصر الرقمي الحالي.

سابعاً: الميكانيزمات النفسية والمحفزات العاطفية في السلوك الشرائي

تشكل العوامل النفسية والسيكولوجية أحد الجوانب الحيوية، المعقدة، والأساسية لفهم استهلاك المرأة وتفكيك شفراته، حيث تلعب دوراً هائلاً ومحورياً في تحديد وتوجيه سلوكيات الشراء، واختيار المنتجات، والولاء للعلامات التجارية. يتأثر استهلاك المرأة بعوامل سيكولوجية داخلية متعددة مثل الهوية الشخصية، صورة الذات، والمكانة الاجتماعية المتخيلة، والتي تتفاعل وتتشابك باستمرار مع القيم الثقافية والمعايير المجتمعية السائدة. في هذا السياق السلوكي، يمكن أن ترتبط رغبة المرأة في شراء منتجات أو خدمات معينة بالاحتياجات النفسية العميقة لإثبات الذات، تعزيز الثقة بالنفس، وتحقيق الانتماء الاجتماعي لمجموعة مرجعية معينة. إذ تُظهر الأبحاث النفسية والتسويقية المعاصرة أن النساء يملن بقوة إلى البحث عن واقتناء العناصر والسلع التي تعكس هويتهن المعاصرة المستقلة، وتساعد بفعالية على بناء صورة إيجابية، راقية، ومقبولة في أعين الآخرين والمجتمع، مما يعزز بشكل تلقائي وكبير من جاذبية ونجاح العلامات التجارية القادرة على تلبية وفهم هذه الرغبات النفسية الدفينة. بالتالي، فإن الفهم العلمي الدقيق لهذه الدوافع والميكانيزمات النفسية يمكن أن يسهم بفعالية في تحسين وصياغة استراتيجيات التسويق والتواصل الإنساني، الأمر الذي يعد ضرورياً وحتمياً لضمان استجابة كفؤة وعادلة لمتطلبات النساء كمستهلكات واعين.

تعتبر العوامل الاقتصادية والمادية أيضاً من الجوانب والركائز الأساسية والمباشرة في تحليل وتوقع استهلاك المرأة؛ حيث ترتبط قدرة المرأة الشرائية والإنفاقية بشكل بنيوي بمستوياتها التعليمية، حجم دخلها المستقل، وطبيعة مهنتها ووظيفتها. تمثل هذه المحددات المادية الهيكل والاطار العام الذي يُحدد الإمكانيات والحدود المالية التي تجعل النساء قادرات على اتخاذ قرارات استهلاكية فعالة ومؤثرة في السوق. فعلى سبيل المثال، تشير الدراسات الاجتماعية والاقتصادية المتخصصة إلى أن اكتساب المرأة للتعليم العالي والتقدم الأكاديمي يعزز بشكل ملحوظ ومباشر من وعيها بالخيارات المتاحة أمامها في السوق، مما يؤدي بالتبعية إلى زيادة قدرتها على اتخاذ قرارات شرائية مستنيرة، عقلانية، ومدروسة بشأن المنتجات والخدمات المعروضة بعيداً عن التضليل. وتتناول الأدبيات السلوكية كيف تؤثر هذه العوامل الهيكلية والتعليمية على تشكيل وتوجيه تصورات النساء لمستقبلهن المهني والشخصي والمسارات التي يسيرن فيها، مما ينعكس بدوره وبشكل مباشر على أنماطهن الاستهلاكية وعاداتهن في الإنفاق والادخار. لذلك، يُعتبر تحليل وفحص العوامل الاقتصادية والنفسية معاً وفي إطار متكامل خطوة أساسية ومنهجية لا غنى عنها لفهم أفضل وأعمق لاحتياجات وتوجهات النساء كمستهلكات فاعلات.

بالإضافة إلى ذلك، تلعب العوامل البيئية المحيطة والمحددات الاجتماعية المباشرة دوراً بالغ الأهمية والتأثير في تشكيل وصياغة استهلاك المرأة وتوجهاتها. تشمل هذه العوامل الدائرة الأسرية الضيقة، جماعات الأصدقاء والزملاء، والمجتمع المحلي المحيط؛ حيث تتأثر قرارات الشراء اليومية بعوامل ضاغطة مثل الضغوط الاجتماعية، الرغبة في التوافق الجمعي، ومواكبة المظاهر السائدة. يمكن أن تكون هذه الضغوط الخارجية محفزات وموجهات قوية لتوجهات استهلاكية محددة ونمطية، مما يجعل المرأة تتبع وتتبنى أنماطاً معينة من الشراء والإنفاق للتعبير عن توافقها وانسجامها مع القيم والمظاهر المجتمعية السائدة تجنباً للعزلة أو

النقد. وتؤكد الدراسات المتخصصة في التواصل والثقافة على الأهمية القصوى للتواصل الفعال وفهم الاحتياجات النفسية والسلوكية للنساء ضمن السياقات الثقافية واللغوية والاجتماعية المختلفة والمتنوعة؛ حيث يمكن أن يساهم هذا الفهم العميق في توفير سلع وخدمات موجهة تلبي احتياجاتهن الحقيقية والواقعية بشكل أكثر دقة، احتراماً، وعدالة. لذا، فإن دراسة تأثير هذه العوامل المتداخلة تعتبر ضرورية وفريضة علمية لفهم الديناميكيات المعقدة والتشابكات التي تحكم وتوجه سلوك الاستهلاك النسائي المعاصر.

وتشكل المحفزات العاطفية والانفعالية، في هذا الصدد، إحدى أهم وأقوى العوامل المؤثرة بشكل حاسم وكبير على قرارات الشراء لدى النساء؛ حيث تعكس هذه العوامل التأثيرات النفسية والاجتماعية العميقة التي تلعب دوراً ريادياً ورئيسياً في تشكيل وبناء سلوك المستهلك الحديث. يشعر العديد من النساء بالاندفاع القوي واللحظي لشراء أو اقتناء منتجات معينة بناءً على حالات ومشاعر عاطفية مؤقتة أو مستدامة مثل مشاعر السعادة والبهجة، أو مشاعر الحزن والإحباط، أو حتى مشاعر القلق والتوتر والغضب. يُظهر البحث العلمي السلوكي أن التأثيرات العاطفية والانفعالات النفسية غالباً ما تسبق وتوجه القرارات الشرائية الفعلية، مما يشير بوضوح إلى أن النساء يمكن أن يتعرضن وبشكل مكثف للتأثيرات الإعلانية والحملات الدعائية الذكية التي تستهدف إثارة ومخاطبة مشاعرهن وعواطفهن بشكل خاص وممنهج. في المجمل، تُعتبر المحفزات العاطفية قناة بالغة الفعالية والتأثير للتواصل مع هذه الفئة الشرائية؛ كونها تجذب انتباههن العفوي وتؤدي في نهاية المطاف إلى اتخاذ قرارات شراء قد تكون غير منطقية أو غير عقلانية إذا ما قورنت بالمعايير والنظريات الاقتصادية الصارمة والقائمة على حسابات المنفعة والتكلفة المادية المحضة.

علاوة على ذلك، تتشكل وتتطور المحفزات العاطفية أيضاً من خلال التجارب الاجتماعية والمواقف الثقافية والتربوية المحيطة بالنساء في مجتمعاتهن. يتضح للباحثين أن العديد من الحملات التسويقية الناجحة تعتمد

بشكل أساسي على تقديم رسائل مفعمة بقيم الرعاية، التعاطف، والتضامن الإنساني، مما يجعل النساء يشعرن بارتباط واتصال عاطفي وقيمي وثيق مع العلامة التجارية والشركة المصنعة. يمكن أن يؤدي هذا الارتباط الوجداني إلى تعزيز التوجه المستدام نحو شراء واقتناء تلك المنتجات، حيث تُعتبر التجربة العاطفية والانفعالية جزءاً لا يتجزأ وعنصراً حاسماً من رحلة التسوق والإنفاق بأكملها. وتفهم دوافع المستهلكين وتأثيرات المحفزات العاطفية يساعد العلامات التجارية والشركات على إنشاء وصياغة استراتيجيات إنتاجية وتسويقية أكثر فاعلية، إنسانية، ومصداقية تستهدف الفئات المختلفة من النساء، وبالتالي تعزز من ولائهن الحقيقي وثقتهن المستدامة في العلامة التجارية. كما أن الاستجابات العاطفية المتراكمة تسهم بفعالية في تشكيل وصيانة علاقات المرأة طويلة المدى بالعلامات التجارية؛ حيث يُظهر تحليل تجارب الشراء الفعلي أن النساء يتفاعلن ويخلصن بشكل أكبر وأعمق للعلامات والشركات التي تتلاءم وتتناغم مع مشاعرهن وقيمهن الإنسانية مقارنة بتلك الشركات التقليدية التي تركز فقط على الخصائص المادية والتقنية المحضة للمنتج. من هنا، يصبح من الأهمية بمكان تحليل وفحص كيفية استخدام الشركات الرأسمالية لهذه المحفزات العاطفية لتعزيز تجربتهن الشرائية، مما يؤدي إلى إحداث تأثيرات وتغيرات بارزة ومستمرة على بنية ووظيفة الأسواق المعاصرة. ويُمكن أن يكون للأبحاث العلمية المتعلقة بالقرارات الشرائية في السياقات والمواقف المختلفة تأثيرات عميقة ومحورية على استدامة ونجاح العلامات التجارية، وذلك إذا ما استُخدمت عواطف ومشاعر المستهلك بطريقة استراتيجية، مسؤولة، وأخلاقية تحترم إنسانية المستهلك وتلبي تطلعاته الحقيقية. ويُعتبر الفهم العميق والنزيه لهذه العلاقات والروابط السيكولوجية محلياً وعالمياً حركياً ومحورياً في تشكيل السياسات التسويقية والإنتاجية والشراكات التنموية المستقبلية في عالم الاقتصاد والأعمال.

ثامناً: الهوية الاجتماعية وصورة الجسد كمحددات للاستهلاك

تتجاوز الهوية الاجتماعية حدود التعريفات السطحية والقوالب الجامدة، إذ يتم تشكيلها وصياغتها وتعديلها باستمرار من خلال التفاعلات اليومية المعقدة للأفراد مع بيئاتهم الثقافية، الاجتماعية، والسياسية المحيطة بهم. وتكتسب هذه الهوية الاجتماعية أهمية قصوى ووزناً استثنائياً في سياق تحليل اختيارات المستهلك وتفضيلاته؛ حيث تؤثر القيم الجماعية والمعايير الثقافية السائدة بشكل مباشر في كيفية وفي توقيت اتخاذ قرارات الشراء والإنفاق. على سبيل المثال لا الحصر، نجد أن النساء، بصفة خاصة وواضحة، يعبرن عن هويتهن الفريدة ومكانهن الطبقي والفكري من خلال ما يشترينه ويقتنينه من سلع وخدمات، وهو السلوك الذي يمكن أن يعكس بدقة رغباتهن العميقة في الانتماء لمجموعة اجتماعية معينة أو الرغبة في التميز والتفرد عن الآخرين. وتتجلّى هذه الرغبات والدوافع الهوياتية بشكل واضح وكثيف في العصر الرقمي من خلال استخدام التكنولوجيا الحديثة والوسائط الرقمية ومنصات التواصل الاجتماعي التي تسهم بقوة في تعزيز وإبراز هذه الهوية الاستهلاكية؛ مما يسّهل للنساء التعبير الحر والعلني عن آرائهن، أفكارهن، واهتماماتهن في فضاءات عامة وافتراضية، وبالتالي تفعيل وتأكيد دورهن ومكانتهن في المجتمع المعاصر.

تشير الأبحاث والدراسات السيكولوجية والسوسيولوجية المتخصصة إلى أن صورة الجسد (Body Image) تلعب دوراً حيوياً، حساساً، وخطيراً في تشكيل وصياغة الهوية الاجتماعية للمرأة وتوجيه سلوكها الاستهلاكي؛ حيث يتعرض غالبية النساء والفتيات لضغوط اجتماعية وإعلامية هائلة ومستمرة تدفعهن بقوة إلى الاستجابة والامتثال لمعايير الجمال والرشاقة السائدة والمروجة عالمياً. هذه الضغوط الخارجية المكثفة تؤثر بدورها وبشكل مباشر على اختياراتهن الاستهلاكية والشرائية؛ حيث يميلن بشكل ملحوظ نحو شراء واستهلاك المنتجات والخدمات (مثل مستحضرات التجميل، أزياء الموضة، برامج الحمية، وعمليات التجميل) التي تعزز من صورتهن الجسدية وتظهرهن في أفضل وأجمل صورة ممكنة ضمن السياقات الاجتماعية والثقافية

المرتبطة بمفاهيم الأنوثة والقبول. يعتبر هذا الأمر والنمط السلوكي مدعاة للقلق الأكاديمي والاجتماعي الكبير؛ حيث يعكس بوضوح حجم التحديات النفسية والصراعات المريرة التي تواجهها النساء في مساعيهن اليومية للتمتع بالقبول الاجتماعي وتجنب النقد أو التنمر. ويبين البحث العلمي النقدي أن القيم والمعايير المرتبطة بالأنوثة في المجتمعات الرأسمالية تمثل إشكالية كبرى تعيق في كثير من الأحيان تحقيق المساواة والتمكين الحقيقي، ويتم تعزيز وتكريس هذه الإشكالية بشكل مستمر عبر النماذج التسويقية والحملات الإعلانية التي تروج لجماليات معينة ومصطنعة وغير واقعية بهدف تحقيق الأرباح المادية على حساب الاستقرار النفسي للمستهلكات.

وتتداخل الهوية الاجتماعية مع الوضع الاقتصادي والمكانة الطبقية بشكل معقد ومتشابك؛ حيث تُظهر الاختيارات الاستهلاكية الكبيرة والفاخرة مدى تأثير الطبقة الاجتماعية والاقتصادية على خيارات الأفراد وتوجهاتهم. فالنساء، ناهيك عن التحديات والصراعات النفسية التي يواجهنها بسبب المعايير والضغوط الاجتماعية، يتعاملن أيضاً وبشكل يومي مع القيود الاقتصادية والمحددات المالية الصارمة التي تحد من خياراتهن وتفرض عليهن أولويات معينة. وتتجلى هذه الديناميكيات المشتركة بوضوح في كيفية تقدير وتقييم المنتجات والخدمات من قبل المستهلكات؛ فكلما ارتفع مستوى التعليم الأكاديمي وحجم الدخل المادي المستقل للمرأة، زادت بشكل ملحوظ احتمالية اتخاذ قرارات استهلاكية مدروسة، عقلانية، ومستقلة تعكس قيماً أكثر تحرراً واستقلالية ووعياً بألاعيب السوق. لذا، يتوجب على الباحثين والمخططين الاقتصاديين فهم هذه الجوانب والأبعاد المختلفة للهوية الاجتماعية واختيارات المستهلك بشكل شامل ومتكامل، مما يساعد بفعالية على تفسير، توقع، وتقويم الأنماط السلوكية الراهنة في أسواقنا المعاصرة.

تاسعاً: سلطة الإعلان وصناعة الوعي الاستهلاكي مشوه الصورة

تُعَدّ الإعلانات والحملات الدعائية جزءاً أساسياً، هيكلياً، ونافذاً من البيئة الاقتصادية والثقافية المعاصرة التي تؤثر بشكل طاغٍ وحاسم على قرارات المستهلكين وتوجهاتهم، وخصوصاً فئة النساء اللاتي يتم تكييف، هندسة، وصياغة إدراكهن ورغباتهن النفسية والمادية بناءً على الرسائل والرموز الممنهجة التي تصل إليهن عبر وسائل الإعلام التقليدية والرقمية المختلفة. فمن خلال تصوير وترويج معايير محددة وصارمة للجمال، الأناقة، والفخامة، تسهم الإعلانات التجارية بفعالية في تشكيل وصناعة الصورة الذاتية لدى النساء والفتيات، مما يجعلهن أكثر عرضة وتأثراً لتبني وتقديس معايير غير واقعية ومصطنعة تتعلق بالجمال والموضة والكمال الشكلي. وتظهر الدراسات النفسية المسحية والتحليلية أن النساء يصبحن أكثر قلقاً، توتراً، وعدم رضا بشأن مظهرهن الخارجي وأجسادهن بعد التفاعل المستمر أو التعرض المكثف لوسائل الإعلام والإعلانات التجارية، مما يبرز بوضوح حجم التأثير النفسي والسلوكي السلبي للإعلانات الموجهة. إن هذا التأثير السيكولوجي العميق يمتد ليشمل كافة السلوكيات الاستهلاكية اليومية؛ حيث تفضل النساء وتندفع نحو شراء المنتجات والخدمات التي تعدهن، زيفاً أو حقيقة، بتعزيز وتعديل صورتهن الذاتية المشوهة أو الناقصة في نظرهن، ما يخلق بالتبعية حلقة مفرغة ولا تنتهي من الاستهلاك المستمر والانخفاض المتوالي في مستويات الرضا عن الذات والتقدير الشخصي.

وفي سياق حركة الاستهلاك التاريخية والمعاصرة، يُعَدّ وعي المستهلك بالمنتجات والخدمات المتاحة وخيارات السوق مستمداً ومصنوعاً بشكل كبير وأساسي من قِبل الإعلانات والآلات الدعائية الكبرى التي تسعى بكل قوتها للتأثير المباشر على عواطف ومشاعر المستهلكين وتوجيه رغباتهم. وتشير الأدبيات التاريخية والاقتصادية إلى أن الحملات الدعائية المنظمة، خاصة في فترة الطفرة الاقتصادية التي تلت الحرب العالمية الثانية، قد ساهمت بشكل غير مسبوق في تطور وتضخيم مفهوم النزعة الاستهلاكية (Consumerism)

وتحويله إلى نمط حياة وثقافة عامة تسيطر على المجتمعات. لقد أصبحت الشركات الرأسمالية والعلامات التجارية الكبرى اليوم تعتمد وتوظف رسائل إعلانية قوية ومؤثرة تعكس وتستغل القيم والمثل والأحلام الاجتماعية، مما يعزز بقوة من رغبة النساء في محاولة كونهن جزءاً حيوياً من هذه الصورة الاجتماعية المثالية والراقية المروجة. ومن خلال استجابة المستهلكين وتنامي وعيهم بمخاطر التلاعب، تكتسب المنظمات والجمعيات المعنية بحقوق المستهلك وحمايته أهمية متزايدة ودوراً رقابياً حيوياً، حيث تحقق مكاسب ملموسة من الزيادة في الوعي المجتمعي بأهمية تبني أنماط الاستهلاك المستدام والواعي والمسؤول في مواجهة الضغوط الإعلانية والاجتماعية المتزايدة.

علاوة على ذلك، تتضح العلاقة الشرطية والخطيرة بين صورة الجسد المتخيلة والرسائل الإعلانية بشكل جلي وحاسم عند دراسة التأثيرات النفسية والسلوكية على الفتيات الشابات والنساء في مقتبل العمر. فمع تزايد الضغوط المجتمعية والإعلامية عليهن ليصبحن مثاليات جسدياً وشكلياً وفقاً لمعايير الموضة، تصبح الإعلانات الأداة الأولى والأخطر لتشكيل، توجيه، وتشويه هذا الإدراك الذاتي. أظهرت الأبحاث النفسية والتجريبية أن النساء اللاتي تعرضن بشكل مستمر لرسائل دعائية وإعلانية تبني وتروج لأفكار معينة ومحددة حول الجمال والشكل يواجهن صعوبات وتحديات نفسية متزايدة في التحكم في صورة أجسادهن والحفاظ على قيمتهن الذاتية واستقرارهن العاطفي بعيداً عن الاكتئاب أو اضطرابات السلوك. إن هذا الربط التعسفي والميكانيكي بين القيم الجمالية الشكلية وحقوق المرأة وتمكينها يسهم بقوة في استمرارية وتكريس المفاهيم التقليدية والنمطية لدورها ومكانتها في المجتمع، الأمر الذي يتطلب من الباحثين والمصلحين الاجتماعيين ضرورة النظر النقدي والعميق في كيفية تفكيك وتكوين هذه الرسائل الإعلانية وتأثيراتها العميقة على الإدراك النسوي الإنساني. لذا، فإن دور الإعلان وصناعته لا يقتصر فقط على الترويج التجاري السطحي للمنتجات

والخدمات بهدف البيع، بل يمتد بعمق وخطورة ليشمل تشكيل، صياغة، وهندسة العقليات والمنظومات الاجتماعية والثقافية عميقة الجذور في المجتمعات البشرية.

عاشراً: الأثر الاقتصادي الكلي والجزئي لاستهلاك المرأة

تُعتبر المرأة اليوم عنصراً أساسياً، محورياً، ورائداً في مشهد الاستهلاك الحديث والمعاصر، حيث تلعب دوراً بالغ الأهمية والتأثير في تشكيل وصياغة الأنماط الاقتصادية والاجتماعية والإنتاجية محلياً وعالمياً. تشير الأبحاث والدراسات الاقتصادية الكلية إلى أن استهلاك النساء يمكن أن يُشكل، بل ويشكل بالفعل، قوة دافعة ومحركاً أساسياً للتغيير والنمو الاقتصادي؛ إذ يسهم بفعالية في رفع مستويات الطلب الكلي الفعال على مختلف السلع والخدمات في الأسواق. فمع تزايد مشاركة النساء الكثيفة والمستمرة في القوة العاملة العالمية وتحقيقهن لمستويات عالية ومتنامية من الدخل المستقل، زادت وتطورت طموحاتهن وتفضيلاتهن الاستهلاكية والشرائية، مما ينعكس بشكل إيجابي ومباشر على وتيرة النشاط الاقتصادي، معدلات الإنتاج، وحركة الأسواق ككل. وتكتسب هذه الظاهرة الاقتصادية السلوكية أهمية أكاديمية وتطبيقية بالغة؛ لأنها تعكس جوانب وأبعاداً أعمق من الهوية الفردية والجماعية للمرأة في المجتمع الحديث، مما يعزز بقوة من قدرة النساء على تحقيق الاستقلالية المالية الكاملة وتأكيد مكانتهن الريادية في الساحة الاقتصادية والاجتماعية. وبالتالي، فإن استهلاك المرأة ليس مجرد عملية شراء ميكانيكية أو ممارسة يومية عادية، بل هو تعبير فصيح وعملي عن خيارات قوية ومؤثرة تؤثر في البنية الاقتصادية والإنتاجية بصورة عميقة ومستدامة.

كما يلعب استهلاك المرأة دوراً متزايد الأهمية والخطورة فيما يتعلق بقضايا وقوانين الفوارق الاقتصادية والطبقية في المجتمعات؛ حيث ترى وتؤكد العديد من الدراسات الاقتصادية وجود ارتباط شرطي ووثيق بين

معدلات عدم المساواة في توزيع الدخل وزيادة الاهتمام والطلب على العلامات التجارية والسلع ذات الوضع الاجتماعي المتميز والفاخر (Conspicuous Consumption). ووفقاً للتحليلات الإحصائية وبيانات الأسواق، فإن الأشخاص والنساء على وجه الخصوص في البلدان والمجتمعات ذات مستويات عدم المساواة العالية يميلون بقوة وبشكل تعويضي إلى البحث عن واقتناء العلامات التجارية العالمية الفاخرة التي تعكس المظهر والوضع الاجتماعي المتميز والرفيع (مثل برادا، لويس فويتون، وشانيل)، مما يعكس بوضوح حجم وتأثير العوامل النفسية والسيكولوجية العميقة على سلوك وتفضيلات المستهلك في ظل الضغوط الطبقية. هذا الاتجاه السلوكي المتنامي يُظهر بكفاءة كيف تتمتع النساء بالقدرة والمرونة على تحديد وترتيب أولويات إنفاقهن المالي بناءً على السياق الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي يُحيط بهن ويضغط عليهن، مما يمنح استهلاكهن طابعاً مركزياً واستراتيجياً في توجيه وديناميكيات السوق العالمية. لذلك، من المهم والمحوري لعلماء الاقتصاد والأعمال فهم كيفية تفاعل هذه العوامل المتعددة وتأثيراتها المتبادلة على العلاقة البنيوية بين النساء والمنظومة الاقتصادية الشاملة.

علاوة على ذلك، فإن التغيرات الجذرية والتحولات الفكرية التي طرأت على تصورات وتمثلات المجتمع تجاه استهلاك النساء قد ساهمت بفعالية في شرعنه وتأكيد أدوارهن الاقتصادية والقيادية في العالم المعاصر. ففي السنوات الأخيرة والعقود الماضية، أنشأت وطورت الحركات الاستهلاكية والاجتماعية التي تقودها وتديرها النساء بُنىً جماعية ومؤسساتية منظمة وقوية للضغط الفعال من أجل تغيير السياسات والتشريعات القائمة التي تؤثر في تمثيلهن وحقوقهن الاستهلاكية في الأسواق، مما يبرز بوضوح الأهمية القصوى للتنظيم الجماعي والعمل المؤسسي النسائي في دفع ومراعاة مصالح المرأة وحمايتها. فقد قامت منظمات واتحادات نسائية رائدة بدور تاريخي ومستمر في زيادة الوعي المجتمعي والنسائي حول القضايا القانونية، التشريعية،

والاجتماعية التي تؤثر على المرأة كمستهلكة فاعلة، مما يدل قاطعاً على أن استهلاك المرأة يمكن أن يتحول من مجرد ممارسة اقتصادية سلبية إلى أداة قوية، نافذة، ومنظمة للنضال السلمي من أجل تحقيق حقوق المرأة وحمايتها من الاستغلال. إن التأثير الاقتصادي والاجتماعي الشامل لاستهلاك المرأة يتجاوز الأبعاد الفردية الضيقة ليتفرع ويمتد إلى حركات اجتماعية وسياسية أوسع تسعى جاهدة إلى تحقيق التغيير الإيجابي والبنيوي في البنى الاقتصادية والاجتماعية والتشريعية المحيطة بهن، مما يُعد انعكاساً صادقاً لوعي أكبر وأعمق بالقضايا النسوية والإنسانية المستدامة في العصر الحديث.

حادي عشر: دور الوعي بالاستهلاك المستدام والتمكين الذكي للمرأة

تشكل مساهمة المرأة الفعالة والريادية في الاقتصاد العالمي والنشاط الإنتاجي عاملاً حاسماً، استراتيجياً، ولا غنى عنه لتطور المجتمعات الإنسانية، تحقيق التنمية المستدامة، وتحسين مستويات المعيشة والرفاهية العامة. فقد أثبتت الدراسات الاقتصادية والإحصائية المقارنة أن إدماج النساء الكامل والمنصف في سوق العمل والوظائف يسهم بشكل كبير ومباشر في زيادة مستويات الإنتاجية الكلية، تحفيز الابتكار، ودفع عجلة النمو الاقتصادي المستدام للأمم. فبفضل الدور الفعال والحيوي الذي تلعبه النساء اليوم في مختلف القطاعات والمجالات الاستراتيجية مثل قطاعات التجارة والأعمال، والرعاية الصحية، والتعليم والبحث العلمي، أظهرت الأبحاث أن تنظيم ودعم العمالة النسائية لا يساعد فقط في تنشيط وتحفيز الدورة الاقتصادية الكلية، بل يعزز ويطور أيضاً الوعي الاستهلاكي والمسؤولية الاجتماعية للمجتمعات. وعلى وجه الخصوص والتحديد، يُحسب للجماعات والمنظمات النسائية المنظمة والواعية دورها التاريخي والريادي في رفع مستويات الوعي المعرفي والقانوني لدى النساء حول حقوقهن وواجباتهن كمستهلكات فاعلات، مما يعكس الأهمية القصوى للصوت النسائي المستقل والمنظم في الأسواق المعاصرة.

وتتجاوز مساهمة المرأة في المنظومة الاقتصادية الأبعاد المالية والإنتاجية الصرفة، لتتضمن وتشمل أبعاداً نفسية، اجتماعية، وإنسانية عميقة تعزز وتطور من نوعية وجودة الحياة ككل. إن النساء في دورهن الاستهلاكي والشرائي اليومي يمثلن قوة دافعة وملهمة للأعمال التجارية والابتكارات التسويقية والإنتاجية؛ حيث يركزن ويوجهن إنفاقهن نحو المنتجات والخدمات التي تلبي وتضمن الرفاهية والسلامة الصحية والتعليمية لأسرهن وللمجتمعات المحيطة بهن. وتتعزز هذه الظاهرة الإيجابية بشكل خاص وملحوظ في العصر الحالي من خلال تحسن ونمو الوعي الجمعي بأهمية الاستدامة البيئية، السلامة الصحية، ومقاومة التغير المناخي، وهو التوجه الأخلاقي الذي يتناغم ويتماشى بدقة مع تطلعات ومبادئ الحركة النسوية والبيئية الحديثة التي تنظر إلى القضايا والانتهاكات البيئية كجزء لا يتجزأ من معركة مكافحة الظلم الاجتماعي والطبقي وتحقيق العدالة الإنسانية الشاملة. إن هذه الجهود الواعية والمنظمة لا تؤدي فقط إلى تحسين الظروف الاقتصادية والمعيشية للنساء والفتيات، بل تساهم بفعالية وعمق في صياغة وتشجيع ثقافة استهلاكية جديدة، واعية، ومسؤولة تسعى بكل قوة لتحقيق العدالة، التوازن، وحماية الكوكب للأجيال القادمة. وفي سياق عالمي معقد يتطلب تكاتف كافة الجهود الإنسانية لمواجهة التحديات الاقتصادية والبيئية والاجتماعية المتفاقمة، تبرز وتتأكد الأهمية الاستراتيجية لدور المرأة في قيادة وتوجيه هذه التحولات البنيوية نحو عالم أكثر وعياً، عدلاً، واستدامة.

الخلاصة والتوصيات الاستراتيجية

تأسيساً على ما تقدم من تحليل مركب، يمكن صياغة التوصيات والمخرجات التطبيقية كخارطة طريق لتعزيز التمكين الذكي والمستدام:

1. **تطوير سياسات حماية مستهلك متخصصة سيكولوجياً:** يجب على المشرّعين والمنظمات الحقوقية وضع أطر قانونية تمنع الإعلانات التجارية من استخدام التكتيكات النفسية الاستغلالية التي تتلاعب بصورة الجسد لتقليل الرضا الذاتي بغرض الدفع للاستهلاك.
2. **إدماج التربية الاستهلاكية الواعية في المناهج التعليمية:** تعزيز الوعي المالي والسلوكي لدى الفتيات في سن مبكرة لفصل تقدير الذات الإنسانية عن مظاهر الاقتناء المادي الفاخر ومعايير الجمال المصطنعة.
3. **دعم وتمويل مبادرات الاستهلاك الأخضر والنسوية البيئية:** تشجيع الاستثمارات والمشاريع التي تقودها النساء والتي تركز على المنتجات الأخلاقية والمستدامة، تماشياً مع التحول العالمي نحو العدالة البيئية.
4. **تكييف استراتيجيات الأعمال مع قيم التمكين الحقيقي:** يتعين على الشركات الرأسمالية المعاصرة الانتقال من التسويق النمطي القائم على تسليع الأنوثة إلى التسويق القائم على دعم الكفاءة الذاتية والاستقلال المالي للمرأة كشريحة استراتيجية مستدامة.

References:

- Adapa, Sujana, Alsubaie, Haya Nasser M, Rindfleish, Jennifer M, Valenzuela-Abaca, et al., Cultural changes and the impact of social influences in Saudi women's purchasing behaviour, 2018, Accessed at: https://core.ac.uk/download/576897166.pdf
- Alexandra Geertz, Francesca Mazzola, Kyle Peterson, Lakshmi Iyer, Perri Kasen, An Opportunity to Address Menstrual Health and Gender Equity, FSG Communications Ltd, 2016, Accessed at: https://core.ac.uk/download/75785767.pdf
- Berkhout, Boyle, Burgess, Church, Daly, Dobson, Douthwaite, et al., Community action for sustainable housing: Building a low-carbon future, 'Elsevier BV', 2009, Accessed at: https://core.ac.uk/download/2768930.pdf
- Borell, Suaree, Gregory, Mandi, Kaiwai, Hector, McCreanor, et al., Consuming identities: alcohol marketing and the commodification of youth experience, 'Informa UK Limited', 2005, Accessed at: https://core.ac.uk/download/148636718.pdf
- Brown, G. D. A. (Gordon D. A.), Walasek, Lukasz, Income inequality, income, and internet searches for status goods : a cross-national study of the association between inequality and well-being, 'Springer Science and Business Media LLC', 2016, Accessed at: https://core.ac.uk/download/84590718.pdf
- Burt, Olivia Jane, Rezvani, Leila Elliot, Wiggin, Claire Snowden, “Envisioning a Just Food System” A Students Teaching Students Course, UVM ScholarWorks, 2016, Accessed at: https://core.ac.uk/download/51067863.pdf

- Durvasula, Srinivas, Lysonski, Steven, Watson, John, Should Marketing Managers Be Concerned about Attitudes towards Marketing and Consumerism in New Zealand: A Longitudinal View, e-Publications@Marquette, 2003, Accessed at: https://core.ac.uk/download/67756089.pdf
- Gnong, Andrea, Leavy, Patricia, Ross, Lauren Sardi, Femininity, Masculinity, and Body Image Issues among College-Age Women: An In-Depth and Written Interview Study of the Mind-Body Dichotomy, NSUWorks, 2009, Accessed at: https://core.ac.uk/download/51086825.pdf
- Goswami, Saheli, Kang, Ji Hye, Leger, Rosemary, Strübel, et al., Improving Society and the Planet: Sustainability and Fashion Post-Pandemic, DigitalCommons@URI, 2023, Accessed at: https://core.ac.uk/download/586084864.pdf
- Hyytia, Nina, Kola, Jukka, Finnish Citizens' Attitudes towards Multifunctional Agriculture, 2025, Accessed at: https://core.ac.uk/download/pdf/7035058.pdf
- Isenhour, Cindy, BUILDING SUSTAINABLE SOCIETIES: EXPLORING SUSTAINABILITY POLICY AND PRACTICE IN THE AGE OF HIGH CONSUMPTION, Unknowledge, 2010, Accessed at: https://core.ac.uk/download/232558391.pdf
- Jiaxin Ding, Research on driving factors and influencing mechanism of consumer behavior in fashion management, Economics & Business Management, 2025, Accessed at: https://www.semanticscholar.org/paper/7f6c1ae04f063a8663c7ed0af416c232995fd1af

- Kristensen, Håvard Sandland, Langedal, Marit Garli, The why, what, and how of Brand Boycott, 'University of Agder', 2024, Accessed at: https://core.ac.uk/download/616581058.pdf
- Lewis, Desiree, Tigist, Shewarega Hussen, van Vuuren, Monique, Exploring new media technologies among young South African women, African Gender Institute, University of Cape Town, 2013, Accessed at: https://core.ac.uk/download/62634951.pdf
- Malone, Linda A, Environmental Justice Reimagined Through Human Security and Post-Modern Ecological Feminism: A Neglected Perspective on Climate Change, William & Mary Law School Scholarship Repository, 2015, Accessed at: https://core.ac.uk/download/144230824.pdf
- Naicker, Melisha., The influence of marketing media on tweens propensity to consume electronic goods., 2017, Accessed at: https://core.ac.uk/download/286605224.pdf
- Nath, Giselle, Giving consumers a political voice : organized consumerism and the Belgian Welfare State, 1957-1981, 'Uopen Journals', 2017, Accessed at: https://core.ac.uk/download/91392708.pdf
- Nurmalia (Editor), D, Padmasari (Editor), S, Rokhana (Editor), N, Utami (Editor), et al., Proceeding: 3rd Java International Nursing Conference 2015 “Harmony of Caring and Healing Inquiry for Holistic Nursing Practice; Enhancing Quality of Care”, Semarang, 20-21 August 2015, 2015, Accessed at: https://core.ac.uk/download/76930906.pdf

- Osland, Gregory E., Origins and Development of the Product Life Cycle Concept, Digital Commons @ Butler University, 1991, Accessed at: https://core.ac.uk/download/62433731.pdf
- Patel, Juniper, Painting the Leaky Pipeline Pink: Girl Branded Media and the Promotion of STEM, ScholarWorks@UARK, 2019, Accessed at: https://core.ac.uk/download/215464367.pdf
- Qiurui Peng, Empowering Women in Consumerism: Insights on Consumption Behavior and Motivations in the Age of Online Media, Journal of Education, Humanities and Social Sciences EMSS 2023, Volume(Volume 23), 927-929, 2023, 927-929. Accessed at: https://pdfs.semanticscholar.org/2852/4600922e92f6836400287b4ed2eef53a7e8c.pdf
- Read, Julia, Overcoming barriers to ethical clothing consumption: a conjoint analysis approach, University of Canterbury, 2017, Accessed at: https://core.ac.uk/download/212405847.pdf
- Ruyin Long, Hong Chen, Xiuping Li, Psychological and Behavioral Decision Making of Green Consumption, Frontiers Media SA, 2022-11-11, Accessed at: http://books.google.com/books?id=fYibEAAAQBAJ&dq=Impact+of+feminism+on+consumer+behavior:+psychological+and+economic+aspects+of+womens+consumerism&hl=&source=gbs_api
- Sheila Naa Tetteorkor Clottey, Sylvia Asheley Gyampoh, Consumer Buying Behaviour Towards Ghanaian Fashion Products: A Case of Consumers in the Greater Accra Metropolis, Fashion and Textiles Review, 2025, Accessed at:

https://www.semanticscholar.org/paper/4e6da944aa6a0a9e304e18d169197fc3c39259c3

- Silvio M. Brondoni, Market-Driven Management, Competitive Customer Value and Global Network, 2025, Accessed at: https://core.ac.uk/download/pdf/6344877.pdf
- Trentmann, Frank, Beyond consumerism: new historical perspectives on consumption, Sage Journals, 2004, Accessed at: https://core.ac.uk/download/15001.pdf

دور المرأة العراقية في تعزيز الهوية الوطنية في سياق النزاعات وما بعدها

الباحثة: بنين عدنان داود مطلك

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في الدور الاستراتيجي والمحوري الذي تضطلع به المرأة العراقية كفاعل أساسي في صيانة الهوية الوطنية وإعادة إنتاجها في سياق النزاعات المسلحة والاضطرابات الجيوسياسية الممتدة وما بعدها. وتسعى الدراسة عبر منهج تحليلي إلى تفكيك التحولات البنيوية والآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن الحروب، والحصار، والنزوح القسري، مع تسليط الضوء على آليات التكيف الاستثنائية التي ابتكرتها النساء لحماية اللحمة المجتمعية من التحلل والتشظي الطائفي أو العرقي.

كما تستعرض الدراسة إسهامات المرأة في بناء السلم الأهلي عبر مستويات متعددة؛ تبدأ من التنشئة الأسرية الصالحة والمبادرات الإنسانية العابرة للمكونات، وصولاً إلى قيادة الوساطات المحلية، وإدارة لجان الأمن البيئي وموارد المياه في المناطق الريفية والطرفية، فضلاً عن دورها في التعافي الاقتصادي عبر ريادة الأعمال النسائية والمشاريع الناشئة في مرحلة الاستقرار.

وتناقش الدراسة أبرز التحديات الهيكلية التي تعيق هذا الدور؛ وتتمثل في الفجوات التشريعية داخل المنظومة القانونية النافذة، وهيمنة الثقافة الأبوية التقليدية، وضعف التخصيصات المالية للآليات الوطنية المعنية بالمرأة. وتخلص الدراسة إلى ضرورة الانتقال من المقاربات الإغاثية القائمة على الرعاية إلى مقاربات تمكينية تضمن مأسسة حماية المرأة، وتحديث المناهج التعليمية لترسيخ قيم المواطنة، وتعزيز تمكينها الرقمي

والسياسي كشرط أساسي لتحقيق السلام المستدام والتنمية الشاملة وصياغة المستقبل الوطني الشامل في العراق.

الكلمات المفتاحية: المرأة العراقية، الهوية الوطنية، النزاعات.

The Role of Iraqi Women in Promoting National Identity in the Context of Conflicts and Their Aftermath

Researcher: Baneen Adnan Dawoud Mutlak

Abstract:

This study examines the strategic and pivotal role played by Iraqi women as essential actors in preserving and reproducing national identity within the context of protracted armed conflicts and geopolitical unrest, as well as their aftermath. Utilizing an analytical approach, the study seeks to deconstruct the structural transformations and the psychological and social impacts resulting from wars, blockades, and forced displacement. Concurrently, it sheds light on the exceptional coping mechanisms devised by women to protect social cohesion from decay and sectarian or ethnic fragmentation.

Furthermore, the study reviews women's contributions to building civil peace across multiple levels; spanning from sound family upbringing and cross-component humanitarian initiatives to leading local mediations, and managing

environmental security and water resource committees in rural and peripheral areas. This is in addition to their role in economic recovery through women's entrepreneurship and startup projects during the stability phase.

The study also discusses the most prominent structural challenges hindering this role, which manifest in legislative gaps within the current legal framework, the dominance of traditional patriarchal culture, and the weakness of financial allocations dedicated to national mechanisms concerned with women. The study concludes with the necessity of transitioning from relief-based, care-oriented approaches toward empowerment approaches that ensure the institutionalization of women's protection, the modernization of educational curricula to consolidate citizenship values, and the enhancement of their digital and political empowerment as essential prerequisites for achieving sustainable peace, comprehensive development, and shaping an inclusive national future in Iraq.

Keywords: Iraqi Women, National Identity, Conflicts.

المقدمة:

تُمثل الهوية الوطنية المظلة الجامعة التي تتداخل في تشكيلها وتكوينها الأبعاد التاريخية والثقافية والاجتماعية والسياسية لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية. وفي البيئات المأزومة التي تعاني من وطأة النزاعات

المسلحة والاضطرابات السياسية المزمنة، تواجه هذه الهوية أخطار التفتت والتشرذم نتيجة لصعود الولاءات الفرعية الضيقة، سواء أكانت طائفية أم عرقية أم مناطقية.

ويبرز المجتمع العراقي كأحد أهم النماذج التي شهدت مخاضاً عسيراً ومعقداً عبر عقود متتالية من الحروب، والحصار الاقتصادي الطويل، والنزاعات الداخلية العنيفة التي أعادت صياغة العلاقات البينية وهيكلة الروابط المجتمعية. وفي قلب هذه التحولات الجيوسياسية والاجتماعية العميقة، تقف المرأة العراقية فاعلاً أساسياً وركيزة محورية في صيانة الهوية الوطنية وإعادة إنتاجها وتمريرها للأجيال القادمة، ممتصةً الصدمات البنيوية العنيفة ومحولةً إياها إلى استراتيجيات صمود وبقاء.

إن التحديات التي تجابهها المرأة العراقية في هذا المضمار تتسع لتبدأ من التهديدات الأمنية المباشرة المهددة للحياة وتصل إلى عمق الأزمات البنيوية المستدامة، مثل التدهور الاقتصادي الحاد، وغياب الأمن الغذائي، والارتفاع المطرد في معدلات الفقر، مما يضع على عاتقها أعباء وتكاليف مضاعفة تتجاوز حدود العائلة لتشمل إدارة الأزمات المعيشية للمجتمعات المحلية. فالمرأة في مواجهة هذه المعطيات القاسية تضطر إلى ابتكار وتطوير آليات تكيف ومرونة استثنائية للمحافظة على تماسك الأسرة والحي السكني، وهو ما ينعكس بنحوٍ إيجابي ومباشر على استقرار البيئة المجتمعية الكلية وسط تراجع أو غياب شبكات الحماية الاجتماعية الرسمية الموجهة للفئات الأكثر هشاشة وعرضة للمخاطر.

ويتضح من خلال التتبع الميداني أن تدهور مستويات الأمن الغذائي وسوء التغذية الناتج عن الحصار أو العمليات العسكرية يفرض على النساء خوض معارك يومية قاسية لتأمين القوت اليومي، مما يربط ارتباطاً وثيقاً وعضوياً بين دورها الإعاشي البيولوجي ودورها الوطني والاجتماعي في صيانة البقاء البشري وحماية اللحمة المجتمعية من التحلل (عبد الوهاب، 2024).

ورغم هذه الظروف الضاغطة والجسيمة، يتجلى دور المرأة العراقية في ترسيخ أركان الهوية الوطنية عبر مستويات وأطر متعددة؛ تبدأ من التنشئة الاجتماعية الصالحة داخل الأسرة وتمتد لتصل إلى المشاركة الفاعلة في الحركات الوطنية والمبادرات المدنية ومنظمات المجتمع المدني التي تسعى جاهدة إلى رتق النسيج الاجتماعي الذي هتكته سنوات الصراع المسلح. إن هذا الدور المتعاظم يتجاوز الأطر التقليدية المحدودة إلى آفاق أوسع تشمل نشر وبث قيم التسامح والتعايش السلمي المشترك، ورفض خطابات الكراهية والتقسيم الفئوي الضيق. ويظهر دمج النساء في مسارات صنع القرار السياسي، وإعادة بناء البنى التحتية المدنية، ومشاريع المصالحة الوطنية كشرط أساسي ورئيس لتحقيق السلام المستدام والتنمية الشاملة، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال فصل التمكين الاقتصادي والاجتماعي للمرأة عن تعزيز الأمن القومي الشامل واستعادة التوازن المفقود للهوية الوطنية الجامعة (عبد الوهاب، 2024).

إن ديمومة العطاء والجهد النسوي في العراق تتطلب تحولاً جذرياً وشاملاً في المقاربات الرعائية القائمة على النظر إلى المرأة كعنصر مستضعف يحتاج إلى الإغاثة الإنسانية العاجلة فقط، والانتقال نحو مقاربات تمكينية قائمة على الشراكة والمواطنة الكاملة الفاعلة في الحقوق والواجبات. ويستلزم هذا التحول إدخال إصلاحات تشريعية وقانونية واسعة تضمن حماية المرأة من العنف والتمييز، وفتح قنوات حقيقية لتمثيلها السياسي والاقتصادي في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية. إن إسناد المبادرات النسوية محلياً ودولياً يمثل ركيزة استراتيجية للانتقال بالمجتمع من مرحلة النزاع والهشاشة البنيوية إلى مرحلة الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي، مما يجعل من تمكين المرأة ضرورة وطنية عليا تسهم في صياغة مستقبل العراق على أسس متينة من العدالة والمساواة والوحدة التضامنية الشاملة.

المبحث الأول: تأثير النزاعات على أدوار المرأة العراقية وتكوين هويتها

أولاً: التحولات البنيوية في الأدوار الاجتماعية والاقتصادية

أحدثت الحروب والنزاعات المسلحة المتعاقبة في الدولة العراقية هزات عنيفة وبنيوية في التركيبة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، وكان للمرأة النصيب الأوفر والأقسى من التبعات والتأثيرات الناتجة عن هذه الهزات. فقد أدت معدلات الفقد العالية والمرتفعة بين الرجال بسبب العمليات العسكرية المباشرة، والاعتقالات الواسعة، والتغييب القسري، إلى بروز ظاهرة الأسر التي ترأسها نساء بنحوٍ غير مسبوق في التاريخ العراقي المعاصر. هذا التحول البنيوي الحاد فرض على المرأة مغادرة الحيز الخاص المتمثل في المنزل والولوغ بقوة واضطرار إلى الحيز العام بحثاً عن مصادر بديلة للرزق وتأمين لقمة العيش لأسرتها في ظل ظروف اقتصادية بالغة التعقيد والخطورة.

ولم يكن هذا الانتقال من الفضاء الخاص إلى الفضاء العام ترفاً أو خياراً طوعياً نابعاً من رفاهية اجتماعية، بل كان استجابة قسرية حتمية لمتطلبات البقاء البيولوجي والاجتماعي. فقد انخرطت النساء العراقيات في مجالات عمل غير تقليدية كانت في السابق حكراً على الرجال، مثل الأعمال الحرفية الشاقة، وتجارة التجزئة في الأسواق الشعبية المفتوحة، وإدارة المشاريع الصغيرة الهامشية دون وجود رأسمال كافٍ أو حماية قانونية أو تأمينية تسند جهودها. يتداخل هذا التحول الاقتصادي القسري مع إعادة تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي للمرأة؛ إذ إن احتكاكها المباشر واليومي بمؤسسات الدولة المختلفة، والأسواق، والمنظمات الإنسانية الدولية والمحلية أسهم في بلورة فهم جديد وناضج لحقوقها وواجباتها كمواطنة، وربط معاناتها اليومية بالوضع السياسي العام للبلاد، مما جعل هويتها الوطنية تمتزج بتجربة الصمود والمقاومة المعيشية اليومية (السيد ياسر وآخرون، 2025).

ثانياً: الأبعاد النفسية والاجتماعية للنزوح والتهجير القسري

يمثل النزوح والتهجير القسري الناتج عن العمليات العسكرية أحد أقسى مظاهر النزاعات المسلحة، حيث تقتلع العائلات والمجتمعات بأكملها من جذورها الجغرافية والاجتماعية والتاريخية لتُلقى في بيئات جديدة تفتقر إلى الحد الأدنى من مقومات الاستقرار والكرامة الإنسانية. تعاني النساء النازحات من أزمات مركبة ومتشابكة؛ تبدأ بفقدان الأمان الشخصي والخصوصية الجسدية والنفسية داخل مخيمات النزوح المؤقتة، وتمر عبر التعرض لمخاطر شتى من العنف القائم على النوع الاجتماعي، وتصل إلى فقدان شبكات الدعم الاجتماعي التقليدية المتمثلة في العائلة الممتدة، والجيران، والأصدقاء والتي كانت تشكل صمام أمان وحماية في الأوقات الاعتيادية المستقرة.

إن الآثار النفسية المترتبة على هذه الخبرات الصادمة والمؤلمة تتجاوز القلق والاكتئاب اللحظي لتتحول إلى اضطرابات نفسية مزمنة ومعقدة، وفي مقدمتها اضطراب ما بعد الصدمة ($PTSD$). ولا تنبع هذه الاضطرابات والندوب النفسية العميقة من العنف المسلح المباشر ومشاهد الدمار فقط، بل تتغذى وتتفاقم جراء التفكك الحاد للروابط الاجتماعية، وفقدان الدور الاجتماعي التقليدية للمرأة، والشعور المستمر بالمهانة والاتكال التام على المساعدات الإنسانية الشحيحة. إن هذا التحلل السريع في الشبكات الاجتماعية يضعف من قدرة المرأة على التكيف النفسي، مما يجعل دراسة هذه الضغوط وتفكيك آلياتها مدخلاً إلزامياً لتصميم برامج الدعم النفسي والاجتماعي الشاملة التي تهدف إلى إعادة تأهيل النساء وتمكينهن من استعادة دورهن الفاعل في بناء المجتمع وإعادة صياغة هويتهن الوطنية الجامعة (حسام أحمدي وآخرون، 2022).

ثالثاً: المبادرات المجتمعية النسوية كأداة للمقاومة السلمية

في مقابل مظاهر المعاناة الشديدة والاضطهاد المركب، أظهرت المرأة العراقية قدرة فائقة وغير متوقعة على المبادرة والفعل الإيجابي وسط الأزمات الطاحنة. فقد شهدت فترات الصراع العنيف تصاعداً ملحوظاً في العمل التطوعي النسوي والمبادرات المحلية التي قادتها نساء وشابات بهدف تقديم الإغاثة الطارئة، والرعاية الطبية الأولية، والتعليم البديل للأطفال في المناطق المنكوبة أو داخل مخيمات النزوح والتهجير. وتميزت هذه المبادرات الإنسانية بتجاوزها الواعي والعابر لكافة الاصطفافات الطائفية، والعرقية، والمناطقية؛ حيث هبت النساء لمساعدة العائلات المتضررة بناءً على دافع الهوية الإنسانية والوطنية المشتركة.

إن هذا التسامي الأخلاقي فوق الانقسامات المجتمعية الفرعية يمثل تجسيداً عملياً حياً للهوية الوطنية الجامعة في أنقى وأرقى صورها. فالعمل الجماعي النسوي المنظم لم يقتصر على سد الثغرات الإغاثية الكبيرة التي عجزت المؤسسات الحكومية عن تغطيتها نتيجة لضعف إمكاناتها أو غياب أجهزتها، بل أسهم بفعالية في إعادة بناء الثقة المتبادلة بين المكونات الاجتماعية المختلفة، وكسر الصور النمطية السلبية التي غذتها خطابات الحرب والتقسيم السياسي الممنهج. تحول الألم الفردي والجمعي عبر هذه المبادرات الخلاقة إلى طاقة بناءة ومقاومة سلمية واعية ترفض الاستسلام لواقع التشظي الاجتماعي، مما يؤكد مرونة الهوية الوطنية العراقية وقدرتها الاستثنائية على التجدد والانبعاث عن طريق التضامن النسوي الفاعل (السيد ياسر وآخرون، 2025).

المبحث الثاني: مساهمة المرأة العراقية في بناء السلام وتعزيز التماسك المجتمعي

أولاً: الوساطة المحلية وحل النزاعات من منظور حقوق المرأة

تعد مسارات بناء السلام في المجتمعات الخارجة من أتون الصراعات والحروب عمليات بالغة التعقيد والحساسية، وتتطلب مقاربات نوعية تتجاوز الاتفاقيات السياسية الفوقية والمؤتمرات الدبلوماسية المبرمة بين قادة الفصائل أو الأحزاب الحاكمة. وتشكّل النساء في العراق فاعلاً حيوياً ومؤثراً في مجال الوساطة المحلية وحل النزاعات على مستوى القاعدة الشعبية المتمثلة في الأسرة، والعشيرة، والحي السكني. تمتلك المرأة، بحكم موقعها الاجتماعي الفريد وأدوارها الرعائية الممتدة، قدرة عالية على الوصول إلى فضاءات حوارية واجتماعية قد يستعصي على الرجال دخولها أو التأثير فيها في أوقات الاحتقان الأمني والعشائري الحاد.

تسهم النساء بوضوح في فتح قنوات اتصال سرية وعلنية بين العائلات المتنازعة، والعمل الدؤوب على تهدئة النفوس الثائرة، والحد من عمليات الانتقام والاتساع في ظاهرة الثأر العشائري والمناطقي، وذلك عبر تفعيل قيم العفو والتسامح والصلح. إن النظرة النسائية الخالصة لبناء السلام تركز بنحوٍ أساسي على الجوانب الإنسانية، والمعيشية، وترميم العلاقات البينية المتضررة، وهي جوانب جوهرية غالباً ما تُهمل في المفاوضات السياسية الرسمية التي تركز جُل اهتمامها على تقاسم السلطة، والنفوذ، والمكاسب المادية الفئوية (Ide T et al., 2021).

وينسجم هذا التوجه النسوي الإصلاحي مع التوجيهات القرآنية العليا التي تحث على ترسيخ قيم السلم والإصلاح بين الناس، حيث يقول الله سبحانه وتعالى في الآية الأولى من سورة الأنفال:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

ويمثل هذا النص القرآني المرجعية القيمية والأخلاقية العليا التي تستند إليها الجهود النسوية المجتمعية في رتق الصدوع والكسور الاجتماعية وإرساء دعائم السلم الأهلي المتين الذي يحمي الهوية الجامعة من التشظي والتآكل.

ثانياً: التقاطع بين الأمن البيئي، والنوع الاجتماعي، وبناء السلام

شهد العراق في العقود الأخيرة تدهوراً بيئياً خطيراً ومتسارعاً تمثل في اتساع ظاهرة الجفاف، وزحف التصحر، وتراجع حاد في مناسيب المياه المتدفقة في نهري دجلة والفرات، فضلاً عن انحسار المساحات الزراعية الخصبة، وهي أزمات وجودية تفاقمت وتعمقت بفعل الحروب المتتالية والإهمال البنيوي الطويل للموارد الطبيعية. ترتبط هذه التحديات البيئية ارتباطاً وثيقاً وعضوياً بالنزاعات المسلحة؛ إذ يؤدي شح الموارد الطبيعية الحيوية إلى اندلاع نزاعات عشائرية ومحلية مسلحة حول مصادر المياه الصالحة للشرب والسقي والأراضي الزراعية، مما يهدد بنحوٍ مباشر الاستقرار المجتمعي الهش والهوية الوطنية الشاملة.

وتتأثر النساء والفتيات بنحوٍ مباشر ومضاعف بهذه الأزمات البيئية المعقدة، وخصوصاً في البيئات الريفية والمناطق الطرفية النائية، حيث تقع على عاتقهن المسؤولية اليومية الشاقة المتمثلة في جلب المياه النظيفة، وتأمين الوقود الحيوي للطبخ والتدفئة، وإدارة الإنتاج الزراعي والحيواني المنزلي الهامشي. ومن هذا المنطلق البنيوي، برزت مشاركة النساء في برامج الأمن البيئي وإدارة الموارد الطبيعية كعنصر حاسم ومغير لقواعد اللعبة في بناء السلام المستدام. تسهم المبادرات النسائية البيئية المتنوعة، مثل مشاريع ترشيد استهلاك المياه العذبة، وإعادة تدوير النفايات المنزلية، والتحول نحو الزراعة المستدامة النظيفة، في تخفيف حدة التنافس والنزاع على الموارد الطبيعية وخلق أرضية مشتركة ومتينة للتعاون التكافلي بين المجتمعات المحلية المتجاورة والمختلفة انتمائياً.

ويمكن تلخيص مصفوفة التفاعل البيئي والاجتماعي لأدوار المرأة عبر الجدول الآتي:

التحدي البيئي	الأثر المباشر على واقع المرأة	الدور الإيجابي في تحقيق السلم البيئي والمجتمعي
جفاف الأنهر وشح مياه الشرب	زيادة مشقة الحياة اليومية؛ الاضطرار لقطع مسافات طويلة وخطيرة لجلب المياه.	قيادة وإدارة لجان المياه المحلية الشعبية، وترشيد الاستهلاك العائلي لمنع النزاع حول الحصص المائية.
تصحر الأراضي الزراعية	فقدان المرأة لمصدر دخلها وعملها الزراعي التقليدي، وهجرة اليد العاملة.	ابتكار مشاريع الزراعة المنزلية المحمية والمستدامة لتأمين الغذاء ذاتياً للأسرة والجوار.
التلوث بالمخلفات العسكرية وحقول الألغام	أخطار صحية بالغة، تشوه أجنة، وإصابات بالأمراض المزمنة في المناطق المنكوبة.	قيادة حملات التوعية البيئية والصحية، وتدريب المجتمع على سبل الوقاية والسلامة لتعزيز روح التكافؤ.

(المصدر: تم تطوير الجدول بناءً على معطيات ومؤشرات: Richard C Black et al., 2022).

ثالثاً: دمج مقاربات النوع الاجتماعي في السياسات والبرامج الوطنية

إن تحقيق مشاركة فاعلة، حقيقية ومستدامة للمرأة العراقية في مسارات بناء السلام يتطلب حتماً الانتقال السريع من فضاء العمل العفوي التطوعي الفردي إلى فضاء العمل المؤسسي المنظم والمسنود بتبني مقاربات واضحة ومحددة في صلب السياسات العامة والتشريعات الوطنية للدولة. ويشمل ذلك بالضرورة تفعيل وتنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1325 الخاص بالمرأة والأمن والسلام، وتضمين بنوده ومحاوره الأساسية في كافة الخطوط الاستراتيجية والأمنية للحكومة العراقية، وعدم الاكتفاء بالشعارات الإعلامية الجوفاء. إن التركيز على تعزيز دور النساء في المفاوضات الرسمية العليا، وتوليهن مناصب قيادية وتنفيذية حقيقية في الوزارات السيادية والأجهزة الأمنية المعنية، يمثل ركيزة استراتيجية لضمان صياغة اتفاقيات سلام شاملة ومستدامة تعبر عن مصالح المجتمع بأكمله (Ide T et al., 2021).

ويعد التعليم وتطوير المهارات وبناء القدرات المؤسسية الأداة الأساسية والرافعة الحقيقية لتمكين النساء وتأهيلهن للمشاركة الكفوءة والندية في هذه المسارات المعقدة. فالاستثمار الذكي والمستدام في تعليم الفتيات ومنع تسربهن من المدارس، وتدريب النساء القياديات على مهارات التفاوض المتقدم، والوساطة الدولية والمحلية، والتحليل السياسي المعمق، والقيادة الإدارية والمالية، يمنحهن الأدوات المعرفية والعملية اللازمة للتأثير الفعلي في مراكز صنع القرار وصياغة السياسات. وينبغي أن ترتكز السياسات الحكومية والمدنية المستقبلية على أبحاث ودراسات ميدانية علمية ورصينة تبرز الأثر الإيجابي للمشاركة النسائية، وتحدد بدقة المعوقات الهيكلية والثقافية والقانونية التي تحول دون تمكينهن، للعمل على تذليلها وخلق بيئة حاضنة وداعمة تضمن تعبير الهوية الوطنية عن كافة مكوناتها وتنوعها الثري (Ide T et al., 2021).

المبحث الثالث: مرونة المرأة العراقية ودورها في التعافي ما بعد النزاع وبناء الهوية الوطنية

أولاً: صمود المرأة كركيزة للتعافي المجتمعي وإعادة البناء

تمثل مرحلة ما بعد النزاع المسلح واستقرار الأوضاع الأمنية اختباراً حقيقياً ومصيرياً لمدى قدرة المجتمعات الإنسانية على النهوض من وسط الركام وإعادة بناء ما دمرته الحروب على المستويين المادي البنيوي والمعنوي النفسي. وتقف المرأة العراقية في طليعة القوى المجتمعية الحية التي تقود جهود التعافي الشامل والمرونة المجتمعية؛ فهي التي تتحمل تاريخياً وحاضراً العبء الأكبر والأقسى في إعادة تنظيم تفاصيل الحياة اليومية للعائلة المتضررة، وتأمين السكن البديل للمهجرين، وإعادة الأطفال والشباب إلى مقاعد الدراسة، فضلاً عن تقديم الرعاية اليومية المستمرة للجرحى والمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة من ضحايا العمليات العسكرية. إن هذا الصمود اليومي المتواصل والدؤوب يشكل الأساس المتين الذي يبنى عليه الاستقرار المجتمعي والوطني الكلي.

إن قدرة المرأة الفائقة على تحويل المحن الشخصية والجمعية المؤلمة إلى قوة دافعة للبناء والعطاء تسهم بنحوٍ مباشر وحاسم في استعادة وتثبيت الهوية الوطنية التي تعرضت للتشويه والاهتزاز العنيف بفعل خطابات الكراهية والتخوين والانقسام الفئوي التي رافقت سنوات الصراع. فالمرأة، عبر تمسكها اللامتناهي بقيم الحياة، والعمل، والأمل، وبناء المستقبل، تقدم نموذجاً ملهماً للمجتمع بأكمله، وتغرس في نفوس الأطفال والناشئة قيم الانتماء الحقيقي للوطن والمسؤولية المجتمعية التضامنية. إن صمود المرأة في وجه هذه التحديات ليس مجرد آلية دفاعية غريزية للبقاء، بل هو فعل وطني واعٍ ومسؤول يعيد الاعتبار للهوية الجامعة ويؤسس لمستقبل يتجاوز إرث الصراعات المريرة والمدمرة (محمد قاسم عبد الغفور، 2020).

ويجد هذا الصمود الإنساني والوطني الرائع للمرأة العراقية جذوره العميقة وتأكيده في النصوص الدينية الشريفة التي تثني على الصبر والثبات في مواجهة الصعاب وبناء الحياة، حيث يقول الله تبارك وتعالى في الآية الرابعة والعشرين من سورة السجدة:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾

إن هذا الصبر الواعي المبني على اليقين والعمل هو المحرك الأساس والوقود الروحي للمرأة العراقية في قيادة أسرتها ومجتمعها المحلي نحو التعافي التام، والنهوض من وسط الأزمات، وتجاوز مخلفات الحروب بصلابة وعزيمة لا تلين.

ثانياً: ريادة الأعمال النسائية والتمكين الاقتصادي في مرحلة الاستقرار

يشكل التمكين الاقتصادي للمرأة في مرحلة ما بعد النزاع والانتقال نحو الاستقرار العصب الحقيقي للاستقرار الاجتماعي والمحرك الأساس للتنمية المستدامة والنمو الاقتصادي الشامل. فقد شهدت العديد من المدن والمحافظات العراقية المحررة والخارجة من أتون الحرب العنيفة صعوداً لافتاً، ومميزاً لريادة الأعمال النسائية والمشاريع الصغيرة والمتوسطة التي تؤسسها وتديرها نساء وشابات طموحات. وشملت هذه المشاريع قطاعات إنتاجية وخدمية متنوعة؛ كالتصنيع الغذائي المنزلي والتعليب، وتصميم الأزياء والخياطة الحديثة، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والورش الحرفية والتراثية، والخدمات التعليمية والصحية والتأهيلية الحرة.

وتسهم هذه المشاريع الريادية بفعالية عالية في توفير فرص عمل حقيقية ومستدامة للنساء ولغيرهن من أفراد المجتمع المحلي، مما يقلل بنحوٍ ملموس من معدلات البطالة المرتفعة والفقر المدقع ويحد من حالة الاتكالية والاعتماد الكلي على المعونات الإغاثية الخارجية أو الإعانات الحكومية الشحيحة والمؤقتة. إن تحقيق الاستقلال المادي والاقتصادي للمرأة يعزز من مكانتها وحضورها داخل الأسرة والمجتمع، ويمنحها صوتاً

مسموعاً ومؤثراً في عمليات التخطيط وصنع القرار المحلي والبلدي. ويتجاوز هذا الأثر الإيجابي البعد الاقتصادي والمالي الخالص ليصب مباشرة في مجرى تعزيز الهوية الوطنية؛ حيث تسهم هذه المشاريع في تنشيط الأسواق المحلية، وإعادة الروابط التجارية والتكاملية والتبادل السلعي بين المحافظات والأقاليم المختلفة، وترسيخ مفهوم المواطنة الفاعلة والمنتجة التي تبني الوطن بسواعد بناته وأبنائه (محمد قاسم عبد الغفور، 2020).

ثالثاً: مأسسة الحماية والتمكين ضمن الخطط الاستراتيجية للدولة

إن التضحيات الجسام والجهود الكبيرة والاستثنائية التي بذلتها وما زالت تبذلها المرأة العراقية عبر كافة المراحل التاريخية لا يمكن أن تؤتي ثمارها كاملة ومستدامة على النطاق الوطني الشامل دون وجود سياسات وطنية متكاملة وممنهجة تتبناها الدولة بمؤسساتها التشريعية والتنفيذية، وتدعمها بقوة المنظمات الدولية والمجتمع المدني الفاعل. وينبغي حتماً أن تنتقل خطط التعافي وإعادة الإعمار في العراق من المقاربات الجزئية الطارئة والحلول الترقيعية المؤقتة إلى مرحلة الاستدامة والمأسسة الحقيقية، وذلك عبر إدراج احتياجات المرأة ومتطلبات تمكينها وحمايتها في صلب الموازنات المالية العامة للدولة والخطط التنموية الخمسية والعشرية (R Jewkes et al., 2025).

ويتطلب هذا الانتقال الاستراتيجي إجراء مراجعة شاملة وصارمة للمنظومة القانونية والتشريعية النافذة بهدف إلغاء كافة القوانين والبنود التمييزية ضد المرأة، وسن تشريعات حديثة وقوية لحماية النساء والفتيات من شتى أنواع العنف الأسري والمجتمعي، وضمان وصولهن العادل والآمن إلى الموارد الاقتصادية الحيوية، مثل القروض المصرفية الميسرة، والملكية العقارية، والأراضي الصالحة للاستثمار والزراعة. إن دمج رؤية المرأة واحتياجاتها التنموية في استراتيجيات الاستدامة والتجديد المجتمعي يسهم بنحوٍ فاعل في بناء مجتمع أكثر

مرونة، وتماسكاً وعدالة، ويعكس في الوقت ذاته هوية وطنية شاملة تراكمية تتسع لجميع مواطنيها وتضمن تكافؤ الفرص الحقيقي بينهم دون أي تمييز أو إقصاء أو تهميش (Gatti S, 2024).

المبحث الرابع: التحديات البنيوية والتشريعية التي تواجه تمكين المرأة العراقية

أولاً: الفجوات التشريعية والقصور القانوني في القوانين النافذة

رغم كفالة الدستور العراقي الدائم لعام 2005 لمبادئ المساواة التامة، وتكافؤ الفرص بين المواطنين، وحظر كل أشكال التمييز والعنف ضد المرأة في الفضاءين الخاص والعام، إلا أن المنظومة القانونية والتشريعية النافذة في البلاد ما زالت تحتوي على ثغرات تشريعية ومواد قانونية قديمة تعيق تمكين المرأة وتضعف من مكانتها الحقوقية والإنسانية. ويبرز قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 المعدل كأحد أبرز القوانين التي تحتاج مراجعة وتعديلاً جذرياً؛ نظراً لاحتوائه على مواد تمنح أعذاراً مخففة في جرائم العنف القائم على النوع الاجتماعي، أو تتيح إفلات الجاني من العقاب الرادع في بعض الحالات عبر تسويات اجتماعية وعشائرية مجحفة ومهينة بحق الضحية.

إن هذا القصور التشريعي الواضح يسهم في استمرار معدلات العنف ضد النساء ويقوض بنحوٍ كبير من قدرتهن على المشاركة الفاعلة والآمنة في الحياة العامة والسياسية والاقتصادية. ولا يمكن الحديث عن هوية وطنية راسخة ومواطنة كاملة ومستقرة في ظل وجود تمييز قانوني يشعر فئة واسعة وأساسية من المجتمع بالغَبْن، وعدم المساواة، وفقدان الأمان القانوني الشخصي. إن إصلاح هذه المنظومة التشريعية وسن قانون صريح ومكتمل ومطابق للمعايير الدولية لمكافحة العنف الأسري يمثل خطوة أساسية وإلزامية لحماية المرأة

وضمان كرامتها الإنسانية والحقوقية كمواطنة شريكة في بناء الدولة وصياغة هويتها (السيد ياسر وآخرون, 2025).

ثانياً: المعوقات الثقافية والمنظومة القيمية التقليدية المهيمنة

تواجه المرأة العراقية تحديات معقدة تنبع من هيمنة الثقافة الأبوية التقليدية والعادات والتقاليد العشائرية الصارمة التي تختزل في كثير من الأحيان دور المرأة في الفضاء الخاص والوظائف البيولوجية والرعائية التقليدية المحدودة. وتزداد حدة هذه المعوقات الثقافية والاجتماعية في المناطق الريفية والمناطق شبه الحضرية والطرفية، حيث يمارس المجتمع ضغوطاً هائلة وأشكال رقابة مشددة على حركة المرأة، وتعليمها، وعملها، ومشاركتها في الأنشطة المدنية، والسياسية، والتطوعية.

وتستخدم المنظومة التقليدية في بعض الأحيان تأويلات دينية خاطئة ومجتزأة لتبرير تحجيم دور المرأة المجتمعي ومنعها من تولي مواقع القيادة وصنع القرار في المؤسسات المختلفة. يقف هذا الجدار الثقافي والاجتماعي السميك عائقاً حقيقياً أمام استثمار الطاقات البشرية والكامنة الهائلة لدى النساء ويحرم المجتمع والدولة من مساهمات نصف طاقته البشرية في مجالات التنمية الشاملة وبناء السلام المستدام. يتطلب تجاوز هذه العقبة الكأداء عملاً ثقافياً وفكرياً وإعلامياً منظماً ومستداماً تشترك فيه المؤسسات التعليمية، والمنابر الدينية المستنيرة، ووسائل الإعلام، لتفكيك الخطابات الإقصائية وتوطين قيم المساواة والشراكة الإنسانية والوطنية الكاملة التي دعت إليها الأديان والمواثيق الدولية (حسام أحمدي وآخرون، 2022).

ويعزز هذا الفهم المستنير لحقوق المرأة التكريم الإلهي الشامل للمخلوق البشري دون تمييز على أساس الجنس، حيث يقول الله عز وجل في الآية السبعين من سورة الإسراء:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

إن هذا التكريم الإلهي المطلق يشمل الرجل والمرأة على حد سواء في الإنسانية والمسؤولية وعمارة الأرض، ويمثل الأساس المتين لقيم الكرامة الإنسانية والمواطنة الصالحة المتساوية في الحقوق والواجبات داخل الوطن الواحد.

ثالثاً: ضعف التمويل المالي وغياب الإرادة السياسية الحقيقية

تتعرض الآليات والدوائر الوطنية المعنية بشؤون المرأة في العراق، مثل الدوائر واللجان الحكومية والبرلمانية المختصة، إلى تهميش هيكلي يتمثل في ضعف حاد وشديد في التخصيصات المالية المرصودة لها ضمن الموازنات العامة السنوية للدولة، وفضلاً عن محدودية صلاحياتها التنفيذية والإدارية والهيكلية. وتترجم هذه الوضعية غياب إرادة سياسية حقيقية وجادة لدى النخب القابضة على السلطة لجعل قضية تمكين المرأة وحمايتها أولوية استراتيجية عليا، والتعامل مع هذا الملف بدلاً من ذلك كملف هامشي، تجميلي أو بروتوكولي لاستيفاء المتطلبات والشروط الدولية شكلياً أمام المجتمع الدولي.

يؤدي ضعف التمويل وغياب المأسسة الحقيقية إلى تعثر مستمر في تنفيذ الخطط والاستراتيجيات الوطنية الطموحة، وفي مقدمتها الخطة الوطنية لتنفيذ القرار 1325 لاتخاذ التدابير اللازمة لحماية المرأة وبناء السلام، وتحول هذه الخطط إلى وثائق نظرية حبيسة الأدراج تفتقر إلى آليات التطبيق والمتابعة والتقييم على أرض الواقع الميداني. إن النهوض الحقيقي والواقعي بالواقع النسوي العراقي يتطلب بنحوٍ عاجل تخصيص موارد مالية وبشرية كافية، ودمج قضايا النوع الاجتماعي في خطط وموازنات جميع الوزارات والمؤسسات

الرسمية، وتحويل تمكين المرأة إلى مشروع وطني استراتيجي عابر للحكومات والدورات الانتخابية الحزبية (R Jewkes et al., 2025).

المبحث الخامس: آليات تعزيز وتفعيل دور المرأة في صياغة المستقبل الوطني

أولاً: تطوير المنظومة التعليمية وتحديث المناهج الدراسية

يمثل التعليم بمختلف مراحله الرافعة الأساسية والأداة الأكثر فاعلية لإحداث أي تغيير مجتمعي وثقافي وقيمي مستدام في بنية المجتمع. يتطلب تفعيل دور المرأة العراقية إحداث ثورة وتحديث في المنظومة التعليمية عبر مراجعة شاملة وعميقة لكافة المناهج الدراسية في مختلف المراحل (الابتدائية، الثانوية، والجامعية) لتنقيتها وتطهيرها من الصور النمطية السلبية والمجحفة التي تكرس تبعية المرأة وتهمش أدوارها التاريخية والحديثة في بناء الدولة والمجتمع العراقي.

ينبغي أن تتضمن المناهج التعليمية الحديثة مفاهيم واضحة، دقيقة ومحببة حول المواطنة المتساوية، حقوق الإنسان، مبادئ النوع الاجتماعي والعدالة الاجتماعية، وأهمية قبول التنوع الثقافي والتعايش السلمي الأهلي. يسهم التعليم الحديث القائم على الحوار والتفكير النقدي البناء في بناء وعي مجتمعي جديد لدى الأجيال الشابة من الذكور والإناث يرفض بنحوٍ قاطع التمييز والعنف، ويؤمن بالشراكة الكاملة والمنتجة في الفضاءين الخاص والعام، وكما ينبغي على مؤسسات التعليم العالي والجامعات التوسع في دعم مراكز الأبحاث والدراسات المتخصصة بشؤون المرأة والنوع الاجتماعي، ورفد صانعي القرار بالبيانات والمعطيات العلمية الدقيقة والإحصاءات الواقعية التي تساعد في رسم سياسات تنموية واقعية وفعالة (Ide T et al., 2021).

ثانياً: تعزيز الشراكة التكاملية بين الحكومة والمجتمع المدني والمنظمات الدولية

تعد العلاقة التشاركية والتكاملية بين المؤسسات والوزارات الحكومية الرسمية من جهة، ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية من جهة أخرى، ركيزة أساسية لتنفيذ برامج التمكين والحماية على نطاق وطني واسع وشامل. تمتلك المنظمات المدنية، وخصوصاً المنظمات النسوية والحقوقية منها، مرونة حركية وقدرة عالية على الوصول السريع إلى الفئات الأكثر هشاشة، والمناطق النائية المقطوعة، وداخل مخيمات النزوح والتهجير القسري التي قد تعجز الأجهزة الحكومية البيروقراطية الثقيلة عن تغطيتها بفعالية وكفاءة وسرعة مطلوبة.

ينبغي على الحكومة العراقية بناء شراكات استراتيجية وحقيقية مع هذه المنظمات المدنية، وإشراكها الفعلي في عمليات تصميم وتنفيذ ومراقبة السياسات الوطنية، وتسهيل الإجراءات القانونية والإدارية والأمنية لعملها الميداني، وكما يتوجب الاستفادة القصوى والذكية من الدعم الفني، والمعرفي، والمالي الاستشاري الذي تقدمه الوكالات والمنظمات الدولية التابعة للأمم المتحدة والبعثات الدبلوماسية، لتوظيفه في بناء قدرات الكوادر المحلية ومأسسة العمل وفقاً لأحدث المعايير والممارسات الدولية الفضلى في بيئات ما بعد النزاع (Gatti S, 2024).

ثالثاً: التمكين الرقمي وصعود المنصات النسوية الافتراضية

أتاح التطور التقني والتحول المتسارع في تكنولوجيا المعلومات ووسائل التواصل الاجتماعي فضاءات جديدة، بديلة وآمنة للمرأة العراقية لتجاوز القيود الجغرافية والاجتماعية والأمنية المفروضة عليها في الواقع المادي المعاش. برزت في السنوات الأخيرة شبكات ومنصات رقمية نسوية عراقية رائدة تعنى بنشر التوعية الحقوقية،

وتقديم الدعم النفسي والاستشارات القانونية المجانية للضحايا، فضلاً عن تسويق المنتجات والخدمات للمشاريع الريادية الصغيرة التي تؤسسها وتديرها نساء من منازلهن.

ويسهم التمكين الرقمي والمعلوماتي في فتح آفاق واسعة للتعليم الذاتي المستمر، واكتساب المهارات الحديثة المطلوبة في سوق العمل الرقمي مثل:

- إدارة المنصات والتجارة الإلكترونية.
- تطوير البرمجيات والبرمجة الأساسية.
- صناعة وإدارة المحتوى الرقمي والترجمة.
- التسويق الرقمي وإدارة الحملات.

كما يُتيح التواصل الحي مع شبكات نسوية وحقوقية عربية ودولية لتبادل الخبرات والمناصرة المشتركة لقضايا المرأة العراقية. ينبغي على الخطط والاستراتيجيات الوطنية التركيز على محو الأمية الرقمية بين النساء والفتيات، خصوصاً في البيئات الريفية ومناطق النزوح والتهجير، وتوفير البنية التحتية التكنولوجية اللازمة وشبكات الاتصال بأسعار ميسرة لضمان استفادتهن الكاملة من الفرص الهائلة التي يتيحها الفضاء الافتراضي في بناء مستقبلهن والمساهمة الفاعلة في نهضة وطنهن وصيانة هويته (محمد قاسم عبد الغفور، 2020).

خاتمة واستنتاجات

يظهر البحث بوضوح أن المرأة العراقية لم تكن مجرد ضحية سلبية للنزاعات المسلحة والتحولات الجيوسياسية الحادة، بل مثلت صمام أمان بنيوي لحفظ واستعادة الهوية الوطنية الجامعة في مواجهة الانقسامات الفرعية.

إن مرونة النساء وتكيفهن الاقتصادي والاجتماعي، وريادتهن في حل النزاعات محلياً والدفع بالأمن البيئي، تعد مقومات ضرورية للانتقال بالدولة العراقية من حالة الهشاشة البنيوية إلى الاستقرار المستدام والتنمية الشاملة. وتوصي الدراسة بضرورة الانتقال الفوري والمؤسسي نحو تبني موازنات عامة مستجيبة للنوع الاجتماعي، مع تفعيل الأطر والتشريعات الضامنة لحماية المرأة وتوليتها المناصب القيادية الفاعلة كشريكة أصيلة في صياغة المستقبل الوطني.

قائمة المصادر والمراجع:

1. **حسام أحمدي وآخرون. (2022).** *الآثار النفسية والاجتماعية للنزوح القسري على النساء في البيئات المأزومة*. بغداد: دار الكتب والوثائق.
2. **السيد ياسر وآخرون. (2025).** *التحولات البنيوية والمنظومة التشريعية لتمكين المرأة في العراق بعد النزاعات*. مجلة الدراسات القانونية والاجتماعية، ع (14)، ص ص 45–68.
3. **عبد الوهاب، منى. (2024).** *أثر الأزمات المعيشية وتدهور الأمن الغذائي على أدوار صمود المرأة العراقية*. مجلة البحوث الاجتماعية والوطنية، مج 8، ع 2، ص 112–135.
4. **محمد قاسم عبد الغفور. (2020).** *ريادة الأعمال النسوية والصمود المجتمعي في مدن العراق المحررة*. أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد.
5. **Gatti, S. (2024).** *Institutionalizing Gender and Development Frameworks in Post-Conflict Reconstruction*. Academic Press.
6. **Ide, T., et al. (2021).** *Gender, Climate Change, and Environmental Peacebuilding: Frameworks for Local Mediation*. Global Environmental

Politics, 21(3), 67–89.

7. **Jewkes, R., et al. (2025).** *Financing National Action Plans for UNSCR 1325: Structural Impediments and Strategic Solutions*. International Feminist Journal of Politics, 27(1), 104–128.

8. **Richard, C., Black, A., et al. (2022).** *Environmental Security and Resource Conflicts: Tracking Gendered Vulnerabilities in the Middle East*. Journal of Peace Research, 59(4), 512–530.

اضطرابات المزاج المرتبطة بالتغيرات الهرمونية لدى المرأة: الأسباب والآليات العلاجية

الطبيبة النفسية: رويدا فريد شامل – بلغاريا

ملخص المقال:

يتناول المقال اضطرابات المزاج المرتبطة بالتغيرات الهرمونية لدى المرأة، مستهدفة استكشاف الأسباب البيولوجية، والآليات الجزيئية العصبيّة، والاستراتيجيات العلاجية القائمة على الأدلة؛ وذلك عبر ثلاث مراحل حيوية رئيسية في حياة المرأة الإنجابية: الطور اللوتيني للدورة الشهرية (الاضطراب المزعج السابق للحيض – PMDD)، وفترة ما بعد الولادة (اكتئاب ما بعد الولادة – PPD)، ومرحلة سن اليأس (اكتئاب الفترة المحيطة بسن اليأس). وتكمن مشكلة البحث في الفهم المغلوط والشائع لهذه الاضطرابات باعتبارها مجرد تقلبات عاطفية عابرة، بينما تثبت الأبحاث الحديثة وجود أساس جزيئي عصبي معقد يربط الهرمونات المبيضية بالدماغ. وقد خلص البحث إلى أن هذه الاضطرابات لا تنتج عن نقص كمّي في مستويات الهرمونات، بل تعود إلى حساسية عصبية مفرطة وغير طبيعية في الدماغ تجاه التقلبات الطبيعية للاستروجين والبروجستيرون. وتتضح هذه الآلية في محورين: أولهما، تأثير الاستروجين كمعدل طبيعي للجهاز السيروتونيني، حيث يؤدي هبوطه الحاد إلى نقص السيروتونين وتدهور المزاج. وثانيهما، تذبذب مستويات مركب "الألوبراغنانولون" (مشتق البروجستيرون) الذي يتفاعل مع مستقبلات $GABA_A$؛ فحين يفشل الدماغ في التكيف مع هبوطه، يتحول من مهدئ طبيعي إلى محفز للقلق والعدائية، وهو ما يفسر أعراض الـ PMDD واكتئاب ما بعد الولادة الشديد الذي يعقب الانخفاض المفاجئ لهرمونات المشيمة. أما في مرحلة ما قبل انقطاع الطمث، فإن غياب الاستقرار الهرموني والتأرجح العشوائي للإستراديول هو المحرك الأساسي للاكتئاب.بناءً على هذه المعطيات البيولوجية، استعرض البحث الآليات العلاجية المعاصرة، مؤكداً على

التحول النوعي في بروتوكولات العلاج النفسي العصبي. وتأتي في مقدمة هذه الخيارات مثبطات استرداد السيروتونين الانتقائية (SSRIs) التي تمتاز بفعاليتها الفورية في علاج الاضطرابات الدورية، بجانب الثورة الدوائية الأحدث المتمثلة في نظائر الستيرويدات العصبية المصنعة فموياً ووريدياً (مثل Brexanolone و Zuranolone) والتي تستهدف مستقبلات الـ GABA مباشرة لتحقيق استجابة علاجية سريعة خلال أيام في حالات اكتئاب ما بعد الولادة. كما أبرز البحث دور العلاجات الهرمونية (كوسائل منع الحمل الممتدة لتثبيط التبويض، والعلاج بالهرمونات البديلة HRT) في إعادة الاستقرار للمحاور الحيوية، مدعومة بالعلاج المعرفي السلوكي (CBT) والتعديلات الحياتية لتقليل الالتهابات العصبيّة. توصي الباحثة بضرورة تبني نموذج طبي متكامل يدمج علم الغدد الصم بالطب النفسي، وتطوير أدوات تشخيصية دقيقة قائمة على رصد الحساسية الهرمونية، مما يضمن تقديم علاجات مخصصة وموجهة بيولوجياً ترفع من جودة حياة المرأة وصحتها النفسية.

الكلمات المفتاحية: اضطرابات المزاج، التغيرات الهرمونية، المرأة.

Hormone-Related Mood Disorders in Women: Causes and Therapeutic Mechanisms

Psychiatrist: Dr. Roveida Farid Shamel – Bulgaria

Article Abstract:

This article addresses hormone-related mood disorders in women, aiming to explore their biological causes, neuromolecular mechanisms, and evidence-based therapeutic strategies across three key vital stages of a woman's reproductive life:

the luteal phase of the menstrual cycle (Premenstrual Dysphoric Disorder – PMDD), the postpartum period (Postpartum Depression – PPD), and the menopausal transition (Perimenopausal Depression). The core problem of this research lies in the common misconception of these disorders as mere transient emotional fluctuations, whereas modern research proves the existence of a complex neuromolecular basis linking ovarian hormones to the brain.The research concludes that these disorders do not stem from a quantitative deficiency in hormone levels, but rather from an abnormal, hypersensitive neural response in the brain toward the natural fluctuations of estrogen and progesterone. This mechanism is demonstrated through two main axes: first, the effect of estrogen as a natural modulator of the serotonergic system, where its sharp decline leads to serotonin depletion and mood deterioration. Second, the fluctuation in the levels of "allopregnanolone" (a progesterone metabolite) that interacts with $GABA_A$ receptors; when the brain fails to adapt to its decline, it transforms from a natural sedative into a trigger for anxiety and hostility. This explains PMDD symptoms and severe postpartum depression, which follows the sudden drop in placental hormones. As for the perimenopausal phase, the lack of hormonal stability and the random fluctuation of estradiol serve as the primary drivers of

depression.Based on these biological data, the research reviews contemporary therapeutic mechanisms, emphasizing a qualitative shift in neuropsychiatric treatment protocols. Foremost among these options are Selective Serotonin Reuptake Inhibitors (SSRIs), which are characterized by their immediate efficacy in treating cyclic disorders. This is alongside the latest pharmacological revolution represented by synthetic neurosteroid analogues administered orally or intravenously (such as Brexanolone and Zuranolone), which directly target $GABA$ receptors to achieve a rapid therapeutic response within days in cases of postpartum depression. Furthermore, the research highlights the role of hormonal therapies—such as extended hormonal contraceptives to inhibit ovulation and Hormone Replacement Therapy (HRT)—in restoring stability to vital axes, supported by Cognitive Behavioral Therapy (CBT) and lifestyle modifications to reduce neuroinflammation.The researcher recommends the necessity of adopting an integrated medical model that merges endocrinology with psychiatry, and developing precise diagnostic tools based on monitoring hormonal sensitivity, thereby ensuring the delivery of personalized, biologically targeted treatments that enhance women's quality of life and mental health.

المقدمة:

تُعدّ التقلبات المزاجية والاضطرابات النفسية المرتبطة بالتحولات البيولوجية لدى المرأة من أكثر المواضيع تعقيداً وأهمية في الطب النفسي وعلم الغدد الصم العصبي الحديث. لقرون طويلة، أُسيء فهم هذه الحالات، ووُصفت تارة بأنها "ضعف عاطفي" وتارة أخرى بأنها "ظواهر عابرة". إلا أن الأبحاث المعاصرة أثبتت وجود أساس بيولوجي متين يربط بين تذبذب الهرمونات المبيضية والجهاز العصبي المركزي (Hulubă et al., 2025).

يُظهر هذا المقال العلمي استكشافاً تفصيلياً للاضطرابات النفسية المرتبطة بالهرمونات عبر ثلاث مراحل رئيسية في حياة المرأة: الاضطراب المزعج السابق للحيض (PMDD)، واكتئاب ما بعد الولادة (PPD)، واكتئاب الفترة المحيطة بسن اليأس (Perimenopausal Depression). نناقش هنا الأسباب البيولوجية، والآليات الجزيئية داخل الدماغ، وصولاً إلى الخيارات العلاجية والدوائية القائمة على أحدث الأدلة العلمية.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي والتصنيفي لاضطرابات المزاج الهرمونية

تختلف اضطرابات المزاج الهرمونية أو ما يُعرف حديثاً بـ "الأنماط الفرعية الإنجابية للاكتئاب" (Reproductive Subtypes of Depression) عن الاكتئاب السريري التقليدي؛ فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنقاط التحول الإنجابية وبفترات الهبوط أو التقلب الحاد في مستويات الاستروجين والبروجستيرون (Payne et al., 2009).

تصل نسبة انتشار الاكتئاب لدى النساء إلى ضعف نسبته لدى الرجال، وهو تباين يظهر بوضوح بعد مرحلة البلوغ ويتلاشى تقريباً بعد سن اليأس، مما يؤكد دور المحور الهرموني (Hulubă et al., 2025). تاريخياً، مرّ تصنيف هذه الاضطرابات بمراحل عديدة، حتى اعتمدت الجمعية الأمريكية للأمراض النفسية في دليلها

التشخيصي والإحصائي الخامس (DSM-5-TR) بعض هذه الاضطرابات ككيانات تشخيصية مستقلة ومكتملة الأركان (Cheng, 2025).

المحور الثاني: الأسباب والآليات البيولوجية والجزيئية

لا تعود هذه الاضطرابات إلى "نقص" في مستويات الهرمونات لدى المريضات، بل إلى حساسية عصبية مفرطة وغير طبيعية تجاه التقلبات الطبيعية للهرمونات (Schweizer-Schubert et al., 2021). تتركز هذه الحساسية في ثلاث آليات رئيسية:

1. تأثير الاستروجين على النواقل العصبية (سيروتونين ونورإبينفرين)

يعمل هرمون الاستروجين (وخاصة الإستراديول) كمعدل طبيعي قوي ومحفز للجهاز السيروتونيني في الدماغ؛ فهو يساهم في زيادة تصنيع السيروتونين وتثبيط الإنزيم المسؤول عن تكسيره (MAO). عندما تنخفض مستويات الاستروجين بشكل حاد، يقل دعم السيروتونين في الدماغ، مما يؤدي إلى هبوط مفاجئ في المزاج وزيادة القلق (Wang, 2025).

2. آلية مشتقات البروجستيرون ومستقبلات

يتحول البروجستيرون داخل الجسم إلى مركب يسمى ألوبراغنانولون (Allopregnanolone)، وهو "ستيرويد عصبي" (Neurosteroid) يرتبط بمستقبلات $GABA_A$ في الدماغ (Yoon, 2026). في الحالات الطبيعية، يعمل الألوبراغنانولون كمهدئ طبيعي ومزيل للقلق. لكن عند النساء اللواتي يعانين من اضطرابات هرمونية، يسبب التغير السريع في مستويات هذا المركب خللاً في حساسية مستقبلات $GABA_A$، مما يعكس تأثيره ليصبح محفزاً للتوتر والعدائية بدلاً من التهدئة (Bixo, 2025).

3. اضطراب المحاور الهرمونية والالتهابات العصبيّة

تتداخل الهرمونات الجنسية مع محور (HPA) المسؤول عن استجابة الجسم للضغط النفسي وإفراز الكورتيزول. كما تشير الدراسات الحديثة إلى أن التقلبات الهرمونية تحفز إفراز السيتوكينات الالتهابية (Inflammatory Cytokines)، مما يسبب حالة من "الالتهاب العصبي الخفيف" تسهم في تعميق أعراض الاكتئاب (Cheng, 2025).

المحور الثالث: دراسة تفصيلية للاضطرابات بحسب المراحل البيولوجية

1. الاضطراب المزعج السابق للحيض (PMDD)

يعتبر النسخة الأشد قسوة من متلازمة ما قبل الحيض (PMS)، حيث يؤثر على 1.3% إلى 3% من النساء بشكل يعطل حياتهن تماماً (Cheng, 2025). تظهر الأعراض (اكتئاب، بكاء، عصبية مفرطة، أفكار سوداوية) بدقة في الطور اللوتيني من الدورة الشهرية وتختفي تماماً فور نزول الحيض. تكمن العلة هنا في عجز الدماغ عن التكيف السريع مع هبوط الستيرويدات العصبية في نهاية الدورة (Bixo, 2025).

2. اكتئاب ما بعد الولادة (PPD)

خلال فترة الحمل، تصل مستويات الاستروجين والبروجستيرون إلى أرقام فلكية. وفور ولادة المشيمة، تهبط هذه الهرمونات فجأة إلى مستويات قريبة من الصفر في غضون 48 ساعة. هذا الهبوط العنيف يمثل صدمة حيوية للجهاز العصبي. تقع مئات الآلاف من النساء ضحية لهذا الاكتئاب الحاد الذي يتجاوز بمراحل ظاهرة "كآبة النفاس" العابرة (Postpartum Blues)، مسبباً عجزاً عن الارتباط بالطفل وأفكاراً انتحارية في الحالات الشديدة (Yoon, 2026).

3. اكتئاب الفترة المحيطة بسن اليأس:

تمتد هذه الفترة لسنوات قبل الانقطاع التام للطمث، وتتميز بتأرجح عشوائي وحاد في مستويات الإستراديول. لا يعاني الدماغ هنا من نقص الاستروجين بقدر ما يعاني من غياب "الاستقرار الهرموني"، مما يفسر التدهور المزاجي المتزامن مع الهبات الساخنة واضطرابات النوم (Wang, 2025).

المحور الرابع: الآليات والخيارات العلاجية الحديثة

تتنوع الاستراتيجيات العلاجية لتشمل مسارات هرمونية ونفسية ودوائية متقدمة، مصممة خصيصاً للتلاعب بالخلل البيولوجي المستهدف:

1. العلاجات الدوائية النفسية والثورة البيولوجية الحديثة

- مثبطات استرداد السيروتونين الانتقائية (SSRIs): تمثل الخط الأول لعلاج PMDD. والمثير للدهشة أنها تعمل هنا بشكل فوري تقريباً (في غضون ساعات إلى أيام) عند استخدامها لعلاج الاضطرابات الهرمونية، على عكس الأسابيع الأسابيع الأربعة التي تحتاجها لعلاج الاكتئاب التقليدي (Payne et al., 2009).

- بدائل الستيرويدات العصبية (Brexanolone & Zuranolone): تمثل الطفرة العلاجية الأحدث عالمياً. أدوية مثل "بريكسانولون" (حقن وريدي) و"زورانولون" (علاج فموي) هي عبارة عن نظائر مصنّعة للألوبراغنانولون. تعمل هذه الأدوية على إعادة توازن مستقبلات $GABA_A$ بشكل فوري، مما يؤدي إلى علاج اكتئاب ما بعد الولادة الشديد خلال أيام قليلة جداً بدلاً من أسابيع (Yoon, 2026).

2. العلاجات الهرمونية

- العلاج بالهرمونات البديلة (HRT): يُستخدم بفعالية في اكتئاب الفترة المحيطة بسن اليأس لإعادة الاستقرار للمحور الهرموني، مع ضرورة موازنة الاستروجين بالبروجستيرون لحماية الرحم (Wang, 2025).

- وسائل منع الحمل الهرمونية الممتدة: تستخدم لتثبيط التبويض تماماً في حالات الـ PMDD، مما يخلق بيئة هرمونية مستقرة تمنع التقلبات المزاجية الدورية (Mengelkoch et al., 2025).

3. العلاجات النفسية والسلوكية والدعم التكميلي

يساهم العلاج المعرفي السلوكي (CBT) في تمكين المريضات من مهارات التأقلم مع الأعراض عند حدوثها. كما تلعب التعديلات الحياتية (تحسين جودة النوم، تقليل الكافيين، وممارسة الرياضة بانتظام) دوراً مسانداً في خفض الالتهابات العصبية وتحسين مرونة الدماغ (Wang, 2025).

خاتمة

إن اضطرابات المزاج المرتبطة بالتغيرات الهرمونية لدى المرأة ليست مجرد تقلبات عاطفية، بل هي اضطرابات طبية حقيقية تنشأ من تداخل جزيئي معقد بين الهرمونات المبيضية والنواقل العصبية في الدماغ. يتطلب التعامل مع هذه الحالات الانتقال من المقاربة النفسية التقليدية إلى نموذج متكامل يدمج العلاج الهرموني بالطب النفسي العصبي الحديث. إن الفهم الدقيق لهذه الآليات يفتح الباب أمام علاجات مخصصة وموجهة تضمن جودة حياة أفضل للمرأة في كافة مراحلها البيولوجية.

المصادر (References)

- Bixo, M. (2025). Neurosteroids and premenstrual dysphoric disorder. The British Journal of Psychiatry, 1–7.
- Cheng, M. (2025). The role of the neuroinflammation and stressors in premenstrual syndrome/premenstrual dysphoric disorder: A review. Frontiers in Endocrinology, 16, 156–184.
- Hulubă, I. P., Crecan Suciu, B. D., Păunescu, R., & Micluția, I. V. (2025). The link between sex hormones and depression over a woman's lifespan (Review). Biomedical Reports, 22(1), 1–11.
- McEvoy, K., & Osborne, L. M. (2019). Allopregnanolone and reproductive psychiatry: An overview. International Review of Psychiatry, 31(3), 237–244.
- Mengelkoch, S., Afshar, K., & Slavich, G. (2025). Hormonal contraceptive use and affective disorders: An updated review. Open Access Journal of Contraception, 16, 1–29.
- Payne, J. L., Palmer, J. T., & Joffe, H. (2009). A reproductive subtype of depression: Conceptualizing models and moving toward etiology. Harvard Review of Psychiatry, 17(2), 72–86.

- Schweizer-Schubert, S., Gordon, J. L., Eisenlohr-Moul, T. A., Meltzer-Brody, S., Schmalenberger, K. M., Slopien, R., Zietlow, A. L., Ehlert, U., & Ditzen, B. (2021). Steroid hormone sensitivity in reproductive mood disorders: On the role of the GABAA receptor complex and stress during hormonal transitions. Frontiers in Medicine, 7, 479-496.
- Wang, L. (2025). Perimenopausal depression: Etiology, clinical characteristics, and the role of traditional Chinese medicine. Trends in Psychiatry and Psychotherapy, 47(1), 89-103.
- Yoon, S. (2026). Novel antidepressants targeting neurosteroids. KoreaMed Synapse / Journal of Biological Psychiatry, 33(2), 112-125.

---

(1) شخصيات ومواقف ، ماجد السامرائي ، الدار العربية للكتاب – بيروت (حوار مع الشاعرة):230

(2) شخصيات ومواقف : 232

(3) عراقية ، دار العودة , بيروت , ط1 ,1971: 94

(4) يسمونه الحب، دار العودة , بيروت , ط1 , 1972 :11

(5) لو انبأني العراف ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر , ط1 , 1980: 6

(6) البعد الاخير، بيت سين للكتب , بغداد , 1990: 20

(7) يسمونه الحب 64

(8) شخصيات ومواقف : 234

(9) لو أنبأني العراف :103

(10) اغاني عشتار، المطبعة التجارية ، بيروت ، ط1، 1969 : 49

(11) اغاني عشتار : 47-48

(12) شخصيات ومواقف : 232

(13) عراقية :73-74

(14) اغاني عشتار : 53-54